دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم

العراق . إيران

دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

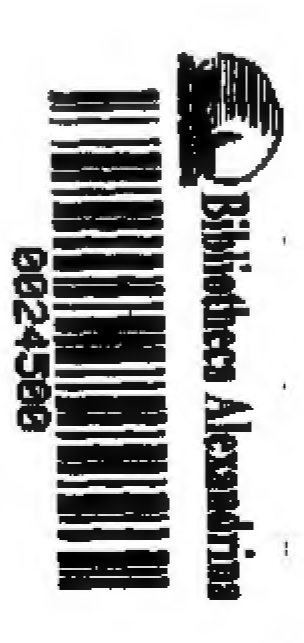
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣



دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم

العراق . إيران

دكتور

أحمد أمين سليم

أستاذ التاريخ القديم المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - إسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

الباب الاول

حضارة العراق

التنظيم السياسي والاداري

كانت تتكون دولة المدينة في العراق القديم من المدينة ومايحيطها من أراض و كانت احيانا تضم اكثر من مدينة . واعتبر تأسيسها عملا دينيا لايستطاع القيام به الا بناء على اوامر الالهة العظام ،لان المدينة هي قبل كل شيء مركز للعبادة ،وعلى هذا كان لاسم المدينة احيانا واسم الاله الذى تنازل فرضي ان يستقر فيها مدلول واحد وعندما أنشأ ملوك الاسرة البابلية الاولى مدنا جديدة اعطوها اسماء تشمل اسم الاله ،مثل مدينة " كارشماش " التي تفيد معنى " قلعة الاله شماش " ومدينة " نور أداد " التي تفيد معنى " نور الاله أداد" الا انه بزيادة السلطة المركزية وقوة الملكية قل الاتجاه الى الدين ،وبدأ الملوك يحلون اسمهم مكان اسم الاله في تسمية المدن .

وكانت تدار المدينة من معبد اله المدينة الذي أشرف كذلك على املاك المدينة وكان يوجد الى جانب ذلك المعبد معابد أخرى لزوجات الاله وأولاده ،وكان لكل معبد مخصصات خاصة به ،وعلى ذلك فقد كانت أراضي الدولة خاضعة لاشراف دور العبادة ،ومن ذلك نرى أن السكان جميعا كانوا يعملون عند الآلهة ،وعلى ذلك فقد اعتقد القوم ان الانسان خلق لتحقيق الراحة للآلهة .

وهيمن المعبد على قسط كبير من الحياة الاقتصادية فقد أديت فيه بعض الحرف التى كان يقوم الكهنة بتدريب الاولاد عليها ،وكثرت تلك المهن ومثلت فيها كل الطبقات ابتداء من العبيد حتى ابناء الملوك ،والجميع كان تحت اشراف الكاهن الاكبر ،كما كان للمعبد املاك يؤجرها واخرى يقوم باستئجارها ،وكانت له مصانعه ومخازنه ،وعلى ذلك فقد كان للكهنه نفوذهم الدينى والدنيوى .

وقامت ادارة المعبد بتقديم البذور والحيوانات وجميع الوسائل الخاصة بالزراعة وذلك للارض المشتركة وكلف جميع الاهالى بالعمل فى هذه الارض ،يستوى فى ذلك اصحاب المراكز الكبرى والصغرى ،وفى مقابل ذلك فقد كفل المعبد تحقيق قوت أفراد المجتمع ،ويلاحظ أن هذا النظام قد افسح المجال لتكديس ثروة البلاد فى المعبد.

وبالرغم مما تمتع به الكهنة فى المعبد من امتلاك الارض والتصرف فيها وفى محاصيلها فلم يقوموا بالاشراف السياسى على المجتمع ،وفى الغالب كانت السلطة السياسية فى ايدى المواطنين . فلقد انحصرت السيادة السياسية فى مجلس مكون من جميع الذكور الاحرار ،ويقوم بارشاده جماعة من الشيوخ . والى جانب ذلك كانت تؤلف فى كل مدينة

جماعة من شيوخها يشرفون على المسائل العامة . ولم يستطع الكهنة كذلك تنظيم الحروب التى كانت تدور رحاها بين هذه الدويلات او بين احدى الدويلات والبدو . وعلى ذلك كان يخرج من بين افراد ذلك المجتمع احد الابطال هو الذي يتمكن من التغلب على الاعداء .

وتمكن سرجون الاكدى من القضاء على نظام دويلات المدن ،وانتقل ببلاد الرافدين الى نظام ملكي موحد يضم البلاد جميعا تقريبا ،وسلك هذا الطريق أسرة أور الثالثة واسرة بابل الاولى ،والدولة البابلية المتأخرة ،ونظرا لقيام هؤلاء الملوك بتوسيع رقعة بلادهم بالفتوح الخارجية وكان دافعهم لذلك حاجتهم الشديدة لمواد أولية غير متوفرة فى بلادهم كالمعادن والاخشاب والاحجار،واقتضى نجاح التجارة الخارجية ضرورة توحيد بلادهم ،لأن نظام دويلات المدن ،وما كان يقوم بينها من حروب يقف حجر عثرة فى سبيل تقدم مصالحهم .

و فيما يتصل بشكل الحكومة فى بلاد الرافدين فكان هو الشكل الملكي الاوتوقراطى اى ان السلطة كانت متمركزة فى يد الملك ،وقد ساد هذا الشكل منذ فجر الاسرات الى نهاية حياة الدولة البابلية . كان الملك هو صاحب السلطان المطلق . ومما هو جدير بالذكر ان هناك

من الادلة مايشير الى انه قد قامت فى العراق شبه ديمقراطية خصوصا فى الفترة الشبيهة بالكتابة ، اى فى النصف الثانى من عصر الوركاء وجمدة نصر ،وكانت فيه شئون الدولة مقسمة بين الملك وبين مجلسين من مجالس الشورى المجلس الاعلى من آعيان المملكة وشيوخها ويتألف الثانى من جميع الرجال القادرين على حمل السلاح وعلى الرغم من جهلنا الكثير عن هذه المجالس و بخاصة كيفية تأليفها و صلاحيتها و علاقتها بالملك و بعضها ببعض فان الاشارات تدل على ان هذين المجلسين كانا يهتمان على الشئون المهمة فى الدولة كالحرب والسلام،و كان لهذين المجلسين كذلك الحق فى انتخاب الملك . الا ان هذا النظام الديمقراطى الذى ظهر فى فجر التاريخ فى بلاد الرافدين لم يتطور كما تطور فى بلاد اليونان ،وربما يرجع ذلك الى انفاته مع احوال البلاد ، اذ انه كان يحول دون التوسع السياسى من مدينة الى دولة كبيرة كما ان هذه الديمقراطية لاتصلح اذا مامر بالبلاد آزمة من الازمات خصوصا الحروب الخاطفة التى تتعارض مع البطء فى اخذ القرارات من هذه المجالس . على ان مجالس الشورى السابقة ظلت لها اختصاصات اخرى و هى الاشراف القضائى والنظر فى التشريعات . وظل فى بلاد الرافدين مجلسان

عاملان فى كل مدينة ينظران فى الدعاوى المهمة مثل توقيع عقوبة الاعدام وتنفيذهـــــا .

ولقد كان مظهر الملكية فى العراق القديم دينيا وعبر الادب العراقى عن ذلك بأن شارات الملك كانت فى السمـــــاء عند الاله آنو ،وان الآلهه فى السماء قد أنابت عنها فـــى حكم البشر الملوك والحكام ،وان النظام الملكى هبط مـــن السماء ،وعند ذلك قام الاله انليل والالهه عشتار بالبحث عن راع يرعى مصالح الناس ،وكانت الآلهــه تقوم بانتخــــاب حكام الارض . ونجد صدى ذلك فيما بعد فى عصر الامبراطوريـة الاشورية اذ كان يقوم الملك بانتخاب احد اولاده ليكــــون خليفة له وتقر الالهه هذا الانتخاب ،وبعد ذلك يدرب علـــى مهام منصبه الجديد ،وحينما يرتقى العرش تجرى احتفـــالات دينية يمنح اثناءها اسمــه الملكى و شعارات الملـــــك، واقيمت هذه الاحتفالات فى آشور المدينة المقـــــــــدسة للامبراطوريـــــــة .

ومما هو جدير بالذكر ان ملوك العراق القديم لــم يصبحوا آلهة كما هو الحال فى مصر الفرعونية ،بل كــــــان الملوك ممثلين للالهه فقط تجاه الناس . ولقد تدرجـــــت الالقاب التى كان يحملها الحكام ،ففى فترة دويلات المـــدن

وجد لقب " حاكم المدينة " ثم لقب " ملك " ،وفي اواخر عصر فجر الاسرات لقب " ملك البلاد" وأول من استعمل هذا اللقب " لوجال زاجيزى " ملك " أوما " الذى اصبح ملكا على كل البلاد . ومن هذه الالقاب كذلك " ملك الجهات الاربع " وكان هذا لقبا لبعض آلهة سومر العظام مثل آنو وانليل وشمش ، حيث كان العالم فى عرفهم مكونا من اربع جهات وبذلك اصبح للملوك بموجب هذا اللقب معنى دينى ،واستخدم الاشوريون لقبا شبيها بذلك فلقب الملك " ملك الكون " ثم لقب ايضا ب " ملك سومر وأكد " وقد حمله غالبا ملوك أسرة أور الثالثة .

اما عن واجبات الملك ،فقد كانت عليه واجبات دينية وأخرى مدنية وفيما يتصل بواجباته الدينية ، فيلاحظ انه كان الكاهن الاكبر للاله الوطني ،وهو الذى كان يقوم بطقوس العبادة وبناء المعابد واستشارة الآلهة ومراقبة ادارة اموال الهياكل كما يقوم بتعيين الكهنة . اما عن واجباته المدنية فمن اهمها قيادة الجيش ، فقد كان قائد الجيش الاعلى كما قام الملوك بتعيين القضاة على جميع درجاتهم ،كما كان الملوك على دراية تامة بما يدور فى ولاياتهم ،واهتموا كذلك بشئون الرى وتطهير الانهار .

وكان للملك معاونون منهم الوزراء الذين يرأسهم وزير ،واختص هذا الرئيس غالب بشئون السياسة الخارجية ومن اخطر الوزراء منصبا وزير المالية اذ انه كان مسئولا عن الشئون الاقتصادية المختلفة ،ويلي هؤلاء الوزراء أهمية قواد الجيش الذين علت مكانتهم بعد ان زادت جيوش الملوك قوة وعددا ،واطاع هؤلاء المساعدون الملك طاعة عمياء .

وعين الملك حكاما وولاة للاقاليم ، وكان هؤلاء فى اقدم العصور أشبه بأمراء الاقطاع اذ كان يرثون مناصبهم ، ولكن زال عنهم هذا الحق فيما بعد حيث اصبح الحكم المركزى قويا ،كما عين الملوك قضاة مدنيين بدرجات متفاوتة الى جانب قيام الكهنة بتطبيق احكام الشرائع وتفسير نصوصها فى المعابد .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان للملك حاشية من الموظفين منهم ناظر القصر أو رئيس الديوان الملكى ورئيس السقاة ورئيس الخبازين ... الخ ، كما كان للملك سفراء خاصون يوفدهم ليمثلوه فى بعض المهام لدى الدول الاخرى ، ورافق هؤلاء تراجمة وكتبة .

ومع وجود هذه الطوائف من الموظفين كان نشاط الملوك فى الاضطلاع بمهام الدولة المختلفة غير محدود ،وتتبين

فى آثارهم مدى تنوع الاعمال التى قاموا بها ،كما نتبين مدى وتدخلهم على مختلف شئون الدولة حتى فى بعض الامور البسيطة، مثل نظرهم فى بعض شكاوى الافراد ويعيدون الدعاوى الى المحاكم لاعادة النظر فيها لاستيفاء بعض الاجراءات . كذلك كانت بعض القضايا لا يبت فيها الا بقرار من الملك شخصيا وكان على الملوك ايضا ـ كما سبقت الاشارة ـ ان يقوموا بمشروعات عمرانية مختلفة مثل تطهير الانهار وشق القنوات وبناء المعابد ،وهم الذين يقومون كذلك بتفسير ماآرب الآلهة ، وهم فى نفس الوقت يمثلون الرعية لدى الآلهة وهم الذين يرأسون الطائفة الدينية ويعينون رؤساء الكهنة ،والى جانب هؤلاء الاخيرين كانوا يعينون بعض الكهنة والعرافين الذين كانوا يرسلون الى جهات مختلفة لرصد النجوم ويرسلون الى الملك بتقاريرهم .

ومن ناحية أخرى فيلاحظ أن القوم قد اعتقدوا أن الملك هو المسئول أمام الآلهة عن سلوك البشر وأعمالهم ،كما أنه الوسيط بينهم وبين الآلهة ، وعلى ذلك فانه كان يقوم فى بعض الأحايين بالتكفير عن ذنوب البشر . ومما يشير الى ذلك بعض النصوص التى وصلتنا ومنها ما يذكر قيام أحد الملوك الاشوريين بالصلاة للآلهة لوقوع خسوف للقمر فسر بأنه نذير شؤم ، ووصف نص آخر ما ينبغى للملك أن يفعله فى حالة

حدوث زلزال ،فكان عليه أن يقدم القرابين الى الآلة آنو وانليل وايا ، ويلزم عليه بعد الصلاة أن يحلق ويزيل شعر جسمه ويضع الشعر فى اناء خاص يضعه فى حدود بلاد الاعداء.

وفى بعض الطقوس الدينية كان من الممكن للملك أن يرسل رداءه بدلا من حضوره الشخصى ، وكان الكهنة يمثلون الملك فى طقوس العبادة اليومية فى المعابد ، ومن الشعائر الخاصة فى بلاد الرافدين عادة تعيين شخص بديل للملك ليقوم ببعض الشعائر الخطرة ،حين تظهر نذر مخيفة غامضة من الآلهة تهدد الدولة ، وفى حالة القيام باجراء العمليات السحرية على جيش العدو قبل بدء المعركة كان محظورا على الملك الاشتراك فيها لئلا يتعرض لأثر السحر ،فينوب عنه بديل أو شىء خاص به كصورته أورداءه .

ومن أهم واجبات الملوك ازاء الآلهة بناء المعابد وتجديد بناءها ومرمتها بالاثاث وتزويدها بما يلزمها من أدوات وتماثيل للآلهة واستنزفت هذه الاعمال موارد كثيرة من ايرادات الدولة وكذا جهد الملوك .

وفيما يتصل باعتلاء العرش ، فانه يلاحظ أن الملوك الآشوريين فى عهد الامبراطورية الثانية كانوا يتبعون قاعدة تعيين ولى العهد واشراكه فى الحكم ،وكانت الآلهة تستشار

فى أمر تعيين ولى العهد ،ولم يكن من الضرورى أن يكـــون ولىالعهد أكبر أبناء الملك ،وفى ذلك يذكر الملك اسرحدون كيفية تعيينه لولاية العهد فى عهد أبيه فيقول :" كنت أصغر أخوتى ، ولكن أبى الذى ولدنى شرفنى فى مجلس أخوتى بأمـر الآلهة آشور وشمش ومردوخ وبنو عشتار نينوى وعشتار اربيلا مصرحا بقوله : هذا خليفتى " ثم يشيرالى أن والده قـــد قام بذلك بطريق الفأل وبعد ان تمت مراسم تنصيبه وليـــا للعهد دخل الى بيت ولاية العهد ،وهو قصر عظيم كان يتدرب فيه ولى العهد على شئون الملك ،فكان يمثل الملك فـــى الاحتفالات الرسمية ويشرف على اقامة الشعائر الدينية ويعـد بحيث يكون مهيأ لتولى مسئوليات الدولة بعد وفاة والده .

أما عن المراسيم الخاصة بالتتويج ،فكانت تبدأ بتسلم الملك الجديد شارات الملك فى معبد اله المدينة الرئيسى، وقد جسم السومريون التاج والصولجان وجعلوهما بهيئـــــة الهتين سموهما " سيدة التاج " و " سيدة الصولجان " وكانا يوضعان على دكة مذبح المعبد.

ويوجد نص آشورى يصف حفلة التتويج ، ويستدل منـــه أن الملك الجديد كان يقصد معبد الاله آشور فى مدينة آشور وهو محمول على اكتاف الرجال فوق عرشه ،ويسبق الموكـــب

كاهن يضرب الطبول ويصيح : آشور هو الملك ،أشور هو الملك وبعد أن يصل الموكب الى المعبد يدخله الملك وأول مايفعله أنه يقبل الأرض ويحرق البخور ثم يعتلى منصة عالية فى نهاية المعبد حيث يقوم تمثال الاله ،وهنا يلمس الارض بناصيته ويقوم أمام تمثال الاله هدايا يحملها خصيصا لهذه المناسبة ،وتتألف من إناء ذهبى وزيت ثمين وكمية من الفضة ورداء موشى مطرز ،ثم يهيأ منضده القرابين الخاصة بالاله أشور ، ثم يتوج الكاهن الملك بتاج الاله آشور واسلحة الالهة انليل ، وبعد ذلك يرجع موكب التتويج الى القصر الملكى حيث يجتمع الوجهاء أمام عرش الملك ليقدموا اليه الولاء والطاعة ،وكانوا يخلعون شاراتهم وأوسمتهم المميزة ويضعونها أمام الملك ،ويقدمون انفسهم بدون مراعاة لمناصبهم في البلاط ، والمقصود من ذلك أنهم تخلوا عن مناصبهم فى الدولة بمناسبة تتويج الملك الجديد لينتخب هو أعضاء حكومته وكبار موظفيها ومن بينهم وزيره الاول الذى يستقبل معهم أيضا ، وبعد ذلك يقوم الملك بتعيين أعضاء حكومته .

الحواشـــــــي

(١) طـه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ،القسم الاول ص ٣٧٥ — ٤١٢ .

(٢) Contenau, Everyday Life in Assyria and Babylonia, New York, 1966.

(٣) Frankfort, H., Kingship and the Gods,1948

(٤) Jacobsen, T.,"Pri-itive Demacry in Ancient Mesopotamia" in J.N.E.S, vol. II, 1943, pp.159

(٥) Kramer, S.N., "Sumerian Similes" in Journal of American oriental society, vol. 89(1969) pp 1 - 10.

(٦) Olmstead, A.T., History of Assyria, Chicago 1923.

(٧) Roux, G., Ancient Irag, Cleveland, 1965.

(٨) Waterman, L., Royal correspondence of the Assyrian Empire, vol. 4, 1936.

الجيـــــــــــش

كان الجيش واحدا من أهم نظم المجتمع فى العراق القديم فمنذ أقدم العصور ومدن الفرات الاولى فى صراع فيما بينهما فى سبيل مد النفوذ والسيطرة ولم تبدأ الجيوش النظامية فى بلاد سومر الا فى آواخر عصر فجر الاسرات ، ومنذ ايام الاكديين حيث اقتضت الحروب الخارجية ضرورة وجود جيوش منظمة ، وكانت الخدمة العسكرية تعتبر " خدمة الملك " فكانت تخصص بعض الاراضى للداخلين فيها ،ولكن مع جواز اعطاء هذه الاراضى الى الابناء على شرط القيام بخدمة الملك ،فان مثل هذه الاراضى لم يكن من الجائز بيعها او رهنها، ويبدو ان ضباط الجيش كانوا يعتبرون من ضرورات الأمن فى المدينة ،حيث كان المعبد يقوم بدفع الفدية عنهم فى حالة أسرهم اذا لم يتمكنوا من دفعها بأنفسهم ، بل كانت المدينة كذلك ملزمة بدفعها اذا لم يوجد فى المعبد المال اللازم لذلك .

وتوضح المادة الاثرية التى عثر عليها كيفية تكوين الجيوش ومعداتها ومن هذه الادلة الاثرية " لوحة العقبان " التى اقامها الملك " اياناتوم " فى لجش عقب نصره على أوماء ويستدل من المناظر المنقوشة على وجهها كيفية تكوين الجيش السومرى فى هذا العهد والصورة التى كانت عليها معداته .

فكان الملك يسير الى الحرب على رأس جيشه ، وكـــان

يغطي كتفه جلد ماعز ،وتحمي رأسه خوذة شبه مخروطية يتدلى منها من الخلف مايستر العنق ،وسواء أكان يحارب راجلا أم راكبا عربته ،فان سلاحه كان يتكون من حربة وأداة مقوسة مكونة من عصي و نصال ،ربطت الى بعضها بواسطة سيور او حلقات • ومن الاسلحة التي شاع استخدامها منذ أقدم العصور فأس القتال •

ويستدل من النقش السابق ان الجيش كان ينقسم الى فريقين من المحاربين : سلاح الهجوم وهو الذى ينزل رجاله فى المعركة بانتظام ومعهم الملك راجلا وهم متقدمون فى طوابير كل منها من سبعة من المحاربين يحمل أولهم سلاح الدفاع وهو درع مستطيل ، اما الباقون فمزودون بالحراب ،ويمسكها كل منهم بيديه من طرف العصا تقريبا •

ويستدل من الخوذ الواقية التى لبسها جنود الملك " أيا ناتوم " أن الجنود كانوا يتعرضون أثناء المعركة الى قذائف تأتيهم من أعلى ،ولذلك صممت الخوذ الواقية بشكل مخروطى لان هذا الشكل يساعد على تخفيف الصدمة اذا ماسقطت على الخوذة قذيفة ما ،وهذه القذائف كانت توجه اليهم من القوات المساعدة للجيش المهاجم •

ومما قد يؤكد ذلك النصوص التي تصف المعركة التي حدثت بين مدينتي الوركاء وآراتا وذلك حوالي عام ٢٦٠٠ ق.م ،وقد جاء فيها :

" في ذلك الوقت تبع سكان أسرة الوركاء الملك انميركار مثل رجل واحد ،فعبرت جيوشه الجبال المحيطة بمدينة أرتا (زحفا) كما تزحف الافعى بين اكوام الحبوب وعندما وصلت الجيوش الى منطقة لاتبعد كثيرا عن مدينة أرتا بدات راجمات الاحجار ترمى أحجارها التي سادت كميتها كمية الامطار التي تسقط خلال سنة كاملة ،فسقطت لذلك الاحجار بكثافة على أسوار مدينة أرتا "

ويلاحظ من ذلك ان كتيبة راجمات الاحجار كانت تقوم خلال الالف الثالث ق.م بمساعدة المشاة داخلها تسبه حاليا سلاح المدفعية .

ولقد ورد في النصوص الخاصة بالحرب السابقة مايفيد ان الضابط من رتبة (اوكلا) كان يقوم بقيادة ٣٠٠ جندي ،والضابط من رتبة (نوبندا) كان يقود ٦٠٠ جندي و الضابط من رتبة (شاركينا) كان يقود ٢٥٢٠٠.وكان الـ" شاكينا " ثاني شخصيته في الجيش بعد شخصية الملك.

وتبين من النصوص المسمارية انه كان للملك ولقصره حرس خاص يسمى باللغة السومرية " شوب ـ لوجال "أي بمعنى التابعين الى الملك ،وقسم الجنود الى نوعين الاول ويسمى " ايرن " ويعني الجند النظاميين ،والآخر يسمى " كوروش " و هم الذين كانوا يلتحقون بالخدمة العسكرية وقت الحرب .

وفي العصر البابلي القديم كان الملوك يتسلحون ببلطة سطحها ضيق وقوس مزدوج وسهام. اما قواده فقد يتسلح الواحد منهم بحربة وبلطة ذات نصل محدب ،أو بلطحة فقط، بينما يحمل فريق المحاربين حرابا او قسيا ابسط من قوس الملك او ان يحمل الواحد منهم بلطة وحربة او بلطحة وعلم .

ويستدل من لوحة ترجع الى هذا العهد على ان الخرزات قد صنعت من الجلد و كانت تستعمل فيه جلود الثيران او الصوف ،كما ان غيرها كان يصنع من البرونز اما البلطات فكانت من البرونز و كذلك رؤوس الحراب ،واما في صناعة الجعب فكان يستعمل الجلد والصوف .

وقد وجدت عربات حربية تجرها الحمير والخيول الوحشية ،ولم تستعمل الخيول المستأنسة الامن عصر متأخر

نسبيا ،و كانت هذه العربات ثقيلة عجلاتها صماء ولم تظهر العجلات الخفيفة الا فى حوالى الالف الثانى قبل الميلاد ٠

وكان رؤساء الجيش مسئولين بالاضافة الى قيادتهم للجند عن الاشراف على السخرة التى تتطلبها المشاريع العامة و يبدو ان طائفة من الناس كانوا ملزمين بمثل هذه الاعمال وبالخدمة العسكرية الاجبارية ،وكان لهؤلاء قوادهم ورؤساؤهم ولايستطيع احد الملزمين التهرب من اداء الالتزام وهو خدمة الملك وان كان الامر قد تطور فيما بعد فأصبح من الممكن الحصول على الاعفاء فى مقابل دفع ضريبة سنوية ،وكانت تسمى هذه الضريبة " مال الايلكو " والايلكو هو " خدمة الملك " وفى معناها الواسع املاك الدولة تمنح على صورة معاش مدى الحياة يمنح للمشتركين فى الجيش وهو عبارة عن حديقة او بيت او حقل او حتى مواشى ٠

ويرجح انه كان يقوم باستدعاء الرجال للخدمة طائفتين من القواد او المشرفين ، اختص بعضهم بجمع المجندين لوظائف الجيش و كلف البعض الاخر بأعمال البوليس ومنح الملكفون بالجيش املاكا من اموال الدولة فى هيئة معاش مدى الحياة ،كما ان المكلفين بأعمال البوليس كانت

لهم امتيازات شخصية وامتيازات بالنسبة لاملاكهم لايمكـن للحاكم ان يتعرض لهما والا كان مصيره الاعدام، واذا مـا تغيب احد هؤلاء المكلفين فان ابناءه يديرون املاكـه واذا كان هؤلاء الابناء لم يشبوا عن الطوق بعد، فـان الزوجه كانت تدير هذه الاملاك فى مقابل ثلث الايراد. وكـان على المنتفع بهذه الارض المحافظة عليها فى حالة جيـدة وان تعمد مالكها الذى منحت له اهمالها فلا يجوز تملكـه لها، واذا احتلها آخر لمدة ثلاث سنوات فلا يجوز تملكـه لها ويصبح واضع اليد عليها هو المنتفع الشرعى .

ولقد ورد فى قوانين حمورابى العديد من المـواد المتصلة بشئون الجيش ومنهـا :

المادة ٢٧ : " اذا أسر جندى او سماك فى اثناء الخدمة المسلحة للملك وبعد ذلك (أى أثناء غيابه اعطوا حقله وبستانه لرجل آخروآو فى (الرجل الاخر)مايملك من الالتزامات الاقطاعيه ،فاذا عاد (الجندى أو السماك) ووصل بيتـه فعليهم ان يعيدوا له حقله وبستانه وعليه ان يمارس حقوقه الاقطاعيه .

المادة ٢٨ : " اذا أسر جندى او سماك فى اثناء الخدمة المسلحة للملك و كان ابنه قادرا على القيام بالالتزامات الاقطاعية ،فعليهم ان يعطوه الحقل والبستان وعليه ان يمارس حقوقه والسده ' الاقطاعية .

المادة ٣٦ : "لايجوز للجندى ولا للسماك ولا للمزارع ان يبيع بالمال الحقل والبستان والبيت .

المادة ٣٢ : اذا اسر جندى او سماك فى اثناء حملة مسلحه للملك واعتقه تاجر واوصله الى بلدته فاذا كان فى بيته (من الاموال) مايكفى لعتق نفسه فعليه ان يعتق نفسه ،واذا كان لايوجد فى معبد اله بلدته مايكفى لعتقه فعلى القصر ان يعتقه ،ولايجوز ان يعطى حقله وبستانه مقابل عتقه .

المادة ٣٦ : اذا طلب الالتحاق جندى او سماك فى حملة للملك ولم يذهب بل اجر بديلا عنه وارسله بدلا منه فأن ذلك الجندى او السماك يعدم اما بديله فله ان يأخذ بيت الجندى او السماك .

ويرى بعض الباحثين انه وجدت فى العراق القديـــم قبل عصر حمورابى جهاز للمخابرات كان من أولى مهامــــه الحد من نشاط مايسمى حاليا بالطابور الخامس وتوفيــــر المعلومات الضرورية عن العدو ،وكان هذا الجهاز مرتبــط مباشرة مع الملك ،ولقد ورد فى قوانين حمورابى مـــــادة قد يستدل منها هذا الامر ،وقد جاء فيها وهى المـــــادة رقـم ١٠٩ : " اذا تجمع محتالون (مجرمون) فى بيـــت بائعة الخمر ولم تلق القبض عليهم ولم تقدمهم الـــــى القصر ،فان بائعة الخمر هذه تعدم ".

وتؤكد هذه المادة أن جميع الاماكن التى يؤمهــا الناس الذين يميلون بطبيعة تربيتهم الى خلق المشاكــــل والاخلال بالامن كانت توضع تحت الرقابة وأن أصحاب هـــــذه الاماكن ملزمون باخبار السلطة بكل سلوكيات الاشخاص التى من الممكن أن ينجم عنها مايربك الامن والاستقرار او يهدد سلامـــة البـــلاد .

كان الاشوريين قواد حرب من الطراز الممتاز ،وقـــد طغت عليهم الحياة الحربية ،فقد كان ملوك اشور قــــواد حرب اكثر منهم رجال دولة ،فكانوا يقومون بحملات سنويـــة تقريبا ،وكان ذلك على الارجح فى شهر يوليو (تموز) ،وتروى

الاساطير العراقية ان الاله " نن ايجى آزاج " سيد العلم قد كتب فى اللوحة القديمة انه فصل تجمع الجيوش وانشاء المعسكرات ولكن يلاحظ ان الملوك الاشوريين كانوا لايخرجون فى حملاتهم دون استشارة الالهه بواسطة العرافين الذين يقومون بدراسة أمعاء الذبائح ويتقبلون الامر الالهى فى الاحلام او بواسطة المتضلعين فى معرفة النجوم ،كما انهم كثيرا ماقاموا بحملاتهم بناء على أمر الهى يتراى فى احلامهم ولم يعتمد ملوك اشور على ذلك فقط بل كانوا يرسلون العيون الى المقاطعات المزمع مهاجمتها ويتلقون التقارير عن هذه الجهات ومدى النجاح المتوقع لحملاتهم وحينما لايكون الملك على راس الجيش ،كان ينوب عنه اكبر موظف فى البلاط الذى يدعى الـ " تورتان " فى قيادة الجيش .

وفيما يتصل بتسليح الجيش الاشورى ،فتوضح الادلة الاثرية ان المشاة الثقيلة فى الالف الاول كان يضع افرادها فوق رؤوسهم خوذات مخروطية مزودة بقطع جانبية لحماية الاذنين ، اما الصدر والجزء العلوى من الساعدين فكانا يغطيان بزرد من قشور محاربة مروحية الشكل تلبس فوق الدثار . وكان يكمل الزى سراويل واحذية طويلة . وتكونت المشاه الثقيلة من مجموعتين : حملة الاقواس وحملة

الرماح ،ومع كل منهم سيف قصير للحرب عن قرب ،وكان رجال المجموعة الثانية يحملون رمحا طويلا ودرعا مصنوعا من المعدن وهو على هيئة مستديرة او محدبة ،او يكون مصنوعا من الخيزران المجدول وهو مستدير عند القمة . واما حملة الاقواس فكان لديهم القوس والجعبة المعلقة على الظهر وضمت المشاه الخفيفة كذلك حملة الاقواس و حملة الرماح ولكن حملة الاقواس لم يكونوا يلبسون الزردووضع حملة الرماح الخوذات التي تنحني من أعلى الى الخلف كما حملوا درعا صغيرا من الخيزران المجدول .

ومن الملاحظ ان الجيوش الاشورية ادخلت نظام الفرسان ،و كانت معداتهم تشابه معدات المشاه ،وكان تسليحهم طبق الاصل تقريبا ولكن القوس كان أقصر على حين كان الرمح اطول ولم يكن للدرع وجود ،فكان الفرسان الاوائل يركبون الخيل دون الاستعانة بالسرج ويصحب كل منهم خادم يركب مثله ليقود الجياد اثناء المعركة ثم تقدمت الفروسية فوضعت السروج فوق الخيل واستغنى عن الخدم .

وفضلا عن ذلك وجد عربات حربية يجر كل منهما زوج من الخيل ويركبها ثلاثة رجال احدهم للقيادة والثاني

مسلح بحربة او قوس والثالث يحميهما بدرع • و كانت عربة الحرب المركبة فوق عجلتين ضخمتين عاليتين تتكون من صندوق يعتمد على المحور مباشرة وكان جسمها مكونا من لوحات مزينة بالنقوش والتطعيم • و كانت عدة الخيل خفيفة و كان يضاف اليها احيانا بعض السروج او الزينة •

وتوضح بعض النقوش المتعلقة بحصار بعض المدن ان الاشوريين قد استخدموا آلات للهدم تحميها سقوف من اغصان متشابكة ،كما استعملوا أبراج عالية تسير على عجلات الى ان تصل الى قرب السور المحاصر،و يعتلى هذه الابراج رماة السهام الذين يرمون بسهام الجند الذين يعتلون الاسوار للدفاع من المدينة المحاصرة •

وقد اشتهر الاشوريين بالقسوة فى حروبهم ،وفى معاملة اعداشهم والمدن التى تسقط فى ايديهم، اذ كانوا يبيحون لجنودهم بعد انتصاراتهم البلاد المفتوحة فيعملون فيها السلب والنهب والتدمير ،وكثيرا ماكانوا يقومون بتخريب المحاصيل وحرق القرى ،وهم أول من استن سنة نفى سكان البلاد التى تخضع لهم واحلال سكان آخرين فى مكانهم ليمزجوا بين الشعوب الخاضعة لهم حتى تفقد صفاتها القومية ،فهم الذين نفوا سكان اسرائيل الى ميديا وأحلوا مكانهم مواطنين آخرين من جهات مختلفة •

واذا ماأعطينا امثله لهذه القسوة فى الحرب فسنجد على سبيل المثال شلمنصر الثانى الذى حول مدن اورارتو الى اكوام من الخرائب ،وكوم اهراما من الجماجم ووضع المهزومين على الخوازيق واحرق القرى واقتلع المزروعات واجتث اشجار الفاكهه فى البساتين ،وسلب ونهب كل ما استطاع حمله ومادون ذلك فقد آضرم فيه النيران ومنهم كذلك تجلات بلا سر الثالث الذى كان يشيرالى تدميره الكامل للمدن حتى سواها بالارض ،وبقطعه للاشجار ووضعه زعماء الثوار على الخوازيق ،ومما يذكر انه الذى استن نفى سكان الاقاليم المهزمة الى اقطار اخرى من الامبراطوريــة .

وفيما يتصل بالرتب العسكرية فى الجيش الاشورى فيما يخص الجنود ،فقد زادت أصنافهم عما كانت عليه فى الفترات السابقة ،فكلمة الجندى الاعتيادى كانت تلفظ " صابو " وهى ترجمة لكلمة " ايرن " السومرية ،واسم المقاتل فى الجيش الشعبى كان يلفظ " قرادو" ويعنى القوة فهو بذلك ترجمة لكلمة " كوروش " السومريه .

وعلاوة على هذين الصنفين ، توجد فئات أخرى ذات تدريبات وتخصصات عسكرية آفضل وذلك مثل " بيرو" "كوشو" " كلبو " و " موتيسر ٧

وفيما يخص الضباط ،فأعلى رتبة فيالجيش الاشـــورى هى رتبة " الترتانو " وهو بمثابة رئيس أركان الجيـــــش أى على غرار رتبه " الشاكينا " ،وكان لحامل رتبـــــة " الترتانو " بديل يسمى " ترتانو شنو " وذلك فى حالـــة اذا ما اصابه مكروه أو آلم به شىء أثناء قيادة المعـــارك فان البديل يتولى المسئولية فورا ،ومعنى لقبه الترتانـــو الآخــــر .

و كان يرتدى الترتانو حلة طويلة نهايتها السفلـى مزخرفة وفى وسطها حزام عريض وآخر ضيق ويرتدى فوقهــــا شالا يتكون من ضفائر طويلة ويترك عادة كتفه الايسر عاريا وكان يرتدى على راسه عصابه مزخرفة عريضة من الامام يتدلى منها شريطان من الخلف ،ويلبس حذاء شبيها بما ينتعلـــه الملك وهو مثبت بالقدم بسيور تدور حول الاصبع الكبيـــر وحول العقـب .

ويلى الترتانو رتبة " الراب شاقة " والتى تعنـى كبيرا السقاه ،وهى تفيد اهمية توفير الماء الـــــلازم للجنود أثناء المعارك ،ويليه " ناقر ايكالى " اى بمعنى منادى القصر ،ومهمته دعوة الشباب الى الخدمة العسكريـــة ويليه " الابركو " وصاحبها مسئول عن الناحية الماليـــة

و كانت هذه الرتب الاربع بجانب الملك تكون الرتب العسكرية العليا •

ويلى هذه الرتب الرئيسة رتب أخرى مثل " راب موكى " بمعنى كبير الضباط وكان تحت امرته الخيالة والعربات ،ورتبة " راب كيصر " بمعنى قائد سرية وكان صاحبها يقود مائة جندى مع خمسين عربة ،وكان يليه قائد فرقة تتكون من خمسين جنديا وخمسة وعشرين عربة حربية ،كما كان هناك من تحت امرته عشرة جنود •

و كانت هناك وظائف أخرى مساعدة فى الجيش ،ومنها " راب ـ آسى " بمعنى كبير الاطباء ،و " راب زمارى" رئيس الموسيقى العسكرية •

المراجــــــع

- فوزى رشيـد : الجيش والسلاح ،مجلد حضارة العراق ،ج ٢ ، بغداد ،١٩٨٥ ،ص ٣٩ — ٦٢
- يوسف خلف عبد الله : الجيش والسلاح فى العهد الاشـورى الحديث ،بغداد ،١٩٧٧
- ل، ديلابورت ،بلاد ما بين النهرين ،الحضارتان البابليـــة والاشورية ، ترجمة محرم كمال الالف كتاب (٣٥)ص٨٢

Brinkman, J.A., A political History of post- Kassite Babylonia, Roma, 1968.

Salomen, A., Notes on wagon and chariots in Ancient Mesopstamia, Helsinki, 1950.

القضـــاء

اشتهرت بلاد النهرين بما عثر عليه فيها من قوانيـــن تعد اقدم ما عرف حتى الآن ، اذ لم تصلنا اية مجموعة قانونية تسبقها في التاريخ ،ومع إن بعض الاشارات والمواد القانونيـة وردت الينا في بعض النصوص المصرية وهي توحي بوجود قوانين كانت متبعة ، الا ان هذه القوانين لم تصلنا نصوصها فـي أي مجموعة تشريعية حتى الآن .

ولئن اشير الى شرائع العراق القديم بأنها اولى جهـود البشر في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد واصول معينـة فان اهل العراق القديم انفسهم كانوا يعدون الاله مصـــدرا لهذه الشرائع . والواقع انها بلغت من الكمال حدا يدفعنــا الى القول بأنها ان لم تكن من صنع الاله كما يزعمون ،فانها ثمرة جهد وتفكير يستحقان الاعجاب والتقدير.

،وعلى اية حال فقد كانت النظرة القانونية لاهل الرافدين علامة ثابتة مميزة لمنحاهم في التفكير خلفت طابعها علــى جميع صور حياتهم الاجتماعية . فثمة ميل طبيعي الى التمييز والتقنين يكمن وراء النظام التشريعي الضخم الذي نهضت بـه الحضارة البابلية والاشورية ،والذي كان بدوره احدى الوسائل الاساسية التي امتدت بها تلك الحضارة الى البلاد المجاورة.

ونحن نلحظ فى هذا المجال خاصة ذلك الامتزاج بين العناصر السومرية والسامية الذى يميز حضارة الرافدين عامة ابلغ تمييز ،ولكن من الصعب هنا ايضا فصل العناصر التي خلفها السومريون عن العناصر السامية : الاصل ،وان كنا نستطيع ان نتبين بعض الملامح البدوية فى تشريعات وعادات معينة ، ومصادرنا هنا ليست شرائع مدونة فحسب بل مئات الالوف من العقود والمستندات والوثائق القانونية التى تشير الى ان كافة المعاملات كانت تجرى على اساس شرعى قانونى •

ولعل التفكير في ان مصدر القوانين الهي وان الملوك حين اصدروها فانما بوحي من الاله جعل منها قواعد قد تتصف بالثبات والاستقرار وربما نشأت ـ عادة وعرفا اكتسبت فيما بعد صفة الالزام فى تنظيم العلاقات الاجتماعية • ولئن لم تكن شرائع العراق القديم اقدم شرائع معروفة فانها على الاقل من انضج وارقى ما تفتق عنه الذهن البشرى من تقنين وتشريع وهى مدونة بأسلوب قانونى يتسم بالدقة وهى تتناول فى مجموعها العلاقات الاجتماعية بين الافراد بعيدة عن العبادات والمؤثرات الدينية ، وهى ليست فى صلب كتب مقدسة بل هى جديدة على نظائرها فى هذا الميدان •

والاكتشاف الاكبر فى ميدان القانون بأرض الرافدين هو قانون حمورابى الذى كشف فى اول هذا القرن بين اطلال " سوسا "

وكان قد نقله اليها ملك عيلامي بعد غزوه لبابل ،وهو مكتوب على نصب كبير يرى في جزئه الاعلى صورة بارزة للملك واقفا امام المعبد ،ويجرى النقش تحت الصورة وهو يبدأ بمقدمة يمجد فيها الملك المهمة التي القتها الآلهة على عاتقه من نشر العدل في الارض والدفاع عن الفقير ضد الغني ومن التقي ضد الآثمين ،وتلي ذلك مجموعة القوانين ثم تأتي اخيرا خاتمة يمجد فيها الملك مرة أخرى عمله ،ويرجو ان يجد فيه المضطهدون كلمات عزاء وعدل . وقد عد قانون حورابي زمنا طويلا انتاجا مبتكرا الى حد كبير ،ولكن عدل هذا الحكم بعد ان اكتشفت مجموعات اقدم القوانين .

ومن الجائز - حسب ما وصلنا حتى الآن - ان نعتبر "اوركا جينا" ملك لجش اول مشرع في تاريخ البشر حيث وردت بعض الاشارات من عصر فجر الاسرات ومن العهد الاكدي تشير الى اصلاحاته الاجتماعية وتنظيمة للادارة وازالته للظلم عن الطبقات الفقيرة ،كما وجدت بعض النماذج لوثائق القانونية ، وفي عهد الاكديين بالذات يمكننا ان نتتبع وجود طبقة خاصة من القضاة المدنيين ،وكان هؤلاء يتمتعون بمكانة سامية ، كما نتبين ان " سرجون الاكدى " أدخل نظام القسم باسم الملك بين المتعاقدين عند تثبيت نصوص العقود.

وهناك شريعة اخرى ترجع الى عهد الملك " اور - نمو مؤسس

اسرة اور الثالثة وهى ترجع الى حوالى ٢١٥٠ق ٠ م وقد عثر عليها فى عام ١٩٥٢م وهى وان كانت غير كاملة من الناحية التشريعية ، اذ لم يرد منها الا المقدمة وبعض الموادالقانونية الا أنها تسبق شريعة " حمورابى "بنحو ٣٠٠ سنة ،كما انها تختلف عنها من حيث انها تأخذبمبدأ التعويض لا بمبدأ القصاص أو الجزاء الذى يتبين فى شريعة حمورابى ،وهى تنقسم كأية شريعة اخرى الى مقدمة ومواد تنص على الاحكام وخاتمة ،وتتلخص المقدمة فى انها تفويض من الآلهة بمزاولة السلطة ونشر الشريعة ٠

وهناك محاولة تشريعية اخرى بعد اوركا جينا واور ـ نمو هى قانون أشنونا (٢)٠ وقد نسب " جوتز" هذا التشريع الى ملك دعاه " بيلا لاما" ثم عدل هذه التسمية واكتفى بنسبة التشريع الى مدينته ، وقد دون هذا القانون على لوحين من الطين باللغة البابلية (السامية) لاشك انهما جزء من مجموعة لم يعثر عليها حتى الآن ، وهو بحالته الحاضرة يحتوى على نحو ٦١ مادة من المواد القانونية ،فيعادل بذلك قرابة الربع من شريعة حمورابى (٢٨٢ مادة) ويعنى ذلك ان قانون " حرمل" هذا أوسع قانون مدون بعد قانون حمورابى ٠

يبدأ قانون أشنونا بمقدمة قصيرة تتضمن اسم الملك الذى وضعت فى عهده وتاريخ كتابته ،ويلى ذلك المواد القانونية الخاصة بتحديد الأسعار والأجور والسرقات والاعتداءات والديه

الواجب دفعها في حالة إصابة أعضاء الانسان بأذى والديون والبيع والشراء ، والاحوال الشخصية . ونورد فيما يلى نماذج من هذه القوانين :

المادة (٥) : اذا أهمل المراكبي وتسبب اهماله في غرق المركب فانه يلزم بدفع ثمن كل الأشياء التي تسبب في غرقها .

المادة (٦) : اذا استولى رجل على قارب ليس له ، فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة .

المادة (١٢) : اذا قبض على رجل في حقل شخص من طبقة " المشكينم " (الطبقة الوسطى) نهارا فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة غرامة ،ومن قبض عليه في أثناء الليل فانه يموت ولن يحى .

المادة (١٣) : اذا قبض على رجل في منزل شخص من طبقة "المشكينم" نهارا فانه يدفع عشره شيقلات من الفضه ، ومن قبض عليه أثناء الليل فانه يموت ولن يحى .

المادة (١٥) : لايجوز للتاجر أو بائعة الخمر أن يتسلم من عبد أو أمه فضة أو حبوبا أو صوفا أو زيتا كرأس مال للمتاجرة .

(يرجع ذلك الى أن الرق بحكم القانون لايستطيع أن يملك شيئا لأنه كان هو ومايملك ملكا لسيده) .

المادة (٢٧) : اذا دخل رجل بابنة رجل آخر بدون إذن أبيها وأمها ولم يعقد عقدا بالزواج مع ابيها وأمها فلا تكون تلك المرأة زوجة شرعية حتى لو عاشت في بيته لمدة سنة .

المادة (٢٩) : اذا فقد رجل في أثناء حرب أو غارة أو أخذ أسيرا وبقى في بلد غريب زمنا طويلا ،فاذا تزوج رجل آخر زوجته وولدت له طفلا ،فاذا رجع الزوج الاول فان له الحق في استرجاع زوجته .

المادة (٣٠) : اذا كره رجل مدينته وملكه فهرب ثم أخذ زوجته رجل آخر ،فاذا رجع فلن يكون له حق في استرجاع زوجته .

المادة (٤٢) : اذا عض رجل أنف رجل وقطعه فانه يؤدي " مينا " واحدا من الفضه (يعادل المن ستين شيقل) ودية العين " مين " واحد من الفضه ،ودية السن نصف " مين " من الفضه ،ودية الصفع على الوجه عشرة شيقلات من الفضة .

المادة (٤٣) : اذا قطع رجل أصبع رجل آخر يدفع له ثلثي " مين " من الفضة .

المادة (٤٥) : اذا كسر رجل قدم رجل آخر فإنه يدفع له نصف " مينا " من الفضة .

وهناك تشريع رابع مكتوب في عهد " ليت ـ عشتار " (٣)
(حوالي ١٨٧٥ ـ ١٨٦٥ق٠م) خامس ملوك آيسين ، وسجل رجال
" لبت ـ عشتار تشريعهم على نصب حجرى كبير لم يعثر عليه
بعد ، وسجلوا نسخا آخري منه على ألواح متفرقة عثر منها حتى
الآن على سبع لوحات تفاوتت في مدى اكتمالها واعداد سطورها
وتضمنت في مجملها ثمان وثلاثين مادة يحتمل أنها كانت تؤلف
نحو نصف مواد التشريع ،وقد عثر على ست لوحات منه في نيبور،
ونقلت منها الى متحف الجامعة بلندن ،ويحتفظ متحف اللوفر
باللوحة السابعة ،ولكن مصدرها غير معروف ٠

وبعد المقدمة تأتي مواد القانون ، ونورد فيما يلي
نماذج منها :

المادة (٨) : اذا أعطى رجل أرضه الجرداء لآخر ليزرع فيها
حديقة ،ولم يتمكن الآخر من استكمال زرع هذه
الأرض كحديقة ،فانه يعطي الرجل الذى زرع الحديقة
الارض البور التي اهملت كجزء من أجره ٠

المادة (٩) : اذا قبض على رجل وهو يسرق في بستان رجل آخر
فانه يدفع عشرة شيقلات من الفضة ٠

المادة (١٠) اذا قطع رجل شجرة من حديقة رجل آخر ،فانه
يدفع نصف مينا من الفضه ٠

المادة (١٢) اذا هرب خادم أو خادمه من سيده والتحق أوالتحقت
بالعمل عند رجل آخر لمدة شهر ،فانه يلزم بأن يؤدى
لصاحبه خادما مكان الخادم الذى لجأ اليه ٠

المادة (١٣) : واذا لم يكن لديه خادم،فانه يدفع ١٥ شيقل من الفضة .

المادة (٢٥) : اذا تزوج رجل بامرأه وانجب منها ،وعاش هؤلاء الاولاد ، وفى ذلك الوقت انجبت العبدة لسيدها أولاد ،ومنحها سيدها حريتها هى وأولادها منه ، فان أولاد العبدة لا ينالون نصيبا من تركة والدهم وتكون خالصة لأبناء الزوجة الحرة .

المادة (٢٧) : اذا لم تنجب زوجة الرجل ،ولكنه انجب أطفال من العاهرة الموجودة فى الميدان العام ، فانه يعطى للعاهرة الحبوب والزيوت والملابس ، ويصبح الاطفال الذين انجبهم منها هم وارثيه ، ولكن لا يحق للعاهره ان تعيش مع زوجته فى بيت واحد .

ولعل هذه القوانين جميعا تدل على أن أهمية قانون حمورابى ترجع الى انه جمع ماكان متوارثا من قبل وقننه اكثر مما ترجع الى اصالة محتوياته ،ولكن لايغير هذا من أن قانون حمورابى حظى بأسرع انتشار وصيت واثر فى كل ماتلاه من قوانين .

وقد نقش قانون حمورابى(٤) هذا على كتلة من الديوريت ارتفاعها ٢٫٢٥ م ومحيطها ١٫٩٠ م عند القاعدة ،وقد تكسرت الى ثلاث قطع ونقشت مواد القانون التى تبلغ ٢٨٢ مادة فى ستة

واربعين عمود أعلى محيط الكتلة الحجرية ، وقد تناولــــت هذه المواد امور القضاء والأمن وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وعقود الزراعة وشروط القروض والاحوال الشخصية بما تتضمنـــه من تقاليد الزواج والطلاق والمواريث – والقصاص والتعويضـات وأجور اصحاب المهن ومسئولياتهم ،وتضمنت في ثناياها احكامـا رالية يتقبلها المنطق في كل عصر واحكاما أخرى يصعـــب علينا قبولها الا بمنطق الحياة في عصرها . هذا ويـــــرى الباحثين في ترتيب بنود هذا التشريع مايسمح بتقسيمهـــا الى ثلاث مجموعات ،مجموعة تتضمن المواد (١ – ٥) وتتعلــق بأمور القضاء والتقاضي ومايشبه أصول المرافعات ،ومجموعـة ثانية تتألف من البنود (٦ – ١٢٦) وتتضمن قانون الامـوال او المعاملات ،ثم مجموعة ثالثة من البنود أو المواد(١٢٧ – ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة او الاحوال الشخصية ،غيـر ان هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا في بنود التشريع .

هذا ويلاحظ بصفة عامة ان قانون حمورابي كان قاسيـــا في توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف السائـــد او يقترف اثما لايتفق مع الاخلاق العامة ،فمثلا عقوبة الاعدام كانت في : هتك العرض وخطف الاطفال وقطع الطريق على القوافل والجبن في ميدان القتال وسوء استعمال الوظيفة ،والمـرأة التي تتسبب في قتل زوجها لكي تتزوج من غيره . اما مشاكل

الوراثة فحين تعرض القانون لها نراه يخص ابناء الرجـــــل بتركته دون زوجته ،واذا مات الرجل عن زوجته فقط كان لهـــا الحق فى مهرها وفى هدية عرسها ،وظلت ربة البيت ماداممــت على قيد الحياة ،ولم يكن حق الارث محصورا فى الابن الاكبـــر فقط بل كان الابناء كلهم سواسية فى الميراث ،ومن ثم لــــم تلبث الثروات ان تقسمت وتفتت وامتنع تركزها فى افـــــراد قلائــــل .

ويبدو واضحا ان قانون حمورابى لم يعترف للفرد بأيـــة حقوق قبل الدولة فلم تكن هناك حرية فردية او حمايـــــــة سياسية ، الا اننا نجد القانون فرض حماية اقتصادية ،و مــــن امثلة ذلك : اذا ارتكب رجل جريمة السطو وقبض عليه كان على المعتدى عليه ان يقدم بيانا مفصلا بخسائره مدليا بهـــــذا البيان فى مواجهة الاله بالمعبد وعندئذ على المدينة التـى ارتكبت السرقة فى داخل حدودها ،والحاكم الذى ارتكبت الجريمة فى دائرة اختصاصه ان يعوضاه على مافقده ، اما اذا أدى السطو الى خسارة فى الارواح دفعت المدينة ودفع الحاكم تعويضـــا كافيا الى ورثة القتيـل .

ويبدو المجتمع البابلى فى قانون حمورابى منقسمــــا الى ثلاث طبقات ،فأفراد الطبقة العليا ،ويسمى الواحد منهم " اويل " وهم " الاشراف " يتمتعون بحرية كاملة وبجميـــع

حقوق الرعوية وامتيازاتها . والطبقة الثانية وتتكون من مواطنين يسمى الواحد منهم " مشكين " ويمكن ان نسميهم العامة ،وكانوا احرارا ،ولكنهم يخضعون لقيود قانونية معينة ولاسيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة ،والطبقة الثالثة هي طبقة العبيد ويسمى الواحد منهم " ورد" وكان المجتمع الاشورى ينقسم ايضا الى طبقات تقابل اعلاها وادناها مثيلاتهما فى المجتمع البابلى ،ولكن لانعرف على وجه اليقين طبيعة الطبقة الوسطى . وتختلف الطبقات الثلاث بعضها عن بعض فى الوضع القانونى ،مثال ذلك ان الاساءة الى العامة عقوبتها اقل قسوة الى حد كبير من عقوبة الاساءة الى الاشراف ، او يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف فإذا أفسد شريف عين شريف آخر ،فليفسدوا عينه ،واذا كسر عظم شريف آخر ،فليكسروا عظمه ،واذا افسد عين رجل من العامه او كسر عظمه ،فليدفع (منا من الفضة) و هنا نجد قانون العين بالعين والسن بالسن مطبقا على الاشراف وحدهم ، اما غيرهم فدية تدفع . ذلك أننا لو رجعنا الى قانون حمورابى لوجدنا كثيرا من مواده لاتعترف بالمساواة بين الناس وانما تعاملهم على حسب طبقاتهم ،فمثلا (المادة ١٩٦) تنص على ان " من يتسبب فى اتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه " ،بينما تنص المادة ١٩٨ على ان من يفقد رجلا من العامة عينه يدفع مينا من الفضة ،والمادة (١٩٩) تنص على ان من يفقد عبدا عينه او احدى عظامه يدفع نصف القيمة ،وتنص المادة (٢٠٠)

على ان من يسقط سن رجل من طبقته تكسر سنة " بينما تنص المادة (٢٠١) على ان من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة ،وتنص المادة (٢٠٢) على ان من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد ٦٠ جلدة بسوط من جلد الثور علنا، بينما تنص المادة ٢٠٣ على انه (اذا لطم نبيل خد نبيل من نفس المرتبة يدفع مينا من الفضة) بينما تنص المادة (٢٠٤) على انه " اذا لطم رجل من العامة خد آخر يدفع ١٠ شوقل من الفضة ." بينما تنص المادة (٢٠٥) على انه " اذا لطم عبد خد نبيل تصلم اذنه ".

هكذا تظهر التفرقة بين المواطنين فى " قانون حمورابى" فالناس فيه غير متساويين بحكم القانون ،فالمواد (١٩٦،١٩٨ ، ١٩٩) ،تبين ان عقاب اتلاف عين نبيل اتلاف عين بدلا عنها (العين بالعين) ،واما اتلاف عين رجل من العامة فدية قدرها مينا من الفضة ، اما عين العبد فنصف ذلك ،بمعنى آخر ان عين النبيل لاتعادلها الا عين نبيل مثلها ،وغير النبيل قدر من المال ، اما عين العبد فنصف القدر المعين لغير النبيل والامر كذلك فى سن من أسنانه . والمواد (٢٠٣ ، ٢٠٤، ٢٠٥) ، فتحدد مقدارا من المال تعويضا عن لطمة من رجل لآخر من نفس طبقته ،ولكن ان كان اللاطم اقل درجة فليجلد بسوط ٦٠ جلدة بشرط ان يكون ذلك على رؤوس الاشهاد ، اما اذا كان اللاطم عبدا تجرأ فلطم نبيلا ،فعقاب ذلك صلم اذنه لتكون عاهة

تلازمه بقية حياته وتذكره بفعلته وهكذا كان قانون جمورابي اعترافا صريحا بنظام الطبقات الذى ساد المجتمع البابلي والذى قسمه الى طبقة الاجرار ثم الطبقة الوسطى بين الاحرار والعبيد ولها حق تملك العبيد ،ثم طبقة العبيد الذين لم ينظر اليهم كبشر وانما كمتاع يتبع صاحبه ٠

وهكذا بينما يعترف القانون العراقى بأن الناس غير متساوين وان العقوبة تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الذى وقع منه الجرم ،نرى مصر الفراعنة تعلن فى وثائقها الرسمية وفى توجيهات الفراعين لوزرائهم ، الغاء مثل هذه الفوارق ،وان الكل ،كل الناس يعاملون على قدم المساواة ٠ وعندما قال افلاطون فى مقالته عن السياسة " الدولة تجسيم العدالة المنظم " ربما لم يكن يعلم الااقليلا ان مصر كانت قد اتخذت منذ الف وخمسمائه سنة خلت هذا المثل الاعلى ،وحاولت ان تجعله حقيقة واقعة ،او ان هذا دليلا آخر على ان افلاطون كان فى مصر ،وان ذلك الرأى استحوذ عليه هناك ٠

ومع ذلك فاننا نستطيع القول بأن قانون حمورابي قد تضمن بين ثناياه احكاما راقية يتقبلها المنطق فى كل عصر ،وان كانت هناك بعض احكامه التى يصعب علينا قبولها الا بمنطق الحياة فى عصرها ٠

فمن احكامه الراقية فى شئون التقاضى والقضاء، انـه ايما مواطن اتهم مواطنا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام، ثم لم يستطع ان يثبتها عليه قتل عوضا منه . واذا اتهمه بجريمة يعاقب عليها بالتجريم ،ثم لم يستطع ان يثبتها عليه دفع غرامتها . وانه أيما قاض أصدر حكمه ودون حكمه

ووقع عليه ثم ور فيه لعرض ما وثبت ذلك عليه ، أقيل من منصبه وحرمت عليه مناصب القضاء ودفع ما يوازى اثنى عشر ضعفا من قيمة الشيء الذى زور فيه .

وتضمنت مبادئه الراقية فى مسئولية الدولة عن شئون الأمن ، انه اذا سرق مواطن ولم يتيسر القبض على سارقه واسترجاع المسروقات ،عوضته مدينته وحاكم اقليمه عما سرق منه بعد ان يعلنه ويثبت صحة دعواه امام تمثال معبوده و رجال الادارة فى بلدتهم (٢٣) واذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله والاقتصاص منه ،تعاونت المدينة وحاكم الاقليم على دفع دية الى اهله مقدارها مينا من الفضة (٢٤) . واذا شبت حريق فى دار مواطن وكلف آخر باطفائه فاستغل وجوده فى الدار واختلس بعض متاعها ،ألقى به فى النار(٢٥).

ومن مبادئه الراقية كذلك فى تقرير حقوق المحاربين ومسئولياتهم ،انه اذا افتدى ممول محاربا (ريدوم) اومتعهده

للجيش (بيشيروم) من الاسر واعانوه على العودة الى بلـــده ،
رد المحارب فديته من املاكه المنقولة ،فان لم يستطيع تولاها
عنه رب مدينته (اى حصل عليها من املاك معبده) ،فان لـــم
يتيسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه (٣٢) حتى لايضطر الـــى
التضحية بأملاكه الثابتة التى تقطعها الدولة له فى سبيـــل
افتداء نفسه (وكان اقطاع المحاربين يسمى كوك ،وقد يتألـف
من حقل او بستان او دار ، او يضم الثلاثة جميعا،ويدفع عنـــه
صاحبه ضريبة - ويورث حق الانتفاع به لوالده الاكبـــر
ولكن لايحق له ان يبيعه او يرهنه او يورثه لزوجته اولابنتـــه
ويمكن ان ينزع منه هذا الاقطاع بأمر ملكى ويوهب لشخص آخر)٠

و اذا استشهد محارب ،آلت املاكه الى ولده (٢٨) ،فـــاذا
كان ولده صغيرا تولت أمه ادارتها نيابة عنه ان استطاعـــت
وربته من ريعها نظير انتفاعها بثلث أيرادها (٢٩) فاذا لـــم
يكن له ولد وآلت اقتطاعيته الى شخص آخر ،ثم ظهر انه حـــي
وعاد الى بلد ،حق له ان يسترد اقتطاعيتـه (٢٧)٠

و أخذت تشريعات حمورابى بقوانين اشنونا من حيث حـــق
المحارب الذى يؤسر فى ديار الاعداء فى ان يسترد زوجتـــــه
اذا عاد الى بلده ،ولو كانت فى فراش زوج آخر (١٣٥) وحـــرم
هذا الحقل على من شارك بلده كارها لها (١٣٦) ،وحتمت علـــى
زوجه الاسير ان تلزم داره مادام فيها مايكفيها ،والا تلجأ

الى فراش آخر والا ألقى بها فى النهر (١٣٣) ،فاذا لم يكن لديها مايقيم أودها ،فلا بأس عليها فيما فعلت(١٣٤)

وجعلت تدوين عقود القروض والمشاركة والامانات ،وشهادة الشهود عليها ، اساسا لحق التقاضى بشأنها (٩٩) ،وحددت ارباح القروض (١٢٢ – ١٢٣) بالخمس (٨٨) واشترطت سدادها بنفس المكاييل والاوزان التى اقرضت بها (٩٤) ٠ وعلى هذا الاساس جعلت ربح كور الغلة ٦٠ قو ،وفائدة شيقل الفضة سدس شيل وست سيات ،(ولو ان بعض لوحات القروض الفعلية من نفس العصر قد دلت على زيادة ارباح القروض ونقصانها عن هذه النسبة فى بعض الحالات ،وتتمثل حالات النقص فيما كانت تقرضه المعابد والادارات الحكومية الى مايوازى ١٢ ٪ تقريبا)

واحاطت تشريعات حمورابى افراد الاسرة وتقاليدها بضماناتها ،وعقوبتها وزادت على مانصت عليه تشريعات ايسين فى حقوق الزوجه الشرعية ،فأباحت لها ان تسترق جاريتها ذات الولد ان تبينت منها تطلعا الى مساواة نفسها بها وابحت لها بيعها ان كانت غير ذات ولد ،حتى ولو كانت اثيرة عند زوجها ٠ و(ولقد قرر رجل فى عهد سين اوباليط والد حمورابى ،فى عقد زواجه ان على زوجته ان تغسل قدمى زوجته الاولى وان تحمل لها مقعدها حتى ولو شاءت ان تذهب به الى معبد مردوك) واكدت التشريعات حق الزوجه فى استرداد

باشنتيا (...) حين طلاقها ، ان لم تكن شاذرا ، واضافت الى باشنة المطلقة ذات الاولاد نصف املاك زوجها لتستغلــه فى تربية ابنائها حتى يبلغوا اشدهم ، ثم تجتزئ منه نصيبا تستعين به على زواج جديد ان استحبت فراقهم (١٣٧) . واضافة الى باشنة المطلقة العاقر تعويضا يبلغ مينا من الفضــة بالنسبة للطبقات العليا ، وثلث مين بالنسبة لاهل الطبقـات العادية (١٢٨ــ ١٤٠) ، وورثت باشنة الزوجة المتوفاة ذات الاولاد على أولادها (١٦٢) ، وجعلت باشنة الزوجه العاقــر المتوفاة من حق ابيها بعد ان يسترد منها زوجة قيمة هدايا البيها حين عرسها ، وجعلت للزوج حق الوصية او الهبة لزوجته دون اعتراض من ابنائه ، وسمحت لها بأن تتنازل عن جزء من هذه الهبة لاولادها ، ولكن دون الغرباء (١٥٠) واعترفت بحقهـا فى ان تلزم بيت زوجها المتوفى الا اذا أرادت ان تتركــه لتتزوج وحينذاك يكون لها حق الخروج بباشنتها دون هدايا عرسها (١٧٢) وقضى المشرع على من اتهم سيدة بسوء السلوك دون بينة اكيدة بحلق نصف شعره فى ساحة القضاء (١٢٧) ــ فاذا اتهمها زوجها ولم يقدم بينة على فجورها ، كفاها ان تقسم على طهرها امام معبودها وتعود الى دار زوجها (١٣١) .

وفى مقابل هذه الضمانات الواسعة التى كلفتها التشريعات للزوجة ، ألزمت الزوجة بواجبات زوجها وبيتها ، و... شكاها زوجها امام مجلس المدينة وتبين اخفاقها اهمالا ...

لواجباتها الزوجيه حرموها من باشنتها وسمحوا لزوجهـا بأن يتزوج عليها ويستبقيها في داره ان شاء ويلزمها بخدمته (١٤١) فان تبينوا نشوذها واضرارها بزوجها ألقوا بها في النهر(١٤٣) فان ثبت عليها الزنا ربطوها هي ومن زنى معها وألقوا بهمـا في النهر ،الا اذا عفا عنها زوجها وعفا الملك عن عشيقهـا (١٢٩) ،فاذا تآمرت زوجة على قتل زوجها من اجل عشيقهـا أعدمت على الخازوق (١٥٣)٠

وفصلت التشريعات صلات الاولاد بأبويهم وحقوقهم في الهواريشه فجعلت من حق كل ولد على ابيه ان يعينه بمهر يتزوج بـه ، فان مات الوالد دون ان يتزوج احد ابنائه أفرد له اخوتـه قيمة مهر يناسب ثروة ابيه قبل ان يقتسموا ميراثه (١٦٦) ، وكفلت نفس الامر بالنسبة للابنة وباشنتها٠٠٠ بحيث اذا مـات آب دون ان يزوج ابنته ودون ان يخصص لها باشنة مسجلة أفـرد لها اخوتها باشنة مناسبة من ميراثه (١٧٨ - ١٧٩) وقيـدت حق الوالد في حرمان ولده بحكم القضاء في مدى عصيانه ،فـان أدانوه أنذروه ،فان لم يرتدع وافقوا على حرمانه ،وان تبينوا براءته حموه منه (١٦٨ - ١٦٩) ،وجعلت للابناء الذكور حصصا متساوية في ميراث ابيهم وباشنة أمهم ،الا اذا اوصـى الاب لولده ،البكر الرقبة لاخوتها ولايحق لها ان تتصرف فيهـا (١٨١) ،واستثنت من ذلك من ترهبت في معبد مردوك في بابـل

سمحت لها بأن تستغل حصتها كما تشاء ، وتهبها لمن تشاء بشرط الا ترث حقوقها الاقطاعية ، حتى لاتنتقل الى أسرة غير أسرتها (١٨٢) ٠

ونصت التشريعات على انه اذا تزوج عبد بحرة ، احتفظ اولادها بحريتهم (١٧٥) فاذا مات عنها زوجها استردت بائنتها واذا كانت ذات ولد ، قاسمت مولى زوجها المقتنيات التى شاركت زوجها فيها بعد زواجها به ، واحتفظت بنصفها من اجل اولادها (١٧٦ مكرر) وسمحت التشريعات للاب بحق الاعتراف بأولاده من جاريته ، فاذا اعترف بهم شاركوا اولاده الشرعيين الميراث بشرط ان يتركوا لولده الشرعى البكر حق اختيار نصيبه بنفسه (١٧٠) وان لم يعترف صراحة ببنوتهم حرموا من ميراثه ، مع حرمان اخوتهم الشرعيين من استرقاقهم (١٧١) ٠

ونصت على ان من باع جاريته أم أولاده ، أو أجرها لآخر فى سبيل سداد الضرائب المستحقة عليه ، حق له ان يستردها من شاريها او مستأجرها بنفس ماأدياه له فى مقابلها (١١٩) ، ولكنها حفظت مكانة الزوجة الشرعية بالنسبة للجارية ، بمثل ماقدمناله به ، وبأن نصت على انه اذا أهدت زوجة زوجها جارية فأحبها وشجعها ذلك على ان تشارك الزوجة مكانتها ، حق للزوجه ان تعيدها الى الرق وتبيعها ، فان كانت قد حملت منه أوولدت له دمغتها بميسم العبودية [illegible]

دارها من اجل اولادهـا (١٤٦ ـ ١٤٧)٠

وأباح المشرع ثلاثة ايام للمشاورة فى شراء العبـد او الجارية ،وشهرا يستطيع المشترى ان يعيد العبد خلالـه الى بائعه ويسترد ثمنه اذا تبين انه مصاب بصرع ،فـاذا انقضى الشهر كان مالكا له مسئولا عن الدعاوى التى تقـام بشأنه ٠ ونصت على انه اذا اشترى رجل عبدا او امه من بلـد غريب ثم عاد الى بلده وتبين له ان العبد من اهل بلدتـه وملك لمواطن آخر ،وطالبه به سيده ،وجب تسليمه اليـه دون تعويض ،فاذا كان العبد من بلد آخر دفع فيه سيده مادفعـه فيه مشتريه واسترده ،فاذا انكر العبد تبعيته لسيده ثـم ثبتت التبعية عليه صلمت اذنه (٢٧٨ ـ ٢٨٢)٠

وتضمنت لوحة من لوحات النخاسة التى اخذت بتشريـع حمورابى ،ولو انها متأخرة عن عهده ،مايذكر اسم الجاريـة واسم بلدتها واسم سيدها واسم مشتريها ،وقيمة ثمنها الاصلى ومازاده المشترى عليه ،ثم سجل الكاتب اسمه وأشهد خمسـة أشخاص على لوحتـه ٠

و نظمت التشريعات امور التبنى ،فسمحت للرجل بأن يتخـذ ربيبه ولدا له ،فان فعل ،ثم تنكر له ربيبه وأبى أبوتـه وكان لقيطا وتطلع الى اللحاق بأبويه بعد ان عرفهما قطـع لسانه او فقئت عينه ٠ وحرمت استرجاع الربيب اذا تبنـاه

صانع رباه وعلمه صنعته ،ولكنها من ناحية اخرى ،اجازت رجوع الربيب الى ابويه اذا عرفهما ولم يكن متبنيه قد اعتـــرف به ولدا له ،وآجازت ارجاع الربيب الى ابويه اذا لم يعلمــه متبنيه الصانع حرفته ،واشترطت على من يتبنى طفلا ثـــم يستغنى عنه بعد ان ينجب اولادا من صلبه ،ألا يرده الى اهلــه صفر اليدين ،وان يهبه مايساوى ثلث نصيب ولده من صلبه مـــن ثروته المنقولة (١٨٥ – ١٩٣).

وقضت التشريعات على من ضرب أباه بقطع يده (١٩٥) ،وعلـــى من ضاجع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها (١٥٧) ،وعلى مـــن ضاجع زوجة أبيه الارمل ذات الاولاد باستبعاده من أسرته (١٥٨) وقضت بالنفى على من يضاجع ابنته (١٥٤) ،وبالهلاك غرقا علـــى من يضاجع زوجة ابنه بعد دخوله بها (١٥٥).

و عنيت التشريعات بأمور المعاملات التجارية ،وتوسعت فيمــا تضمنه تشريع اشنونا واسين عن أجور العمال الزراعييـــــن وشروط المشاركة فى الزراعة والتجارة وتربية الاغنــــــام والماشية وتعويضاتها ،واجور المراكب تبعا لحمولتهـــــا واجور حيوانات النقل والزراعة ،واجور النساجين وصانعـــى الجلود والصاغة والبنائيـــن امثالهم ،وكان خير مازادتـــد هو تحديد اجور الاطباء ،ومراعاة الحالة الطبقية والاقتصادية فى معاملة المرضى ،بحيث حدد أجرت العملية فى البدن او فـــى

العين بالنسبة للثرى بعشرة شواقل ،وبالنسبة للشخص العادى بخمسة شواقل ،وبالنسبة للعبد بشقيلين يتحملهما عنه سيده (٢١٥ - ٢١٧) • وحددت اجرة العلاج العادى وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث بخمسة شواقل وثلاثة وشيقلين على التوالى (٢٢٠ - ٢٢٣) ،ولم تنص فى ذلك اجور علاج الحيوانات وتعويضاتهما (٢٢٤ - ٢٢٥) •

كانت هذه اهم النواحى الطيبة فى تشريعات حمورابى، اما مايعاب عليها ،فهو اعترافها بالتفاوت فى الحقوق والعقوبات بين الطبقات ،فهى وان استحدثت مبدأ العين بالعين والسن بالسن (١٩٦) والولد بالولد ، الا انها أقصرت تطبيقه وامثاله على افراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة بينما قضت بالتعويض المادى وحده جزاء اعتداء احد افراد الطبقة العليا على فرد من طبقة أخرى اقل منزلة من طبقته ،فجعلت عقوبة فق عين العاصى أو كسر عظمه نصف مين من الفضة ،وجزاؤهما بالنسبة للعبد نصف ثمنه واذا صفع رجل رجلا أرقى منه جلد يتم جلده علنا ،واذا صفع رجلا من طبقته دفع مينا من الفضة ،واذا صفع عامى عاميا آخر دفع عشرة شواقل من الفضة ،وجعلت غرامة اجهاض امرأة من الخاصة عشرة شواقل فاذا ماتت قتلت ابنة قاتلها ،وغرامة اجهاض امرأة من العامة خمسة شواقل ،فاذا ماتت فديتها نصف مينا من الفضة ،وغرامة اجهاض الامة شقلين فاذا ماتت

مدينها ثلث مينا من الفضة (١٩٦ - ٢١٤) . وقضت بتغريم من يختلس شيئا من مقتنيات المعبد او الحكومة ثلاثين ضعفا لما اختلسه ،فان اختلسه من " موشكينوم" دفع عشرة اضعاف ،فان كان معدما قتل (٨)، اى انها فرقت بين غرامة سارق المعبد والدولة وبين عقوبة سارق المواطن العادى وجعلت الاعدام جزاء المفلس فى الحالتين ،وألزمت الابناء احيانا بجرائر آبائهم ،فاذا اهمل معمارى فى عمله وانهار المنزل الذى بناه على ابن صاحبه قتل ابنه ،واذا اجهض رجل سيدة من طبقته فماتت قتلت ابنته (٢١٠).

واصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابى بالقسوة فى مواجهة الاعتداءات على النفس والمال والاضرار بمصالح الدولة ،وليس من المستبعد ان تكون قد تعمدت ذلك لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها ، او لتقيدها بتعاليم دينية متشددة ، او لشيوع الفساد فى مجتمعها وفيما قبل عهدها ،فجعلت الاعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وأمنها والوقوف فى سبيل تنفيذ اوامرها كايواء ثائر اومجرم هارب ، او التكتم على مؤامرات قطاع الطرق (١٠٩) او التهرب من خدمة الجيش ولو عن طريق تقديم بديل ،وعقوبة للضابط الذى اراح مثل هذا الابدال او تكتم امره (٢٣) .وجعلت عقوبة للاعتداء على المعابد واملاك القصر ،وعقوبة لمن يعجز من رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ،وعقوبة لمن يسم

عبدا بغير سيم سيده وبدون علمه (٢٢٦ – ٢٢٧) ،وعقوبة لخطف الاطفال ،واخفاء العبيد ،ونقب الدور (٢١) ،وعقوبة لمن يتجر في المسروقات ،ومن يدعي ملكيته لاشياء مسروقة ثم يثبت تدليسه (١ – ١١) ،وعقوبة للكاهنة التي تفتح حانة او تتردد عليها لتسكر فيها (١١٠) ،وعقوبة للمعماري الذي يتسبب اهماله في انهيار منزل على صاحبه (٢٢٦)٠ وجعلت عقوبة للرؤساء الاداريين (ديكوم،ولوبوتوم) اذا حرموا جنديا مما انعم الملك عليه به ،او اغتصبوا متاع داره اثناء غيابه أو أجروها لصالحهم او تخلفوا عنها لصاحب نفوذ في ساحة القضاء (٣٤)،وحرمت عليهم شراءها والاخسروا ما اشتروها به (٣٥)٠

وتضمنت التشريعات احكاما غريبة يأباها منطقنا الحالي وان تقبلها عصرها ،ومنها انه اذا اتهم مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر ،كان على المدعى عليه ان يلقى بنفسه في النهر ،فاذا ابتلعه الماء ورثة الآخر ،واذا نجا أعدم من اتهمه وآلت املاكه اليه ٠ وقضت انه اذا أدت العملية الجراحية الى وفاة مريض حر أوالى ذهاب نور عينه قطعت يد الطبيب (وليس مايعرف ان كان ذلك مشروطا باهمال الطبيب ام لا)،فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة (٢١٨ – ٢١٩) ٠

القوانين الاشوريـــــة (٥)

لقد جاءتنا نماذج من القوانين التي كانت تنظم احـــوال المجتمع الاشوري ،ومما يقال عن هذه القوانين انها مجموعـــة مواد اى اجزاء لعلها تعود الى قانون كامل لم يأتنا بعـــد وبوسعنا ان نقسم هذه النماذج من حيث زمنها الى مجموعتيــن تشمل المجموعة الاولى على مايسمى بالقوانين الاشورية القديمة وهي اجزاء غير كاملة وترجع الى العهد الاشورى القديم مـــن اواخر الالف الثالث ق٠م وقد راى الباحثين فى هذه القوانيـن الاشورية القديمة انها لم تكن خاصة ببلاد اشور وانمـــــا تعود الى مستعمرة تجارية اشورية تكونت فى آسيا الصغـــرى فى وسط الاناضول هى " كول تبه " وان الاشوريين الذين عاشوا هناك ظلوا مرتبطين بموطنهم الاصلى من الوجهه الثقافيـــة فقد استعملوا طريقة التقويم الاشورى والطريقة العشريـــة فى العدد واستعملوا الموازين والمكاييل الاشورية ومـــن الصعب تحليل المواد القليلة التى جاءتنا لانها غير كاملـــة فلم يستقر الرأى على ترجمتها ترجمة اكيدة ،ويظهر ان اكثــر ماجاء فيها يتعلق بنظام المحاكم واصول المرافعات ولاسيمـــا فى تنظيم الشئون التجاريـــة ٠

اما المجموعة الثانية فهى تعرف عند الباحثين باســم القوانين الاشورية المتوسطة ،وقد عثر عليها مدونة في جملة

الواح من الطين فى التنقيبات التى اجراها الالمان فى اشور (١٩٠٣ – ١٩١٤) وقد امكن تاريخها بوجه التقريب بين ١٤٥٠ و ١٢٥٠ ق٠م فهى بذلك تعود الى العهد الاشورى الوسيط ،وقد جاءتنا مصادر آخرى من القانون الاشورى من الوثائق والمستندات القانونية التى وجدت كذلك فى اشور ٠ وتشبه لغة القوانين الاشورية المتوسطة لغة السجلات الملكية التاريخية ،ولكنها غفل من اى اشارة او دلالة الى معرفة مقننها أو مشرعها وانما يستنتج منها ان احكامها كانت سارية فى مدينة اشور ومايجاورها من المدن ٠ ومما يقال فيها بوجه العموم انها لاتؤلف فى الحال الذى جاءتنا فيه قانونا كاملا او وحدة قانونية مثل قانون حمورابى ،والمواد التى فيها لايتم بعضها بعضا ،وقد خصص جزء كبير من المواد للاحكام الخاصة بالمرأة والاحوال الشخصية ،ويتعلق قسم كبير منها بالجنايات والعقوبات الخاصة فى هذا الموضوع ،ويرى بعض الباحثين ان مواد القانون الاشورى فى اصلها لم تكن سوى قرارات او أقضية سلطة صدرت بخصوص قضايا معينة فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية ٠ ويذهب البعض الى ان مواد القانون الاشورى وتفسيرات لمواد قانون آخر لم يصلنا بعد ،وهو اما ان يكون قانونا اشوريا مستقلا او انه قانون حمورابى بالذات ٠

ومع التشابه بين القوانين الاشورية والبابلية فى بعض النواحى فان الاولى تختلف عن الثانية فى احكامها

ولعل أبرز ماتمتاز به القوانين الاشورية القسوة والشـــدة بالنسبة الى العقوبات ،وان الاشوريين بوجه عام لم يعنـــوا عناية البابليين بأمور الشرائع والقوانين المدونة،وممـــا لاشك فيه ان كان فى المجتمع الاشورى عرف قانونى يسار عليـــه كان بمثابة القوانين المدونة ،ولكن الاشوريين لم يهتمـــوا بالناحية الفقهية ولم يعنوا بالبحث فى الشرائع وتدوينهـــا كما فعل البابليـــون .

المحاكم والقضـــاة

اعتبر الملك فى العراق القديم أصل العدالة والتشريع وكان باستطاعة الملك ان يعالج شئون المجرمين و يصـــــدر العقاب بشأنهم ،ولكن كان المعتاد ان يحيل الملوك القضايـــا الى ولاتهم فى الاقاليم او الى محكمة خاصة ،وكانت قـــرارات الملك ،ومن ينيبهم عنه نهائية ،ومع ذلك فقد كان بامكـــان الناس تقديم التماس للملك للنظر فى شكاويهم ورفض المحاكمة فى حالة عدم قبول الحكم ،وكانت توجد محاكم للاستئنـــــاف ولكنها ليست بصورة منتظمة ،ولكن كان يأمر الملك بتشكيلهـــا فى بعض القضايا الخاصة .

وكان القاضى أقرب مايكون الى المحترف او الممتهـــن اكثر منه ان يكون موظفا ،وكان هناك عدة أنواع من القضـــاء فكان هناك " قضاة معبد الاله شمش " ،وقضاة الاديرة الخاصـــة

بالكهان والكاهنات ،وكان هناك قضاة مدنيون ،وهؤلاء كانوا اما قضاة محليين فيسمون باسماء المدن الموجودين فيها، او قضاة خاصين بالملك .

واعتبر المعبد من اماكن المحاكه التي يجلس فيها القضاه الكهنة و غير الكهنه ،وذلك لملائمة بناء المعبد من جهة ،ولان جزءا من أصول المرافعات يتعلق بالقسم داخل المعبد ،وبجانب المعبد كانت هناك محاكات تجرى فى قصر الملك أو قصور حكام الولايات و بجانب القضاة كان هناك عدد كبير من الموظفين و منهم المبلغون والحلاق والجراح وحافظ السجلات والكاتب ومسئول التنفيذ المختص باحضار المجرمين.

ولم نجد فى الوثائق مايستدل منه على وجود المحاميين فى بابل ،وكان المدعى يترافع فى قضيته بنفسه دون ان يستعين بالالفاظ المنمقة التى تحتمها الاصطلاحات القانونية ،ولم يكن الناس يشجعون على التقاضى ،ولعل ذلك راجع الى تشديد العقوبة على من يتهم شخصا ولا يستطيع ان يثبت ادانته ،ولقد جاء فى قانون حمورابى أنه " اذا اتهم رجل شخصا آخر بجريمة يعاقب عليها بالاعدام ثم عجز عن اثباتها حكم على المدعى نفسه بالاعدام "(٦)

الحواشى

(1) Kramer, S.N., in Bulletin of the University Museum, vol.17, no 2 (1952).,

Finkelstein, J.J."The Laws of Ur- Nammu in ANET, PP. 523

(٢) طه باقر : فى مجلة سومر ، المجلد الرابع ، الجزء الثانى ، وكــــذا مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمـــــة القسم الاول ،تاريخ العراق القديم ،ص ٢٨٨ – ٢٩٠ .

Gootze, A., " The Laws of Eshnunna" in ANET, PP. 161

(3) Kramer, S.N., " Lipit - Ishtar Lawcode" in ANET, PP. 159 ff.,

Steele, " Libit - Ishar Law - Code" in American Journal of Archaeology vol. L11(1948), PP 425 ff.

(4) Meek, T. J., " The Code of Hammarabi", in ANET, PP. 164 ff .

(5) Meek, T. J., " The Middle Assyrian Laws " in ANET, PP. 180 ff.

(6) Dtiver, Miles, The Balylonian Laws, vol I , 1952. PP. 490 ff.

الاســــرة

من خلال أدب الحكم والنصائح

مقدمـــة

كشفت الحفائر التي أجريت في العراق من عشرات الآلاف من اللوحات الطينية المكتوبة ، الا أنه يلاحظ أن ما يقرب من تسعين في المائة من هذه المادة المكتوبة تتصل بصفة خاصة بالناحيتين الاقتصادية والادارية ،والجزء المتبقى منها نستطيع أن نستخلص منه شيئا عن الحياة الفكرية . وتناهز تلك اللوحات التى سجلت أعمالا أدبية متنوعة ما يقرب من خمسة آلاف لوح .

وتتراوح الوثائق الأدبية السومرية فى حجمها، مابين لوحات كبيرة تتكون من اثنى عشر عمودا سجل فيها مئات الأسطر ، الى قطع صغيرة لا تحتوى الا على أسطر قليلة مهشمة . ووصلت الآداب السومرية فى بعض مناحيها الى درجة عالية من الابداع الانسانى . ولقد نهل الاكاديون والآشوريون والبابليون من هذه الآداب ، كما نقل الحيثيون والحوريون والكنعانيون بعضها الى آدابهم ، وقاموا بتقليدها بشكل كبير.

ولقد تم الكشف عن معظم هذه الوثائق فى النصف قرن الأخير ويتطلب تجميعها وترجمتها جهدا يستغرق عشرات السنين . ويلاحظ فى هذا المجال ،أن معظم هذه اللوحات قد استخرجت من الأرض فى حالة مهشمة ،وعلى ذلك فانه لم

يحفظ من محتوياتها الأصلية الا أجزاء قليلة ، الا أنه عوض هذه الخسارة شيء هام ، وهو أن الكتبة القدامى كانوا عادة يكتبون أكثر من نسخة لأى موضوع ،كما تم نسخ الكثير من اللوحات في المدارس ،وعلى ذلك فان أى تحطيم أوفجوات فى لوحة أو قطعة قد يمكن استكماله قدر الامكان من القطع الأخرى التى تعالج نفس الموضوع ٠

ويرجح أن السومريين قد بدأوا يسجلون أعمالهم الأدبية منذ حوالى عام ٢٥٠٠ ق ٠ م ، وذلك على الرغم من أن أقدم وثائق أدبية كشف منها تؤرخ بحوالى عام ٢٤٠٠ ق٠م، حيث عثر على اسطوانة طينية طدة ترجع الى هذا الوقت تقريبا ، وقد نقش عليها نص مكون من عشرين عمودا ،ويتصل موضوع هذا النص بأسطورة تتعلق بالاله انليل وأخته ننحرساج وذكر فى سياق الأسطورة بعض المعبودات السومرية المعروفة مثل اناننا وانكى ونينورتا ٠

وازداد الأدب السومرى بمرور القرون ،وازدادت خصوبته قرب نهاية الألف الثالث قبل الميلاد عندما أصبحت المدرسة السومرية " أى دبا Edubba المركز الرئيسى والهام للتعليم ، اذ يرجع الفضل الى رجال العلم والكتاب فيها

فى جمع وترتيب الحكم بالشكل الذى وجدت عليه فى مجموعات اذ يبدو أن مجموعات الحكم السومرية قد استخدمت فى المدارس وفى كل مستويات نظام التعليم .

واستمر الأدب السومرى لم يخفت وهجه خلال النصف الاول من الألف الثانى قبل الميلاد ،على الرغم من أن اللغة السامية الاكدية أخذت تحل تدريجيا مكان اللغة السومرية . وخلال عصر أسرة أيسين (٢٠١٧ – ١٧٩٤ ق . م) وما بعدها درست الآداب المبكرة ،وتم نسخها ،ونتيجة لذلك فان معظم الأعمال الأدبية التى وصلتنا قد تمت معرفتها من النسخ المأخوذة من الأصول فقط .

أما فيما يختص باللوحات المتصلة بأدب الحكم والأمثال والنصائح ،فلقد تم التعرف على ما يقرب من سبعمائة لوحة وقطعة تتصل بالحكم السومرية ،ولم يكن من الميسور تحديد معظمها قبل عام ١٩٥٣م . وضمت هذه اللوحات مجموعات الحكم ،والحكم الشائعة من هذه المجموعات ، وكان بعضها يضم أحيانا حكمة واحدة . وقد رتبت بعض هذه الحكم طبقا لعلامات فى بدايتها ،وأحيانا تسجل الحكم التى تعالج موضوعا واحدا بجوار بعضها وقد تم الكشف كذلك عن ما يقرب من عشرين لوحة وقطعة ترجع الى العصر السومرى الأكدي

وجدت فى مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٦ ق ٠ م) فى نينوى القديمة ٠ وبالاضافة الى هذه اللوحات ، فقد نشرت لوحتين من الحكم الأكدية التى عثر عليها فى بوغازكوى والتى يرجح أنها ترجع الى عهد الملك سرجون الثانى (٧٢١ – ٧٠٥ ق ٠م) فى آشور٠ هذا وقد وردت أحيانا حكم مفردة فى نصوص الأدب السومرى والاكدي ، وفى خطابات ماري وتل العمارنة وبصفة خاصة من عصر الأمبراطورية الأشورية الحديثة ٠ كما يوجد حاليا فى المتحف البريطانى عدد من لوحات الحكم التى ترجع الى عصر الأمبراطورية الاشورية الحديثة والدولة البابلية الحديثة ٠

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مزدوج اللغة ، وتراوحت طريقة التعبير ما بين التعبير الواقعى الصرف والرمزية الرفيعة ،وتراوحت طريقة كتابتها ما بين الشعر والنثر ، ومما يقال عنها بصفة عامة ،أنها مثل أقرانها فى آداب الشعوب الأخرى ، يصعب فهم الكثير منها حتى لو كانت مفهومة من الناحية اللغوية ، لأنها عبارة عن جمل قصيرة مقتضبة ومركزة المعنى ،وتعبر عن تجارب وحالات خاصة فى حياة المجتمع ،كما أن الكثير منها نشأمن و قائع أو حوادث قيلت فيها تلك الأمثال والحكم والنصائح ٠

(١)

الـــــزواج

عبر الحكيم السومري عن الشخص العزب الذي لايرغب في الزواج عزوفا أو خوفا من المسئوليات الأسرية بقوله :

" إن الذي ليس له زوجة أو ولد لا تحتمل أنفه القيد"

وعلى الرغم من أن هذه الحكمة يبدو منها أنها توجه النقد للشخص العزب ، الا أن الكناية الواردة فيها تثير تناقضا ملحوظا في الهدف منها ، فقد شبهت الشخص المتزوج بالأسير المشدود وثاقه ، وكأن المسئوليات الأسرية من وجهة نظره كالأغلال التي يرسف فيها المتزوج ولايستطيع أن يتحملها العزب .

وجاء النص الأكدي لهذه الحكمة مختلفا عن النص السومري بعض الشيء ، الا أنه كان شديد الوضوح في توجيه القدح للشخص العزب ، فقد جاءت على النحو الآتي :

" ان الشخص الذي لايعول زوجة ، لايعول ابنا ، انه شخص لايؤتمن ، ذلك الذي لايعول نفسه "

وبذلك فقد وصمت النسخة الأكدية الشخص الذي لايرغب في تكوين أسرة بأنه انسان لايمكن الثقة به والاعتماد عليه ، لأنه شخص غير جدير ، وغير كفء لتحمل المسئولية .

أما المرأة غير المتزوجة ،فقد اعتبرت كالحقل غير المزروع ،وبالتالي تنعدم الاستفادة منه ،ووردت حكمة بهذا المعنى في خطاب ربعدي حاكم جبيل وذلك في الفترة من ١٤٠٠-١٣٦٠ ق ٠ م ،وذلك على النحو الآتي :

" ان المرأة من غير زوج كالحق من غير زرع"

كما وردت في مجموعة الأمثال الآشورية ،مثل يشير الى أن المرأة غير المتزوجة مثل المنزل الذى لاصاحب له :

" المنزل بدون صاحب ،كالمرأة من غير زوج "

وترك الحكيم السومرى للفتى حرية اختيار زوجة فقال :

" تزوج امرأتك طبقا لاختيارك
وانجب طفلا حسب رغبات قلبك "

وجاءت حكمة سومرية فى أسطورة زواج المعبود الأموري " مارتو" تشير الى هذه الفكرة ذاتها ،وتقع أحداث هذه الأسطورة حينما كانت تعيش هذه القبائل الأمورية السامية الى الغرب والجنوب الغربى من سومر ، وجرت أحداث هذه القصة فى مدينة نيناب التى اعتبرتها الاسطورة مدينة المدن وبلدة الامارة ، ولكن لم يتم تعيين موقعها فى بلاد ما بين

النهرين حتى الآن . وورد في هذه الاسطورة تصميم الاله "مارتو" على الزواج ،وطلبه من أمه أن تختار له زوجه :

قال (مارتو) لأمه

وهو يدخل الدار

في مدينتي ،جعل أصدقائي لأنفسهم أزواجا

وجيراني جعلوا لأنفسهم أزواجـا

وفي مدينتي (أنا وحدي) من بين أصدقائي ، لا زوجةلي

ليس لي زوجة ، ليس لي أولاد .

وتنتهي القصيدة بالبيتين التاليين :

يا أماه خذي لي زوجة

وسأقدم لك هديتي

ولكن أمه نصحته

ابحث لنفسك من زوجة طبقا لرغبتك

وتستمر الأسطورة ، فتذكر أنه في أحد الأيام ، أقيم احتفال ضخم في مدينة نيناب حضره " نمشدا" الاله الحارس لمدينة " كازالو" التي تقع الى الشمال الشرقي من سومرومعه زوجته وابنته . وفي اثناء الاحتفال قام " مارتو" بأعمال بطولية جلبت السرور " لنمشدا " الذي قدم " لمارتو"مكافأة

على ذلك من الفضة واللازورد ،الا أن " مارتو" رفض هـــــذه المكافأة وطلب بدلها الزواج من ابنته ،فوافق " نمشـــدا" وكذلك ابنته على هذا الطلب بسرور ،على الرغم من محاولـــة أحد أقربائها الحط من شأن " مارتو" واظهاره بمظهر انسان متوحش ، يسكن الخيام ،ويأكل لحما غير مطبوخ، ولايجد لـــه مثوى حين يموت .

ويتضح لنا من ذلك ،أن هذه الأسطورة السومرية ، قـد حفظت لنا في ثناياها حرية الفتى في اختيار زوجه ،وموافقة الابنة على الزواج ،وهو ما يتفق ويعبر عن وجهة النظـــر السومرية التي جاءت في أدب الحكمة لديه بالنسبة لهـــذا الموضوع .

ولقد وردت مجموعة من الحكم السومرية المرتبطةببعضها، والتي يمكن اعتبارها أنها تمثل حوارا بين شاب وأخته حـول نوعية الرجل الذي ترغب في الزواج منه ،ومهمة الأخ هو أنيجد الزوج الملائم لأخته . وينتمي الأخ وأخته الى الطبقة الفقيرة وبخاصة طبقة الصيادين . ويلاحظ من هذا الحوار أن الفتـاة تشترط فيمن يكون زوجها أن يعيش كما تعيش هي ، ويعمل كمـا تعمل هي ، مما يشير الى نوع من حرية الاختيار المكفـــول للفتاة في اختيار زوجها . وجاء في هذه الحكم .

(الأخ :) لأختـه : ألا يستطيع أخوك أن يختـار لك !

(الأخت :) ما الذى يمكن أن تختـاره .

(الأخ :) انسان مثلى تماما ،مثل أخـوك .

(الأخت :) دعه (ذلك الشخص) يعيش كما أعيش ، يعمل مثلما أعمل ... الأعشاب (؟) فى الهواء .. دعه يأكـل الزيت فى الندي .

ويمكن أن يستدل من بعض الأمثال الأشورية ما يرتبـط بذلك أيضا . فقد ورد فى لوحة أمثال آشورية تحمل رقـم VAT 10251.

" إن قلبى حكيم ،ومشاعرى سلوك وكبدى ذو جلال ووقـار، لا تتحدث شفتاي الا بالأشياء الجميلة ،فمنذا الذي سيكـون زوجى المختـار" .

ويمكن أن يكون المتحدث هنا رجلا أو امرأة ، وهى تشير على أية حال الى نوع من الحرية فى اختيار الزوج أو الزوجة وجاء فيها كذلك :

" من المقتر ؟ من الموسر ؟ الذى أمون له فرجـى "

ويمكن القول بأن هذا المثل قد يشير الى رغبة الفتـاة فى اختيـار زوجها ،وتفضيلها بين الرجل البخيل الشحيح المقتر، والغنى الميسور .

وورد مثل آخر فى هذه اللوحة كذلك يعبر عن رغبة الفتاة وتمنيها فى أن يكون زوجها قويا فحلا فى رغباته الجنسية ، وهى تشير الى مفاتنها وجمالها الأخاذ :

"عيناى عينا أسد وجسمى جسم الملاك الحارس ، وشفتاي تتألقان بالفتنة والسحر ، فمن سيكون زوجى شديد الفحولة " .

وعبرت بعض الحكم السومرية عن تودد الفتى لفتاة قبل الزواج ، مظهرا لها أنه أكثر اهتماما وحرصا على تحقيق سعادتها والرفاه لها من أخيها :

" أيها العذراء ، لم يعطك أخوك الافضلية
فلمن يجب أن تعطى الافضلية ؟ " .

ويبدو منها أنها شكوى من المحب لفتاته ، مشيرا لها أنه هو الذي يبحث عن مصالحها وليس أخوها ، وأنه هو الجدير بأن تمنحه ثقتها .

ويواصل الفتى تودده الى فتاته قائلا :

" أيها العذراء هل أخوك مثلى ؟ ، هل تركك أخوك تعيشين حياتك الخاصة كما تركتك أنا ؟ " .

ويوجد العديد من الأدلة الادبية التي تشير إلى وجود

عواطف متبادلة بين الفتى وحبيبته قبل الزواج • ومن أقدم ما وصلنا من شعر الغزل قصيدة سومرية يمكن عنونتها " الحب يجد الطريق " أو " الأم المخدوعة " وتدور حول الالهة اناننا (عشتار) سيدة السماء والاله " دموزى (تموز)•وفيها تذكر اناننا أنها حينما كانت ترقص وتغنى حول السماء قابلت دموزى الذى أخذ بيدها وعانقها، الا أنها طلبت منه أن يتركها لأنها لا تعرف بماذا تخبر أمها عن سبب تاخيرها ،فدبر لها دموزى حيلة ،وهى ،أن تذكر لأمها أنها كانت مع احدى صديقاتها وتنتهى القصيدة بذهاب دموزي الى منزل اناننا وطلبه من أمها الزواج منها ،حيث تم زواجهما•

ومن الجدير بالملاحظة أن اختيار الزوجة فى العراق القديم لم يكن أمره متروك تماما لرغبات قلب الفتى ، بل كانت هناك عوامل أخرى متعددة تتدخل فيه ،وترتيبات عملية توزن فيها المصالح والثروات • فلقد جرت العادة في عهد حمور ابى (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق•م) أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه ، وعندما يتم الاتفاق بين العائلتين على الزيجة يشرع في اعداد الخطبة • ومن مظاهر هذا الاحتفال أن يرسل الى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث ، كما يقدم الشاب ، أو والده مبلغا من المال الى والد العروس كان يطلق عليه " تيرهاتو"

وهو المهر ، ولم يكن ذلك اجباريا، فقد كانت هناك أحيانا خطبة بغير " تيرهاتو" ،كما أنه لم يكن يعني ارتباطا نهائيا وكان يترك لوالد الفتاة اذا سحب الشاب وعده بالزواج منها. أما اذا كان والد الفتاة هو الذى عدل عن وعده بتزويج ابنته فانه يرده كاملا . وكان هناك كذلك " الشريقتوم" وهو مبلغ من المال تهديه عائلة الزوجة ،وكان وديعة للزوج أن يتصرف فيها وان ظلت ملكا لزوجته تورثها أبناءها أو أهلها ان لم يكن لها ولد ،أوتعاد اليها فى حالة الطلاق ،ثم الـ" نودونو" وهى هبة من أموال منقولة وثابتة يمنحها الزوج عروسه ولها منها حق الانتفاع وليس البيع بل هى لأولادها من بعدها وهناك كذلك " البيبلوم " وهو عبارة عن هدية مالية تقدم برفقة هدية الزواج الى والد الزوجة الذى يستلمها نيابة عن ابنته، ويبدو أن هذه الهدية التى تشبه هدايا الخطوبة لم تكن لها صفة ثابتة حيث لم يرد ذكرها فى حالة الطلاق الذى كان يرافقه أحيانا استرجاع الزوج لهدية الزواج التى دفعها سابقا ، واعادة مهر زوجته اليها أو الى ذويها .

ولقد كان عقد الزواج فى العراق القديم يبرم بين الرجل، الزوج فى المستقبل ، وبين رجل آخر ،يكون أبا الفتاة ، الزوجة مستقبلا ، أو أخاها أو ولى أمرها ،ولهذا السبب اتجه بعض الباحثين الى القول بأن العائلة العراقية

القديمة كانت عائلة أبوية بسبب هذا الموقف الرسمي فـــي عقد الزواج .

ولقد عبر الحكيم الأشوري عن مسئوليات الزواج بقوله :

" ان من تحب سوف تحمل نيره "

ويشير ذلك الى المسئوليات الملقاه على عاتق الـزوج تجاه زوجته ،وأنه كان مكلفا بتحمل نفقاتها.

وحذر الحكيم العراقي القديم الفتى من الزواج ببعض أنواع النسوة ،ومنهن العاهرات المقدسات ، وجاء في ذلـــك كما ذكر لانجدون .

" لا تتزوج من المحظية التي لايحصى عدد أزواجهـــــــا

أو البغي المخصصة للالـــه .

أو المكرسة لنذر ،والتي تنوعت اهاناتها.

فانك ان فعلت ذلك لن يتركك الأسى أبـدا .

واذا تشاجرتما فسوف تهزأ وتسخر منـــك .

إن الخوف من الاله والخضوع ليس من طبيعتهـا.

حقيقة ،فانها ان سيطرت على المنزل ،فتخلص منها.

انها توجه اهتمامها لتتبع خطوات الغرباء .

(أو) انها ستدخل أشخاصا آخرين الى المنزل .

انها مبعثرة والذي يتزوجها لايفلح " .

وقام لامبرت بترجمة ونشر هذا النص ،ولكن مع بعـــض التغييرات وان أدى في النهاية نفس الغرض ، وذلك على النحو الآتي :

" لا تتزوج من العاهرة التي يقدر أزواجها بالآلاف .
والمرأة البغي المخصصة للالــه .
والمرأة المحظية التي يعجب بها كثيرون .
لأنها في مصابك لن تسندك .
وفي نزاعك تسخر منك .
ليس الاحترام أو الخضوع من خصائصها .
فحتى اذا كانت تسيطر على منزلك ،فاطردها منه
حيث انها توجه اهتمامها الى مكان آخر .
(وبشكل آخر) انها تحطم كل بيت تدخله ،ولا يفلح مـن يتزوجهـا .

ويمكن أن يستدل كذلك من احدى الحكم الواردة في خطاب الملك الأشوري " اسرحدون "(٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) الى البابليين ما يشير الى أن أمر المرأة الآثمة يشمل زوجها معها . ويمكن أن تفيد في هذا المجال التحذير من الارتباط بها لتوريطها زوجها معها . ولقد وردت هذه الحكمة على النحو الآتي :

" في المحكمة يشمل أمر المرأة الآثمة زوجها "

ولما كانت المرأة المبذرة سببا فى تعاسة الأســــرة فاننا نجد العديد من الحكم التى توضح النتائج الوخيمـــة المترتبة على الزواج من المرأة المبذرة ،ومن ثم فانهـــا تعتبر تحذيرا من مغبة الزواج منها ،ومما جاء فى النصائح السومرية معبرا عن ذلك :

" بزواجى من امرأة مبذرة وبانجابى ابنا مسرفـــــا، يصبح الحزن زخيرتى " .

" ان فجيعة الرجل فوق تبذير أســـرته " .

ومنها أيضــــا :

" ان المرأة المبذرة فى بيتها تبتلى بجميع أمــراض الشياطين " .

ويلاحظ ان ثوركيلد جاكوبسن قد ترجم هذه الحكمة على النحو الآتى :

" الزوجة غير المناسبة تعيش فى المنزل أسوأ مـــــن جميع الشـيـاطين " .

وربما كان المقصود بالزوجة غير الملائمة هنا ،الزوجة المبذرة .

وعبرت الأمثال الآشورية عن المرأة المبذرة ،ونتائـــج تبذيرها السيئة على البيت الذى توجد فيه ،بنفس الصـــورة

التى صورتها بها الأمثال السومرية ،ومما جاء فى ذلك .

" إن المرأة المبذرة فى المنزل أسوأ من جميـــــع الشياطين "

وأخيرا فقد حذر الحكيم العراقى من مغبة الزواج من الخادمة ،لانها لن تستطيع المحافظة على بيت الزوجية ،كما أنها تودى الى انهيار البيت الذى تصبح فيه هى المسيطرة . ومما جاء فى ذلك :

" لا تعامل الخادمة فى منزلك بحفاوة
فانها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجـــة
.... لا تسلم نفسك للخادمات .
فانها ان ذهبت الى .....
فانك لن تستطيع النزول اليها .
دع هذا يقول لك بين أهلك :
ان البيت الذى تحكمه خادمة ،ستودى الى تمزيقه "

ولقد جاء فى قصيدة بابلية اشتهرت بين الباحثيـــــن بعنوان " حوار بين سيد وعبده " ، وهى من أدب السخريـــــة والتشكيك والتشاؤم ، بعض النصائح الهدف منها التحذيـــر من المرأة ، ووصفت المرأة فى هذه النصائح بأنها بئـر أو حفرة ،وأنها خنجر يقطع عنق الرجل .

ومما جاء فى هذه القصيدة ويتصل بهذه النصائح ، هـذا الجزء من الحوار بين السيد وعبده :

السيد : أريد أن أحب امرأة .

العبد : أحب ياسيدى ،أحـب .

ان من أحب امرأة نسي الألم والتعب .

السيد : لا ياعبد ،لن أحـب .

العبد : لا تحب ياسيدى ،لاتحب !

فالمرأة شرك لايسهل ادراكه ،فالمرأة بئر ،خندق

فالمرأة خنجر من حديد مسنون .

يقطع الشاب به عنقه !"

ويتصل بهذا الامر كذلك ،ما جاء فى احدى الحكـم السومرية التى تشير الى أنه ليس من الحكمة فى شيء مناقشة المشاريع المتصلة بمستقبل الانسان والتى يترتب عليهـا تحديد مصيره مع امرأة .

" اذا ذكرت مصيري لصديقتى ،فان التوبيخ يتكـوم فوقى "

وفيما يتصل بالسن المحددة للزواج ،فيتضح من الحكـم والأمثال السومرية أن الزواج كان يتم فى سن مبكـرة ، ولذلك فهناك بعض الحكم التى تنقد المغالاة فى تزويـج

الاطفال وهم فى سن صغيرة ،كما أن هناك حكما أخرى تنصح الازواج الذين تزوجوا من فتيات صغيرات بالصبر عليهن والتريث معهن حتى ينضجن جنسيا .

ومن الحكم التى تنقد الزواج المبكر :

" لن أتزوج من زوجة يبلغ عمرها ثلاث سنوات فقط كما تفعل الحمير !"

ويلاحظ ان المقارنة قد أجريت هنا مع بعض الحيوانات التى تبلغ نضجها الجنسى فى سن مبكرة مثل الحمير.

أما عن الحكم التى تنصح الأزواج بالتريث مع زوجاتهم الصغيرات ،فمنها :

" الخبز الذى لايحتاج الى وقت للنضج ، مثل العروس الصغيرة التى لا تعانق زوجها ، لا يستمر ذلك فترة طويلة ".

فمثلما يحتاج الخبز الى قليل من الوقت لينضج ،فان العروس الصغيرة تحتاج الى وقت لتصل الى مرحلة النضج الجنسى ، فانه أمر لايسبب انزعاج ،فانها بمرور الوقت سوف تنتبه اليه .

ثم أردف الحكيم السومرى هذه الحكمة بحكمة أخرى مكملة لها ،جاء فيها :

" لا تقل لها : كل ما هو ردىء هو نتيجة عملك ! "

حيث أنه بمرور الزمن تستطيع الزوجة الصغيرة تحسين أعمالها ،وإلا فإنها لن تجد لديها الشجاعة لتستمر فـــى اتجاهها لتحسين نفسها .

ومن الأشياء الأخرى التى رأى الحكيم السومرى أنهـــا طبيعية الحدوث من الفتاة الصغيرة ولكنها لاتستمر طويـــلا، هو أن تخرج ريحا وهى بين أحضان زوجها .

" انه الشي الذي لا توجد له سابقة من قبل :
أن لا تخرج الفتاة الصغيرة ريحا فى أحضان زوجها"

ثم اتبع ذلك بحكمة أخرى أوضح فيها أن ذلك الأمــــر لا يستمر فترة طويلة ،ومن ثم فانه لايستدعى القلق .

" انه الشي القصير الأجــــــل "

وعبرت احدى الحكم السومرية عن أهمية المرأة فىحياة الرجل ،ودورها الكبير والفعال في تحديد مستقبله فـــــى عبارة قصيرة بليغة جاء فيها :

" المرأة مستقبل الرجل "

وعلى ذلك فلا نعجب أن رأينا بعض الحكم والأمثـــــال السومرية وقد بالغت فى تدليل المرأة وبلغت فى ذلك شـــأوا بعيدا ، فقد جاء فى احداها :

" يكوم زوجي الحبوب من أجلي .

ويوزعها ابني من أجلـــي ،

هل يمكن أن يزيل زوجي العزيز العظام من السمك مـــن أجلـــــــي .

وجاء في مثل سومري آخر :

" ان الدقيق الفاخر يخصص للنساء والقصر ؟ " .

ويذكر أيدموند جوردون ،أنه اذا كانت قراءة هـــــــذا المثل وترجمته صحيحة ،فانها تفيد أن الدقيق الفاخر كـــان شهيا بدرجة تكفي لتقديمه للسيدات والأميرات وهي تقدم لنـــا مثالا آخر لمدى تدليل المرأة في هذا العصـر .

كما ورد في مثال آخر أنه كانت هناك من الاعمال مالاتقوم به الزوجة ، مثل جمع الأخشاب ،ويبدو أن ذلك كان قاصرا على الخدم :

" لا تذهب الزوجة الجميلة لتجمع الأغصان الجافـــــــة "

وعلى النقيض من ذلك ،فهناك أمثلة تشير الى حالـــــة الأسر غير السعيدة ،ووصلنا في هذا النوع مثال ، الا أنـــــه مدمر الى حد كبير ،ومع ذلك ،فانه يمكن معرفة مايرمـــــي اليه مما تبقى منه ،ولقد جاء فيــه :

" انها الأسرة التى لاتتحدث فيها المرأة حيث ......
لاتوجد كلمة سارة على الاطلاق حيث .....؟ "

ومنها كذلك مايشير الى أنه في بعض الحالات يدخل العريس و العروس الحياة الزوجية وهما فى مزاجين يختلف أحدهما من الآخر ،كما يؤخذ من المثل الذى جاء فيه .

" القلب المنسرح - العروس "
" القلب المغتم - العريس "

ويستدل من الحكم والامثال السومرية على أن تعدد الزوجات كان موجودا و مسموحا به ،ومن الامثلة التى تشير الى ذلك :-

" يستطيع الانسان الزواج من عدة نساء ،
ولكن الالهة فقط هى التى تبارك الزيجات بالذرية "

وأشار مثل سومرى آخر الى أنه طالما كان الزواج مصدرا للسعادة في بعض الحالات ،فانه فى حالات أخرى يكون سببا فى الطلاق :

" لسعادته تزوج
و لتفكيره فى ذلك - طلق "

وتوجد زخيرة كبيرة من الأمثال و الحكم و النصائح التى تجرم جريمة الزنا ،وتحذر من النتائج الوخيمة المترتبة على من يقدم على اقتراف هذه الجريمة ،وتوضح بعض هذه الامثال و الحكم أن الزانية لاينكحها الا زان مثلها،ومنها مايحذر من اقتراف هذه الجريمة ويدعو الى البعد عنها وعما تأتى به .

و من هذه الأمثال و الحكم :

" اذا كان طعامه ملوثا بالجنس ،فان المرء يجب أن لايعمر به "

ويبدو أن ذلك يتصل بالتحذير من أولئك الذين يتكسبون من وراء الدعارة ،وأنه يجب على الانسان أن لايستمر فى هذا الطريق

ومن الحكم السومرية التى توضح أن الزانى لاينكح الا زانية :

" لايقوم القضيب الخائن بتدمير للفرج الخائن أبدا "

ويمكن ترجمة هذه الحكمة بشكل آدبى على النحو الآتى:

" القضيب الخائن يوضع فى الفرج الخائن "

وجاء في احدى الحكم كذلك :

ان قضيب الزوج الخائن ليس أفضل من فرج الزوجة الخائنة ".

وورد في احدى اللوحات التي ترجع الى العصر الكاسي ونقلت الى آشور في أواسط العصر الأشوري ما يوضح أن جريمة الرجل الذي يكون على علاقة بزوجة رجل آخر تكون كبيرة ،و آن أثمة يكون فاحشا :

" ان الذي يكون على علاقة مع زوجة رجل آخر، يكون اثمة فاحشا " .

٢ ـ الأطفـــــــــــال

توضح الحكم والامثال العراقية القديمة ،رغبة الانسان العراقي القديم في الانجاب ،وسعادته ، البالغة بذلك،وتقديره الخاص للمرأة المنجبة التي تلد الكثير من الاطفال . وهنالك من الحكم و الأمثال كذلك مايصف حال المرأة حين الولادة، وتربية الأطفال و تنشئتهم ،والعلاقة مابين الوالدين وأبنائهم ،ومابين الأبناء وبعضهم البعض .

ومن الحكم والامثال التي توضح الرغبة في الانجاب :

" تزوج امرأتك طبقا لاختيارك
وانجب طفلا حسب رغبات قلبك "

ولقد سبق مناقشة الجزء الاول من هذه الحكمة فيما يتصل باختيار الزوجة ،أما الجزء الثاني منها ،فهو يرتبط بالجزء الاول على أساس أن النتيجة الطبيعية للزواج ،بل الهدف الاول منه هو انجاب الأطفال ،وهو هنا يتمنى له انجاب طفل حسبما تشتهيه نفسه ،وأن يكون هذا الطفل متفقا مع مايتمناه ويريده .

وورد في حكمه سومرية أخرى التمني والدعاء بأن تهب الالهة اناثنا الانسان أطفالا أقوياء ،ومما جاء في هذه الأمنيات :

" هل يمكن أن تجعل الالهة اناثنا الزوجة ذات
السيقان الدائمة أن تضطجع لك ،هل يمكن أن
تمنحك أبناء أقوياء ،هل يمكن أن تبحث لك
عن مكان للسعادة ".

وجاء في الحكم السومرية التي تتصل بالامنيات كذلك ،
حكمه أخرى ،تدعو لصاحبها بأن يرزق بتوأم من الأطفال
وأهمية هذه الحكمة تتصل فيما جاء بها من التمنى بأن
يؤنس البيت بتوأم من الأطفال ،وهذا ايضاح و تركيز على
أهمية الأطفال في تثبيت دعائم الأسرة .

" ليتك تكون أسرة قائمة على توأم من الأبناء "

وجاء في حكمه سومرية أخرى أن الزواج من عدة نساء
هو أمر في يد الانسان يستطيع التحكم فيه والسيطرة
عليه ،ولكن انجاب الأطفال هو أمر ليس للانسان يد فيه
ولكن الالهة هي التي تتحكم في وهب الذرية لمن تشاء.

" الزواج من عدة زوجات هو أمر في يد الانسان
انجاب العديد من الاطفال هو أمر في يد الالهة"

ولقد سبق مناقشة الجزء الأول من هذه الحكمة في

الجزء الخاص بتعدد الزوجات ،والذي يهمنا في هذا المجال هو الجزء الثاني الخاص بانجاب الاطفال وأنه منحه من الآلهة .

ويتصل بالاعتقاد بأن الآلهة هي التي تمنح الذرية نصيحة وردت في النصائح التي اصطلح الباحثون على تسميتها بـ " نصائح المتشائم "

ولايمكن وضع تاريخ محقق لها ، الا أنه يمكن القول أنها ليست مبكرة عن الاسرة البابلية الاولى ،كما أنها ليست متأخرة عن عهد آشور بانيبال لان هذه اللوحة قد عثر عليها في مكتبته ،ومما جاء في هذه النصائح .

" انحني لإلهة مدينتك التي سوف تهبك الذرية "

وواضح من هذه النصيحة أنها تنصح المرء بأن يخضع ويقدم الولاء لالهة مدينته ،لانه سيحصل على نتيجة خضوعه وولائه على مايتمناه ويرغب فيه وهو أن تمنحه الهته الأبناء .

كما عثر على نص أكدي حوري مزدوج اللغة في رأس الشمرة يؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد ،وهو عبارة

عن نصائح متعددة من بين ماجاء فيها نصيحة للمرء أن يحترم قسمه ،وأن لا يقسم زورا ،حيث أن من يقسم زورا يلقى به في النهر ،وأكثر من ذلك أن زوجته لاتنجب نهائيا :

" احترم قسمك و احفظ نفسك ،
ان الذى يقسم زورا فى محنة النهر .. ميراثه ،
ولاتنجب زوجته أبدا ".

وواضح من هذه الوصايا أنها تحذر المرء من اليمين الزور ،وترهبه من مغبة ذلك ،وهى أن يلقى به فى النهر وأن لايتمتع بالذرية نهائيا.

و على ذلك فلا غرو ،أن نجد بعض الحكم السومرية وقد اعتبرت أن وفاة الاطفال كارثة كبيرة تحل بالمنزل وتذير شؤم وتعاسة ،ومن هذه الامثال الى صيغت فى أسلوب استفهامى .

" من الذى يأتى بك الى منزل نزعت ذريته ".

اد يبدو أن هذه كلمات رجل تدمر بيته بدرجة كبيرة لوفاة أطفاله لزائر جاءه بعد هذه المأساة مباشرة.

ورغم هذه الحكم والامثال التى توضح وتبرز رغبة

الانسان العراقي القديم في الانجاب ،ورغم اعتبار المرأة المنجبة ـ وبخاصة التي تلد سبعة أبناء ـ نموذج الامالمثالية في العراق القديم التي تستحق أكبر قدر من الحب والرعاية فاننا نجد بعض الأمثال التي يستدل منها على أنه من الامهات المنجبات لعدد كبير من الابناء ماكن يعانين من الحاجة والفقر والضعف والاستكانة . ومن هذه الإمثال :

" الام التي تلد سبعة صبية تتمد في فقر "

ومنها كذلك :

" الام ذات الثمانية صبية هي تلك التي مازالت قادرة على حمل المزيد من الاطفال ، انها تمارس الجنس باستكانة "

وهناك بعض الحكم والامثال التي تعبر عن الآلام الشديدة التي تعانيها المرأة اثناء الولادة ،ويبين بعضها بقدر مايكون الحمل شيئا سعيدا تكون الولادة أمرا عسيرا،ومن هذه الحكم والأمثال :

" تحمل المرأة يكون ذلك أمرا سارا
أما في حالة الولادة فهو أمر يثير الضيق "

ومنها كذلك مايذكر أن آلام المرأة في حالة الولادة لايعادلها اية آلام أخرى ،وان المرأة المريضة في حال

تكون حالتها بالغة السوء :

" الشخص المريض يكون (نسبيا) بخير ،
انها المرأة فى حالة الولادة هى التى تكون مريضة
حقا ،والمرأة المريضة تكون فيحالة الولادة أسوأهم
جميعا " .

وتوجد بعض الحكم البابلية التى تذكر أن الحمل هو
النتيجة الطبيعية للاتصال الجنسى ،كما أن الحمل يؤدى الى
ادرار اللبن للرضاعة ،وقد صيغت هذه الحكم فى أسلوب
استفهامى توضح العلة والمعلول ،ومما جاء فيها .

" هل يمكن لسيدة أن تحمل بدون جماع "

و منها كذلك :

" يؤدى الجماع الى ادرار اللبن للرضاعة "

و فيما يتصل بتربية الاطفال ،فهناك العديد من الحكم
والامثال التى تتصل باعدادهم للحياة ،فلقد كانت الطبقات
الفقيرة توجه أطفالها الى العمل فى سن مبكرة للمساعدة
فى كسب ما يسد رمق الحياة ومتطلباتها . أما أبناء
الطبقات الاخرى فكانت وسائل الحياة ميسرة لهم . وكان

أبناء الدعارة يتبنون فان أراد أحدهم معرفة نسبة أو العودة لابيه أو أمه قلعت عيناه .

و من الامثلة التى توضح الاهمية الاقتصادية للاطفال فى الأسر الفقيرة ماورد احدى الحكم السومرية. وجاء فيه :

" لايضرب الرجل الفقير ابنه مرة ،انه يحتفظ به للأبد " أو " أنه يعامله ككنز "

ومعنى ذلك أن الأبناء كانوا يقومون بدور كبير فى الحياة الاقتصادية للاسر الفقيرة لما يقومون به من أعمال تدر دخلا عليهم ،وبالتالى فانهم كانوا يعتبرونهم ثروة بالنسبة اليهم .

ومن هذه الحكم والامثال كذلك ماورد فى احدى اللوحات البابلية و هى اللوحة رقم A. K. 4347 وجاء فيها:

" يحصل الرجل القوى على طعامه من كده ،
أما الرجل الضعيف فانه يحصل على طعامه من عمل أطفاله "

و فى المقابل فاننا نجد أمثلة أخرى يتضح منها أن أبناء الاغنياء كانت تلبى لهم جميع متطلباتهم ،ومن هذه الامثلة :

" انك تأكل كثيرا!. هل ينقصك شيء؟

انك ابن .. انني أعطيك دائما كل شيء؟ "

و فيما يتصل بتعليم الابناء ،فقد كان معظم التلاميذ الذين يتعلمون من الاسر الغنية ،اذ لم تكن الاسر الفقيرة بقادرة على تكاليف التعليم وكذلك المدة التى يتطلبها وكان من حق المرأة التعليم كذلك ،اذ عثر على اسم امرأة فى احدى الوثائق وصفت فيها بأنها كاتبة .

و كان الاب يشعر بخيبة أمل عندما يرى ابنه يرفض أن يتبع خطواته العملية ويصبح كاتبا ،ونراه يقوم بنصحه وحثه على منافسة زملائه و أخوته وأصدقائه ،وأن يتبع مهنته الاصلية ،وهى فن الكتابة ،على الرغم من أنها كانت من أصعب المهن .

ومن الحكم التى توضح الصفات المطلوبة فى الكاتب النموذجى :

" ان الكاتب الذى تتحرك يده طبقا لحركات الفم ، انه يكون كاتبا فعلا " .

و من هذه الحكم كذلك مايعقد المقارنة بين يد الكاتب وحنجرة المغنى :

" ان الكاتب بدون يده (مثل) المغنى بدون حنجرته "

وحفظ لنا أدب النصيحة فى العراق القديم قطعة أدبية عبارة عن نصائح موجهه من آب لابنه صيغت فى أقوال بليغـــة هدفها ارشاد الابن الى الطريق الصحيح ،وحثه على الذهـــاب الى المدرسة ،واتخذت هذه النصائح فى بدايتها شكل حـوار مابين الاب وابنه ،وفيها يحث الاب ابنه على الذهاب الـــى المدرسة وطاعة المعلم والانتباه اليه ،والعودة بعد المدرسة الى البيت دون ابطاء وعدم التلكؤ فى الشوارع والميادين ولكن يبدو أن الابن لم يسر فى الطريق الذى حدده وتمنـــاه له والده ،فنجد الاب وقد تملكه الغضب ،فأخذ يعبر عمـــا يجول فى نفسه من خواطر غاضبة مؤنبا ابنه ومذكراً ايـــاه بأنه لم يكلفه بأى عمل من الاعمال التى يقوم بها أقرانــه ويدرون بها دخلا على أسرهم ،وينهى حديثة اليه بأنه يتعـذب من أجله ليلا ونهارا بينما هو يعيش فى ملذاته الخاصـــة، ثم يذكره بأن أهل عشيرته سوف تتملكهم الشماتة فيه .

ومما جاء فى هذه النصائح التى تبدأ بسؤال يوجهـــه الأب لابنــــه .

" الى أين أنت ذاهـــب "

" لن أذهب الى أى مكـــان "

" اذا لم تكن ذاهبا الى أى مكان ،فلم تكون كسولا ؟
اذهب الى المدرسة ،وقف امام معلمك واسمع دروسك
افتح حقيبة كتبك ،واكتب لوحك ،ودع العريف يكتب لك
لوحك الجديد ،وعندما تنتهى من دروسك وتقدمها للعريف
احضر الى المنزل ،ولاتتجول فى الشوارع
احضر فورا ،هل تعرف ماقلته لك ؟"
" نعم أعرف ،ويمكننى أن أقوله لك "
" تعال ،وكرره الآن لى "
" سوف أكرره لك "
" تعال اذن وأخبرنى به "

" لقد طلبت منى أن أذهب الى المدرسة ،وأسمع دروسى، وأفتح حقيبة كتبى ،وأكتب لوحى ،بينما يكتب العريف لوحى الجديد ،وعندما انتهى من دروسى ،أحضر اليك بعدما أكررها للعريف ،فذلك ماطلبته منى "

" تعال الان ،كن رجلا ،لاتقف فى الميدان العام ، و لاتتجول فى الشارع الفسيح ،وعندما تمشى فى الشارع لاتنظر فى كل الاتجاهات .

" كن متواضعا ،واظهر الخوف أمام عريفك ،فعندما تظهر الخوف سوف يحبك العريف "

" ... اذا تجولت فى الميدان العام ،هل ستحقق نجـــاح؟
اذا أبحث عن الاجيال الاولـــى ".

" اذهب الى المدرسة ، انها مفيدة لــك .
ولدى! ابحث عن الاجيال الاولى ،واستعلم عنهـم"

" لقد وقفت أراقب الشخص الاحمق ،
اننى لااكون انسانا حينما لا أسهر على رعاية ابنى
لقد تكلمت الى عشيرتى ،وقارنت رجالهـــا ،
ولكننى لم أجد فيها أحدا مثلـك "

" ان ماأطلبه منك يحول الاحمق الى رجل حكيم ،يمســك
الحية كما لو كان يمسكها بفعل الرقى ،سوف يمنعك من تقبـل
العبارات الكاذبـــة " .

" لقد امتلا قلبى بالضجر منك ،لقد بقيت بعيدا عنـــك
ولم أنتبه الى خوفك وتزمرك لا لم أنتبه الى خوفك وتزمرك،

بسبب ضجيجك ،نعم بسبب ضجيجـــك
لقد غضبت معك ،نعم أنا غاضب منك ،
لانك لاتهتم بانسانيتك ان قلبى ينتزع منى كما لـــو
كان ريحا شريرة . لقد وضع تزمرك نهايتى ،لقد جعلتنى
أقف على هاوية المـــوت .

" انني طوال حياتي لم أجعلك تحمل البوص الى أجمات البوص •

ان نبات السمار الذي يحمله الشباب والصغار ،لم تحمله أبدا طوال حياتك •

انني لم أقل لك طوال حياتي " اتبع قوافلي "•

انني لم أرسلك للعمل أبدا •

لم أجعلك تحرث حقلي

لم أرسلك للعمل أبدا لتحرث حقلي

لم أرسلك أبدا لتعمل كعامل بالاجر

لم أقل لك طوال حياتي

" اذهب واعمل وساعدني "

" ان من هم مثلك يساعدون آباءهم بالعمل .

اذا تحدثت الى عشيرتك وقدرتها حق قدرها ،لكنت مثلهم

ان كل واحد منهم يحضر عشر جور Gur من الشعير،

حتى الصغار منهم يزودون آباءهم كل واحد منهم بعشر جور،

انهم يضاعفون الشعير لابائهم

انهم يساعدونهم بالشعير والزيت والصوف

ولكنك انت ! انك رجل سيئ الطبع

وعندما تقارن بهم لاتصبح رجلا على الاطلاق
انك بالفعل لاتعمل مثلهـــم
انهم ابناء الاباء الذين جعلوا ابناءهم يعملون ،
ولكننى لم أجعلك تعمل مثلهـــم "
" اننى أتعذب بسببك ليلا ونهارا ،
و أنت تقضى الليل والنهار فى ملذاتك
لقد كدست الكثير من الثروات
التى زادت اتساعا وضخامـــة
ولكن عشيرتك تنتظر بترقب سوء حظـك
وسوف تفرح بذلك لانك لم تهتم بانسانيتـــك "

و هناك العديد من الحكم والامثال التى تدور حول نوعيات غير صالحة من الابناء ،وتوضح هذه الحكم والامثال مدى المعاناة التى يعانيها الاباء من جراء ذلـــك .

ومن هذه النوعيات ، الابن المسرف ، الذى يصبح مصـــدر تعاسة لابيه ،ومما جاء فى ذلك :
" بزواجى من امراة مسرفة ،وبانجابى ابنا مسرفـــا،
يصبح الحزن ذخيرتــــى "

ولقد سبق مناقشة هذه الحكمة فيما يتصل بالزوجة المسرفة ولكن الحديث هنا يتصل بالابن المسرف كذلك ،واذا حـــدث

وكان كل من الزوجة والابن مبذرين فان فجيعة الرجل تكـــون
شديدة وهذا ماتعبر عن حكمه آخرى متصلة بالحكمة السابقـــة
ومرتبطة بها ،ولقد جاء فيهـــا :

" ان فجيعة الرجل فوق تبذير أسرتـــه "

و أشارت الحكم الى الابناء الذين يدمرون فى ثـــورة
غضبهم ممتلكات آبائهم دون اكتراث الى مغبة هذه الاعمـــال
الحمقاء ،وأنها تعود عليهم فى النهاية بالضرر . وممـــا
جاء فى هذا المجال :

" (....) ،يدمر الأبناء فى غضبهم ممتلكات آبائهـم"
" انه كمن يضرب أنفه نكاية فى وجهـــه " .

ومن هذه النوعيات غير الصالحة من الابناء ،الابـــن
العاق ،ويستدل من احدى الحكم التى وصلتنا ان هذه النوعيـة
من الابناء ،كانت أول من تتنصل وتبتعد عنهم أمهاتهـــم
كما تغضب عليهم آلهتهم . ومما جاء فى ذلـــك :

" الابن العاق ،لاتعطى له أمه مولدا ،ولايشكله الهـــه
الخاص " .

ومن ناحية آخرى ،فان هناك من الحكم والامثال مايشيـــر

الى أنه ليس الترف وحده هو الذى يؤدى الى فساد الأبنـــاء، ولكن يستوى فى ذلك الفقر والغنى ،فبين الاسر الفقيـــرة، يوجد الأبناء غير الصالحين ،حتى فى الاسرة الواحدة تتفـاوت مدى طاعة الابناء لاباائهم ،فليس جميع ابناء الاسرة الواحدة متساوين فى الاخلاق ،ومما جاء فى ذلـــك :

" ليس جميع أبناء منزل الرجل الفقير متساوين فـــى الطاعـــة ".

و تشير احدى الحكم الى أن الشاب صغير السن لايقبـــل تأديب أمه بسهولة بعكس الفتـــاة :

" الفتاة الثرثارة ،تستطيع أمها اسكاتهـــا
الشاب الثرثار ،لاتستطيع امه اسكاته بشكل طيب ".

ويرتبط بذلك أيضا ما جاء باحدى الحكم السومريـــة التى تشير الى أن التصرفات الرعناء لاتوجد رجولة فيهـا:

" ان اعمال الطفولة لاتوجد رجولة فيهـــا
أو " ان أعمالك صبيانية ،فلا يوجد فيها شىء
يتصل بالرجولـــة "

و كان أبناء الخطيئة يتبنون ،ولايعرفون نسبهم ،وكانوا

غير مرغوب فيهم ،ومن الامثلة التى توضح تخلى آبائهم عنهم، وعملهم على التخلص منهم :

" أبناء الخطيئة ماذا يحضرون

آباء الخطيئة ماذا عملوا ليتخلصوا منه "

وتوجد مجموعة من الامثال المرتبطة ببعضها ،والتى صيغت على لسان أحد هؤلاء اللقطاء ،وفيها يوضح الحالة التعسة لهذه الفئة فى العراق القديم ،والتى تبدأ تعاستها منذ لحظة مولدها حين تتنكر أمهاتهم لهم ٠ ومما جاء فى هذه الامثال :

" ما الذى يحدد مصيرى

سوف أقول (رغم ذلك) كلمات مزدراه

... لقد أخبرتنى جارتى عما يقرر مصيرى

لقد أخذت (أمى) ذلك على نفسها لتكشفنى بكلمات مزدراة ٠

....

فى يوم نحس ولدت

عما يحدد مصيرى تحدثت

لقد أنكرت أنها أمى

لقد جاءت جارتنا الى المنزل لتساعد أمـــى

هل الذى جاء بى الى الحياة هو الذى دهن جسدى بـالزيت

وكما يقول المثل السائـر

" اننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهـــم

قدر على أن أكون ضـــالا

اننى كما يقول المثل السائر

" اننى شخص من أولئك الذين قبل أن يتحدد مصيرهـــــم

قدر على أن أكون رقيـــقا".

٣ـ العلاقات الأسرية

وفيما يتصل بالعلاقات التى كانت تربط بين أفراد الأسرة العراقية القديمة ،فلدينا العديد من الحكم والامثال والنصائح التى يمكن أن نعرف منها طبيعة العلاقات الاسرية السائدة وحدودها .

و كانت الطاعة هى الفضيلة الكبرى ،وكانت " الحياة الفاضلة " فى العراق القديم هى " الحياة المطيعة " ويتجلى ذلك فى أوضح مايكون في الاسرة ،حيث كان المطلوب والمفروض أن يطيع ويحترم الصغير الكبير ويقدره ،وأن يحترم ويكرم الابن أباه ،ويحترم الاخ الصغير أخاه الكبير،ويتضح ذلك جليا فى قطعة أدبية تصف العصر الذهبى القادم الذى يتميز بأنه عصر الطاعة ،ومما جاء فيها:

" يوم لايتعالى أحد على الآخر
عندما يبجل الابن والده
يوم يظهر الاحترام جليا فى البلاد ،ويبجل صغير القدر الكبير يوم يحترم (؟) الاخ الصغير .. أخاه الكبير،
ويرشد الولد الاكبر الولد الاصغر ،ويتمسك الاخير بقراراته ".

ومما هو جدير بالملاحظة ان الحكم والامثال و النصائح المتصلة بالأب أقل بكثير من تلك الخاصة بالام ،ومن النصائح

التي وصلتنا وتتصل ببلاب ،ماورد في النصائح التي اصطلح على تسميتها ب " نصائح المتشائم "وفيها تسدى النصيحة للاب بأن يوجه اهتمامه لاولاده ،غير أن هذا الجزء من النص غير كامل ، الا أنه يمكن فهم ذلك مما تبقى منه ،و كذلك اعتمادا على النصائح السابقة لهذه النصائح التي بقيت في حالة جيدة ،والتي ينصح فيها بتوجيه الاهتمام والرعاية لقطيع المواشي وللزراعة .

" وجه اهتمامك لقطيعك من المواشي ،وتذكر زراعتك
لو لدك الاول ؛ الابن والبنت ...
بسبب (ولدك الاول) الابن والبنت لـ..... "

ووردت حكمة أخرى على لسان أب يذكر فيها أن الذي يحافظ على أسراره هم أبناؤه سواء كانوا ذكورا أم أناثا وجاء فيهما :-

" صديقي لن يحافظ على أسراري عدو ،بل على العكس ان الذي يحافظ عليها ابن أو بنت ، ان صديقي هو الذي يصون أسراري " .

و من الامثال السومرية مايشير الى أهمية الابناء للاباء سواء كانوا ذكورا ام اناثا ،ومنها :

" الابنة خلاص الرجــــل "

" الابن ملجـأ الرجــــل "

و في مقابل قلة الحكم والامثال والنصائح المتصلـــــة بالاب ،نجد وفرة منها تخص الام ،ولاتخفى اسباب ذلك نظـــرا لحاجة الام الى العطف والرعاية والحنان .

و لقد حض الحكيم السومري الابناء على أن يدخلـــوا السعادة في قلوب امهاتهـم فقـــال :

" أرض بنصيبـــك ،واجعل امك سعيـــدة "

ويرى ايدموند جوردون ،أن هذه الحكمة يمكن أن تشيـــر الى الحض على الرضى بالنصيب الذى يخص الابن عند تقسيـــم التركة ،ويجب عليه كذلك أن يجعل أمه سعيـــدة .

ومن هذه الوصايا مايحث الابناء على طاعة أمهاتهـــم وسماع مايقلن ،كما يفعل المرء مع الالهـــه .

و اسمع كلمة أمك ،كما تسمع كلمة الهـــك "

وورد في حكمه أكديه حث العروس على حسن معاملـــة أم زوجها ،لانها كما تعامل أم زوجها سوف تعاملها زوجه ابنها:

" أيتها العروس ،كما تعاملين حماتك ،سوف تعاملك زوجة ابنك " .

و في مقابل ذلك ،فان زوجة الابن في سومر وكان يطلق عليها " الكنة " كانت ذات شهرة سيئة ،ويبدو هذا واضحا من المثل الاتي :-

" أما الكنة فشيطان الرجل "

ويوجد نص أدبي عبارة من رسالة موجهة من شخص يدعى " لودينجير – را " الى أمه ،وفيها يقدم بعض أوصاف أمه للشخص الذي سيقوم بتوصيل رسالة اليها حتى يتعرف عليها ونستدل من هذه الاوصاف على مدى حبه واعزازه وتقديره لها، ومما جاء في هذه الاوصاف :

" انها مثل الضوء الساطع في الافق ،انها كأنثى الظبي في الجبال "

" انها كنجم الصباح الذي يسطع حتى في الظهيرة"

" انها كالذهب و الفضة "

" ان أمي كأمطار السماء ،المياه التي تؤدي الى نمو أفضل للبذور " .

" ان أمي كحديقة من السرور ،مليئة بالسعادة "

" ان أمي كشجرة النخيل ، المحملة بأطيب الثمار"

و مع ذلك فهناك من الحكم والامثال مايستدل منها على المعاناة التي تعانيها بعض الامهات من أبنائهالدرجة العقوق و من هذه الحكم والامثال :

" الام التي تلد سبعة أطفال تتمد في فقر "

فرغم انجابها لهذا العدد الكبير من الابناء الا أنهم لم يدفعوا عنها غائلة الفقر والحاجة .

وفيما يتصل بالعلاقة بين الاخوة ،فقد أوصى الحكيم العراقي باحترام الاخ الاصغر لاخيه الاكبر ،وأن لايغضب أخته الكبرى :

" احترم أخاك الاكبر "

" اسمع كلمة أخيك الاكبر كما تسمع كلمة أبيك "

" لاتغضب قلب أختك الكبرى "

واعتبرت احدى لوحات الحكم البابلية ان الاخ الذي يوجه التهم الى أخيه يكون آثما ،ومما جاء في هذه اللوحة :

" ان الذى ينطق بالافتراءات يكون اثمة فى الغيبة
والنميمة ،
هو الذى ينشر الاشاعات السيئة عن قرنائه ،
هو الذى يوجه التهم الخبيثة الى أخوته "

ومن ناحية أخرى توجد العديد من الحكم السومرية التى يستدل منها على أن العلاقات لم تكن دائما طيبة بين الاخوة وبخاصة بين الاخ وأخته ،ومن هذه الحكم مانجد فيهما الام وقد وقفت بجانب الاخت ضد أخيها ،بل نجدها اكثر من ذلك تحرضها على اهانة أخيها :

" لقد جعلت أمى أختى الصغرى تهيننى ،
كيف (!؟) هل أنا ضعيف جدا لدرجة اننى لم أقابل
وقاحتها ؟ ".

و من هذه الحكم مايشير الى عدم تفضيل الاخ لاخته ، وعدم تركها تحيا حياتها الخاصة كما تريد :

" أيها العذراء ،لم يعطك أخوك الافضلية
فلمن يجب أن تعطى الافضلية ؟ "
" أيها العذراء ،هل أخوك مثلى ؟ هل تركك أخوك
تعيشين حياتك الخاصة مثلما تركتك ؟

الا أنه يمكن النظر الى الحكم الاخيرة بعين الشك والريبة ،نظرا لانها صادرة من المحب لحبيبته ،فربما أراد الحط من شأن الاخ ليبين ميزاته هومقدار حبه وتفانيه .

هذا وتوجد فقرة غير كاملة فى احدى لوحات الحكم البابلية ،يتضح مما تبقى منها أنها توجه نصائح تتصل باحترام الوالدين والاخوة الكبار ،ويمكن ترجمة الجزء المتبقى منها على النحو الآتى :

"احترم الاخ الاكبر ....

.... اخشاهم ....

.... ابحث عن كلمة شكر لهم

.....انهم لم يستنكفوا منك

ان القسوة معهم عمل فاشم

ان ذلك لايدخل السرور الى الاله شمش الذى سيعاقب من يقوم بذلك بالشر " .

و من الواضح من سياق هذه النصائح انها تتصل باحترام الاخ الاكبر وخشية الوالدين و العمل على ارضائهم ،أما من يقسو عليهم ،فسيكون جزاؤه شديدا ، اذ سيغضب عليه الاله شمش وسيعاقبه على ذلك بالشر .

وأخيرا فانه يجب الاشارة الى أن الرجل فى الأسـرة العراقية القديمة كانت له بعض الامتيازات التى تميز بهـا عن المرأة ،ومنها حقه فى بعض الاوقات فى اعلان تذمره ضـد الاحوال الموجودة ،أما المرأة فكان عليها ان تحتفظ بنفسها فى حالة هدوء وسلام ،والا فانها تقاسى من جراء اعـلان تذمرهـا ،ومما جاء فى ذلـك :

" يمكن ان يسمح للمتمرد بتصفية الخـلاف ،
أما المرأة المتمردة ،فانها تسحب فى الطين "

٤ ـ الحياة المنزليـــــــة

تتصل الكثير من الحكم والامثال والنصائح بالحياة اليومية المنزلية ومسئولياتها ومشاكلها سواء البسيطة او المعقدة ،ويشير ذلك الى قيام البيت بدور هام فى الحياة العراقية القديمة . وسنتناول فيما يلى الحكم والامثال والنصائح المتصلة بمظاهر الحياة المنزلية من حيث المسكن والايرادات والنفقات وضرورة العمل لكسب الرزق والطعام والشراب والملابس والادوات المنزلية و الخدم و غيرها .

وفيما يتصل بتشييد المساكن ،فتوجد العديد من الحكم التى تشير الى أهمية التعاون فى تشييد المنازل فى العراق القديم ،ومن هذه الحكم :

" يد على يد يبنى منزل الرجل "
حقد على حقد ـ يدمر منزل الرجل

ويشير ذلك الى وجود نوع من التعاون والمشاركة فى المجتمع السومرى بين أفراد المجتمع الواحد فى بناء منازلهم . وعلى ذلك فان هذه الحكمة تشيد بأهمية هذا التعاون ونتائجه . وهى توضح كذلك نقيض حال التعاون وهو الحقد فانه اذا كان بالحب تشيد البيوت ،فان الحقد كفيل بتدميرها .

ومن الحكم السومرية مايوضح أهمية وجود اماكن شاغرة بمنزل الاسرة ،وربما كان الهدف من وراء ذلك ،أنه حتى اذا ماكبر الاطفال وأرادوا الزواج ،فانه من الافضل ان يسكنوا بجوار الاهل .

" المبنى الخالى يجب ان يلحق بالمنزل
وأرض الدارس يجب ان تلحق بالحقل "

فمثلما يجب ان تكون المساكن المتجاورة ،فان المناطق المخصصة لدرس الحبوب يجب ان تكون مجاورة للحقل وفى ذلك توفير للوقت و الجهد.

وربما يسرف البعض فى بناء منازلهم حتى يكلفهم ذلك البناء كل مايملكون وبالتالى فانهم لايجدون ماينفقون:

" بنى مثل السيد وتجول مثل العبد "

وربما كان ذلك عبرة للآخرين الذين اقتصدوا فى بناء منازلهم اقتصادا كبيرا ،ولم يبلغوا مرحلةوسطا ،فكانت منازلهم أشبه بمنازل العبيد ،الا انه كان معهم مايكفيهم ويحفظ كرامتهم :

" بنى مثل العبد وتجول مثل السيد "

ومن هذه الحكم المتصلة بالمساكن ، حكمه سومرية قد تشير الى الاصل الجبلي للسومريين :

" لقد بني مسكنا بالقرب من الماء ،ولكنه دائم النظر ناحية الارض المرتفعة دون النظر الى قسوتها "

فرغم نزولهم الى السهول العراقية وبنائهم لمنازلهم بجوار الانهار ،الا أنهم مازالوا يرنون بأنظارهم وأفكارهم ناحية المناطق المرتفعة التي جاءوا منها ، اذ تتجه بعض الآراء الى الاعتقاد بأن للسومريين صلة بالعناصر الجبلية القاطنة فى منطقة جبال زاجروس المتاخمة للحدود الشرقية للعراق ،ويعتمد أصحاب هذا الرأى على كون الزقورات ،وهى المعابد المدرجة التى تعتبر من أهم خصائص العمارة الدينية السومرية تقترب فى شكلها وظاهرة الارتفاع فيها من الهضاب و الجبال على أساس انها تعبير انسانى مقتبس من البيئة الطبيعية التي كانت منطبعة فى أذهان اولئك السومريين الاول الذين نزلوا جنوب العراق ،والذين شكلوا عمارتهم على تلك الصورة .

وهناك من الحكم والامثال مانستدل منها من طبيعة بناء المنازل فى العراق القديم وتطورها ومنهـا :

" انني أعيش في بيت مبني من الطوب اللبن ،فوق
رصيف من القار ،ومع ذلك فان كتل الطين تتساقط
فوق رأســـي "

ويوضح ذلك طبيعة المباني السومرية التي كانت تشيد
فوق رصيف من الاحجار والقــار.

وتوجد حكمه أخرى توضح التطور الذى حدث في البنـــاء
وهو استخدام الآجر في البنـــاء :

" انني أعيش في بيت من الزفت والآجـــر ،
الطمي .... يتساقط فوق رأســـي "

ومن ناحية أخرى ،توجد حكمه سلبية تشير الى اولئـــك
الذين لابيت لهم وقد شبههتم بالكلاب الضالة التي لاتجـــــد
مكانا تنام فيـــــه :

" انك مثل الكلب لاتجد اى مكان تنام فيـــه "

و فيما يتصل بايرادات الاسرة ونفقاتها وضرورة العمل
لكسب الرزق ،فهناك من الحكم ماأوضحت عادة الانســـــــان
لكسب رزقــــه :

" ان من يكسب رزقه يقابل بالتقديـــر

ويصبح سعيدا فى داخله ،ومسرورا فى مظهره "

وتوجد فى مجموعة الامثال الاشورية امثلة تحض علـــى العمل وبذل الجهد حتى يقف الاله بجانب الانسان ،ومنهـا :

" وعندما تعمل يصبح الهك لــك ،
و عندما لاتعمل لايصبح الهك لــك "

ولقد عثر على مايقابل هذا المثل من العصر الكاسى وذلك على انطباع ختم ،ومما جاء فيــه :

" لقد بذلت جهدى ،والآن فسوف أترك زيادة الثـروة والقطيع و الاشياء المقدسة للاله مردوخ ..."
وهناك حكم أخرى تتصل بهذا الموضوع ومنها:
" جهز نفسك ،والهك سيساعدك"
وجاء أيضا فى هذا المجال
" طالما لم يسعى المرء فانه لن يجنى شيئا ".

وهناك من الحكم التى أوضحت التدابير التى يقـوم بهارب الاسرة فى مواجهة نفقات اسرته ،ومحاولة تدبيــر الاساسيـات لهـا :ـ

" لاتتضمن ميزانيتى بندا لخبز الكعــك "

وأوضحت حكمة أخرى أن قدرة الانسان على مقاومة نـزوة أي شيء يراه تكون من أسباب فناه :

" انه يملك مايجعله يصبح غنيا ، انه قادر على التحكم في عينيــه " .

وتوجد العديد من الحكم التي توضح الحالة الاقتصاديــة السيئة للفقير ،ومن هذه الحكــم :

" عندما يموت الرجل الفقير (لاتحاول) اعادته للحياة فانه عندما يجد الخبز لايجد الملح ،واذا وجـــد الملح لم يجد الخبـــز .
و عندما يجد اللحم ،لايجد التوابل ،واذا وجـــد التوابل لا يجد اللحـــم ".

وفيما يتعلق بالطعام والشراب ،فتوجد العديد مـــن الحكم والامثال النصائح المتعلقة بالطعام والشراب ،ومنهـا مايستدل منه على الاهتمام بالطعام والشراب مثل :

" انه الثور الوحشي (فقط) الذى لن يتنـــاول طعاما فى العالم الآخـــر " .

انه الغزال (فقط) الذى لن يشرب ماء فى العالم الاخـر"

ويذكر ايدموند جوردون أن هذه الحكمة تقدم اجابة الشخص كبثير الاهتمام بالطعام والشراب للشخص الذى يوبخه لتناوله الطعام بشراهه مثل الثور البرى ،وشربه مثل الغزال ،بأن طريق هذه الحيوانات هو الموت ".

ومنها كذلك :

" اللحم بالدهن طيب جدا ،واللحم بالشحم طيب جدا فماذا يمكن ان نعطيه للخادمة لتأكله ".

وتوجد حكمة يرجع أنها كانت صيغة تقال حول مايجب أن يتم عمله لاعداد الطعام وجاء فيها :

" اجعلها وفيرة - خشية ان تكون قليلة جدا
اجعلها كافية - خشية ان تحتاج الى زيادة
اجعلها تصل الى درجة الغليان - خشية ان تصبح باردة ".

وهناك من الامثلة ماتوجه النقد اللاذع لاولئك الذين تتركز اهتماماتهم فى الطعام والشراب دون اهتمامهم بعملهم

" الكاتب ذو الدرجة الصغيرة يوجه اكثر اهتمامه لاطعام معدته ،انه لايوجه اهتمامه لكتابته

ويتصل بأولئك الذين يوجهون اهتمامهم للطعام حكمة أخرى جاء فيها :

" (فقط) حينما يتناول الطعام ، اجعله يدلي برأيه "

ومن الامثلة الدارجة المتصلة بالطعام ، والتي تشير الى اولئك الذين يتناولون الطعام دون أن يدركوا مايحويه كما تشير في نفس الوقت الى نظرة السومريين الى الاموريين

" لقد أعدوا القمح والشعير كالحلوى
وسوف يأكلها الاموري دون آن يدرك ماتحتويه "

و توجد العديد من الحكم والامثال المتصلة بالشراب ومنها مايستدل منه على أن النبيذ العراقي كان قويا ، بحيث كان يجب على من يتناوله ان يشرب معه ماء :

" ان الذي يشرب كثيرا من النبيذ يجب ان يشرب ماء " .

وجاء في أحد الامثال الاشورية كذلك :

دعني أشرب النبيذ المخفف بالماء
دعني أجلس في أبهة "

ومن الحكم مايشير الى نوعيتها :

" اذا كانت عجينة البيرة فاسدة ،فكيف تكون البيرة جيدة المذاق ".

و قد تشير الى أن الشيء الطيب لايأتى منه الا طيبا، والشيء الفاسد لايأتى منه الا فاسدا.

وفى مقابل الشراهة فى تناول الطعام والشراب ،فهناك العديد من الحكم والامثال التى حذرت من الافراط فى تناول الطعام لعواقبه الوخيمة ،فمنها مايحذر من الافراط فى تناول الطعام قبل موعد النوم :

" ان الذى يأكل كثيرا جدا ،لايستطيع النوم "

ومنها مايحذر من النتائج المترتبة على الافراط فى تناول الطعام :

" تناول الطعام ،ولكنه ليس الى درجة البدانة، ومن ثم فلن تكون هناك دماء فى برازك "

و توجد حكمه أخرى تحذر كذلك من تناول الطعام بكثرة ، الا أن الحكمه غير كاملة ،ومن ثم فاننا لانستطيع معرفة نتيجة ذلك فى هذه الحكمه .

" ان الذى يأكل كثيرا جدا لايستطيع الجلوس فــــــى (....) ".

وأوضحت حكم أخرى فوائد الغذاء البسيط و أنه يــؤدى الى تمتع الانسان بحياتـــــه .

الغذاء البسيط يؤدى الى حياة عظيمــة

ومن ناحية أخرى فانه يلاحظ ـ كما يذكر جاكوبســــن أن المرأة خلال فترات الحيض كانت تمنع من صنع الطعام:

" اذا كان الخبز قد أعدته امرأة غير نظيفة ،فانـه لن يأكل رجل منـــــه: "

و المقصود بعدم النظافة هنا هو الفترة التى تكـون المرأة فيها فى المحيــــض .

و بجانب هذه الحكم والامثال التى تشير الى الافــراط فى تناول الطعام والتحذير من عواقبه ،فهناك حكم وأمثـال أخرى توضح معيشـة الحاجة والعوز التى كان يحياها طبقـــة الفقراء فى العراق القديم وحاجتهم الملحة للطعـــــــام ومن هذه الحكــــم :

" الرجل الفقير دائم البحث والفضول عما سيأكل "

ومنها كذلك :

" تتجه عينا الفقير حيث يأتي خبزه "

" انه لايستطيع النظر بازدراء للغنى "

" الفقير الذى يتسول الخبز ،يتنشق الازدراء "

وهناك حكم أخرى ،أوضحت اسباب الحالة السيئة للفقير ،وجاء فيها :

" لماذا يصبح الفقير أكثر مذلة ؟
منذ أن أصبحت المطحنة بجوار الفرن
منذ أن أصبح ثوبه الممزق لايمكن رتقة
إن مايفقده لايمكن البحث عنه
و على ذلك فهل يصبح الفقير اكثر مذلة
ان ماينتزع من الفم يعاد اليه "

وتوضح احدى الحكم ان الفقير مضطر لاكل القليل نظرا لضيق ذات اليد و قلة مايملكه من أموال :

" الفقير (فقط) هو الذى يأكل برفق بسبب فضته "

وربما كان لحالة العوز التى عاشت منها طبقة الفقراء فى الحصول على مايسد رمقهما ،أن صيغت بعض الحكم المتصلة بصعوبة حصولهم على لقمة العيش ،ومحاولة كل منهم مداراة ما حصل عليه :

" انك لن تتحدث عن الخبز الذى وجدته
انك ستتحدث (فقط) عن الخبز الذى فقدته

ويلاحظ أن هذه الحكمة يمكن أن تعبر بشكل أوسع وأعم عن طبيعة الانسان الذى لايذكر مايملك ،ولكنه دائم الحديث عما يفقده .

ونتيجة لهذه الحالة السيئة ،فقد عمل الحكماء على الحث على الاحسان على الفقراء ،لان ذلك يدخل السعادة فى قلوب الالهة ،فقد جاء فى احدى لوحات الحكم البابلية :

" اعط الطعام للجائع والنبيذ للعطشان "

" ان ذلك يدخل السرور للاله شمش ، الذى يكافىء بالاحسان "

وهناك من الحكم مايشير الى قيمة الخبز للانسان عندما يكون بعيدا عن مصادره المتاحة ،وبخاصة اذا كان

فى ميدان القتال ،فان كسرة الخبز المصنوعة من الشعيــــر الخشن يصير لها مذاق اللحم الممتاز :

" ان الخبز المصنوع من الشعير الخشن فى ميـــدان المعارك يكون لحما وشحمــــا " .

و اذا كان الخبز متاحا فى ميدان المعارك فانه يؤكل بشكل مشترك ولايستأثر به أحد :

" فى ميدان المعارك ،متى كان الطعام متاحا ،فانــه يؤكل بشكل مشتــرك ".

و فيما يتعلق بالملبس ،فهناك من الحكم مايشيـــــر الى تأثير الملبس الفخم على الانسان ،ومما جاء فى ذلك :

" لقد أصبح سعيدا فى كل شىء و ذلك منذ أن أرتـدى حلة فخمــــة ".

ومنها مايشير الى نوعية الملبس ،واشارته الى شخصية من يرتديـــــه .

" يرتدى الرجل الحكيم ثوب أسد أما الرجل السفيــــه فيرتدى ثوبا قرمزيا فضفاضـا "

وبالاضافة الى ذلك فهناك العديد من الحكم المتصلة بملبس الرجل الفقير ،والتى يستدل منها انه كان يعانى من شظف العيش ،وأنه فى بعض الاحيان لم يكن يجد مايستر به عورته الا بشق الانفس ،ومما جاء فى ذلك :

" كم هو وضيع الرجل الفقير
المطحنة بالنسبة له هى حافة الفرن
ان ثوبه الممزق لايمكن رتقه
ان مايفقده لايبحث عنه "

ومنها كذلك استغاثة فقير بسيدة ترتدى اثوابا واسعة بأن تعطيه قطعة منها ليستر بها عورته :

" انك سيدة ترتدين القطع الواسعة من الثياب
دعينى أقطع قطعة منها لاستر بها عورتى "

وهناك مثل آخر يوضح خيبة أمل الشحاذ فيما قدم له من ملبس وشعير ،فقد كان الثوب ممزقا ،والشعير مختلطا بالطين .

" القطع الممزقة من ثوب قديم القذر ،والشعير المأخوذ من الطين ،أى شىء طيب فيهما بالنسبة لى ".

وفى نهاية الحديث عن الحياة المنزلية نشير الـــى الامثال والحكم والنصائح المتصلة بالخدم ومعاملتهـــم وطعامهم والتحذير منهم . فلقد ورد فى احدى لوحات النصائح البابلية فقرة تحض على حسن معاملة الخدم ،ولكن لســوء الحظ فان هذه الفقرة مهشمة الى حد بعيد ،ولكن يستـــدل مما تبقى منها على الدعوة لحسن معاملتهم لطاعتهم كما انهم فى وقت الشدة لم يطالبوا بحقوقهم ،وتدعو كذلك الى تحملهم رغم ما يقومون به من حماقات .

" ان الخدم فى المنزل ليسوا .....

....

فى زمن (الشدة ؟) كانوا هادئين ولم يكونوا

(مطالبيـــن) ؟

لم يأخذوا حقوقهـــم ؟

وفى أفواه الناس فانهم ... وعلى ذلك فانك يجب أن

تتحملهـــم " .

و توجد العديد من الحكم والامثال المتصلة بتوعيــة الطعام الذى كان يقدم للخدم ،ويتضح منها ،أنــه كانت تقدم لهم الانواع التى لايروق لاهل البيـــت تناولها ،ومن هذه الحكم والامثـــال :

" اللحم بالدهن طيب جدا ،واللحم بالشحم طيب جدا

فماذا يمكن ان نعطيه للخادمة لتأكله "

وتوضح الحكمة التالية لها مباشرة مايمكن ان يقدم

للخدم :

" دعها تأكل لخذ الخنزير المملح (؟)"

و يمكن أن يستدل من ذلك ،أن فخذ الخنزير المملح

وهو يتميز بكونه قليل الدهن - كان يعتبر غذاء رئيسيا

يكفى للخدم .

و نظرا لاعتماد الخدم فى غذائهم على الغير ،فلا

ريب حينئذ أن نجد احدى الحكم وقد عبرت عن هذه الحالة

على لسان ،أحدهم بقوله :

" لقد أصبح خبزى - خبزا غريبا "

أما من النصائح المتعلقة بالتحذير من الخدم ،فلقد

سبق الاشارة الى تلك المتعلقة بالتحذير من الزواج

بالخادمة والنتائج المترتبة عليه .

المراجع والمصادر

أولاً: باللغة العربية

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس - العهد القديم والعهد الجديد - القاهرة، ١٩٦٩ م.
- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٢.
- الدكتور رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧.
- الدكتور رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الثالث، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت، ١٩٦٩ م.
- رضا جواد الهاشمي: «القانون والأحوال الشخصية»، مجلد حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥ م.

- الدكتور طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥ م.
- الدكتور طه باقر: مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦ م.
- الدكتور عبد العزيز صالح. الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: «بين الفنون والبيئة في كل من مصر والعراق»، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، العدد الحادي والعشرون، الإسكندرية، ١٩٦٧ م.
- الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: معالم حضارات الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٧٩ م.
- الدكتور محمد بيومي مهران. «مركز المرأة في الحضارة العربية [illegible]» [illegible] كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد [illegible]، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.
- الدكتور محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ١٠، إسرائيل، الكتاب الرابع، الحضارة، الإسكندرية، ١٩٧٩ م.
- الدكتور محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، جـ ٥، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
- الدكتور نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٦، حضارة العراق القديمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦١ م.

ثانياً: الكتب المترجمة إلى اللغة العربية

- سبتينوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر، راجعه محمد القصاص، القاهرة، ١٩٦٨.
- صمويل نوح كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، ومراجعة وتقديم أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- صمويل نوح كريمر: الأساطير السومرية، دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١ م.
- ل. ديلابورت: بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة محرم كمال، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، مجموعة الألف كتاب (٣٥).
- ليفي بريل: الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة محمود قاسم، ومراجعة السيد محمد بدوي، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني، الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٥٠ م.

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية

— **Biggs, R. D.,** "Akkadian Didactic and Wisdom Literature" in Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

— **Civil, M.,** "The Message of LU - DINGIR - RA to his Mother and A Group of Akkado-Hittite Proverbs" in JNES, vol XXIII, (January, 1964, No 1).

— **Gardiner, A. H.,** Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, 1947.

— **Gordon, E. I,.** "Sumerian Animal Proverbs and Fables: Collection Five", in JCS vol. xii (1958).

— **Gordon, E. I.,** "Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia 4, 1959.

— **Gordon, E. I.,** "A New Look at the Wisdom of Sumer and Akkad", in Bibliotheca Orientalis, XVII, No 3/4 Mei - Juli, 1960.

— **Jacobsen, T.,** in Before Philosophy, Penguin Books, 1949.

— **Jacobsen, T.,** in Gordon, E. I., Sumerian Proverbs, Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia, 4, 1959.

— **Kramer, S. N.,** The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963.

— **Lambert, W. G.,** Babylonian Wisdom Literature, 1960.

— **Langdon, S.,** "Babylonian Proverbs" in AJSL, vol xxviii, July (1912).

— **Langdon, S.,** "A Tablet of Babylonian Wisdon", in P.S.B.A., vol. xxxviii (1916).

— **Langdon, S.**, Babylonian Wisdom, London, 192[illegible]

— **Pfeiffer, E. F.**, "Akkadian Proverbs and Counsels" in Pritchard, J. B , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

— **Saggs, H. W. F.**, The Greatness that was Babylon, A Sketch of the Ancient Civilization of the Tigris - Euphrates Valley, London 1962.

— **Wilson, J.**, "The Instruction of ANI" in Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, University Press, 1974.

القيم الاخلاقية والسلوكية فى العراق القديم

مقدمة

عبرت بعض نصوص آدب الحكمة والنصيحة فى العراق القديم عن القيم الأخلاقية والمثل العليا والسلوك الامثل الذى آمن الانسان العراقى القديم باتخاذه ،وحاول به تنظيم صلة الناس ببعضهم ،وتكشف هذه النصوص أن الانسان العراقى القديم كان يقدر الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والاخلاص ،أى كان يقدر ويعتز بجميع الفضائل والسجايا التى يرغب فيها الانسان ،وعلى ذلك ،فاننى سأعتمد - فى دراسة القيم الاخلاقية والسلوكية - اعتمادا كاملا على أدب الحكمة والنصيحة فى العراق القديم ،لما يحويه هذا النوع من الادب من تعبير دقيق وواضح للقيم الأخلاقية والسلوكية الموجودة فعلا ،والقيم المثالية التى يتمنى المرء تحقيقها ،كما انه انعكاس لروح ومعتقدات العصر الذى ظهر و شاع فيه •

ومن أهم العوامل التى أثرت فى القيم الاخلاقية والمثل السلوكية فى العراق القديم ، البيئة العراقية ، التى تتميز أحوالها بعدم الانتظام ،ووجود نوع من العنف فى بعض مظاهرها ،فنهرا دجلة والفرات وان كان قد حققا للانسان العراقى القديم قدرا كبيرا من الاستقرار المعيشى مكنه من صنع حضارته فى عصور مبكرة لاتبعد كثيرا عن

العصور التي نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى ، الا أنهمـا في الوقت ذاته قد يفيضـان على غير انتظار أو انتظـام فيحطمان السدود ويغرقان الارض ،وقد يفيضان في غير أوقـات الحاجة الملحة اليهما مثل مواسم الحصاد أو اوائل الصيف.

و اذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم ، الا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائما ،وذلك لشدة انحدارهما وسرعـة جريان تياراتهمـا في أجزائهما العليا ،وبطءجريانهمـا وكثرة مستنقعاتهمـا في أجزائهما الدنيا.

وبالاضافة الى فيضانات دجلة والفرات ،فالامطـار مائية تحول الارض الى بحر من الطين يسلب الانسان حريـة الحركة ،وأحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبـوادي واسعة فقيرة في مواردها الطبيعية من المعادن والاحجـار وسببت هذه الصحراوات و البوادي للانسان العراقي القديـم الكثير من المتاعب والمشاكل ، الا أنها في الوقت ذاتـه لم تكن شراً كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل فـي قيام أسواق تجارية على أطرافها ،كما جاءت منها هجـرات سامية كبيرة نجحت في ضم شملهم و توسيع حدودهم كما فعـل الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميـون.

واذا كانت المرتفعات الشمالية ،والشمالية الشرقية قد موضتهم ببعض المواد الاولية وبخاصة الاحجار، الا أنهما في الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لاهل العراق ، اذ كثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة ،وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم . وأدت هذه الظواهر البيئية التي يغلب عليها المتاعب و المشاكل ازاء المنافع الى التحكم في الانسان ودفعته الى الشعور بضآلته تجاهها ،كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر .

وكان لذلك تأثيره على الناحية النفسية والسلوكية للانسان العراقي القديم ،فصبغت البيئة بعمق اسلوب حياته وكان لها تأثير قوي وفعال في قيمة ومثله الاخلاقية وكذلك العديد من الحوافز التي دفعته الى القيام ببعض الاعمال البعيدة عن المثل الاخلاقية .

وسنقوم فيما يلي بدراسة بعض هذه الحوافز مثل الحافز الى البروز والشهرة و الى الانتصار والنجاح وكذلك بعض القيم والمثل الاخلاقية مثل عمل الخير والحض على القيم به ،والنهي عن الاعمال الشريرة ،والحض على

التمسك بالصدق والامانة و احترام القيم ،والتمسك بالعدالة ،والتمسك بمكارم الأخلاق و فضائل السلوك و الحرص على اتقان العمل .

١) الحافز الى البروز والشهرة

لقد كان الحافز الى البروز والشهرة و الى الانتصار والنجاح من أهم النتائج المباشرة التى أثرت فيها البيئة العراقية على الناحية النفسية والسلوكية للانسان العراقى القديم وانطوى هذا الحافز على الطموح والتنافس والمغامرة كرد فعل للبيئة المتحدية له ،و كان هذا على مايبدو بعيدا كل البعد عن المثل الخلقية ،اذ انطوت ارادة التفوق فى الانتصار على منافس ما ،وكان ذلك مصدرا مهما للحوافز فى سلوك الانسان العراقى القديم •

و عبر الأدب العراقى القديم عن هذه الروح فى بعض القصائد والمحاورات التىوصفهـا الكتاب الاقدمون أنفسهم بـ " منازعات " أو " مجادلات " ،وهى تتصف بروح المخاصمة ،وتشير شعبيتها بصورة خاصة ،الى أنها تعكس نمطا من السلوك كان معروفا حق المعرفة •

ومن محاورات النزاع السومرية : " المناظرة مابين الصيف والشتاء " و التى تعرف بين الباحثين بعنوان " أسطورة ايمش Emesh واينتن Emten "،وهى تدور حول أهمية كل من الصيف والشتاء فى الانتاج الزراعى والحيوانى وتشييد المبانى فى العراق القديم ،و محاولة

كل منهما نسبة الفضل اليه ،واحتكامهم للاله انليل ، الذى حكم بالافضلية لفصل الشتاء ".

وبالاضافة الى محاورات النزاع السومرية ،فقد وجدت العديد من محاورات النزاع البابلية و منها : " المناظرة ما بين النخلة وشجرة الاثل " وهى تبدأ بمقدمة قصيرة من الظروف التى نشأت فيها المنافسة بين الشجرتين و خلاصتها أن الملك غرس النخلة و معها شجرة الاثل فى قصره ،ولما نمت الشجرتان ، أقيمت ذات مرة وليمة فى ظل شجرة الاثل ،وحينئذ بدات المنافسة مابين الشجرتين ،فقالت النخلة لشجرة الاثل ، انك من الاشجار التى لاثمر لها ولانفع منها ،بعكس النخلة التى يستفيد منها السيد والعبد فأجابتها شجرة الاثل معيرة اياها بعدم صلاح خشبها لصنع الاثاث " تأملى فى أثاث القصر ،وعددى الاخشاب التى أخذت منى لصنعها ،فالملك يتناول طعامه على منضدتى ،وتشرب الملكة من الكأس المصنوعة من خشبى " .

وقام حافز التفوق والشهرة بدور هام وكبير فى نظرة الانسان العراقى القديم الى الحياة ، اذ غذى هذا الحافز بعض انماط الانتاج الحضارى المادى والفكرى مثل العمارة وتنظيم وسائل الرى والتعليم ،وغيرها من أساليب

الحضارة ، الا انه من ناحية آخرى ،كان له جانب سيء ، بل مدمر ، اذ جعل حب المنافسة والبروز فى طياته بذرة تدمير النفس ،وساعد على إثارة الحروب الدموية المصحوبة بالكوارث بين دويلات المدن ،وعرقل توحيد البلاد بكاملها فى أغلب فترات تاريخها .

٢) عمل الخير والحض على القيام بـــه

لقد كان لحب التنافس والمغامرة الذى تولد لــــدى الانسان العراقى القديم أثره فى محاولة الحكماء العراقييـــن القدامى فيما أسدوه من نصائح أن يظهروا أهمية الاستمســـاك بفضائل السلوك الاخلاقية من حب للخير والصدق و العدالــــة والقانون والنظام والصلاح والاستقامة والرحمة ،كما حرصـــوا على اظهار مقتهم للشر والكذب والزور ،وعصيان القانـــون، والاخلال بالنظام ،و الظلم ،والاضطهاد ،وارتكاب المعاصـــى والغيبة والنميمة ،وعدم التحرز فى الحديث ،وهو ماسنحاول تتبعه من خلال ما وصلنا من أدب الحكمة والنصائح.

ولقد كان الخير والحض على القيام به ،والنهى عـــن الشر والتحذير من عمله ،من الامور الهامة التى حث عليهـــا الحكماء العراقيون القدامى فيما أسدوه من نصائح وحكـــم وتوجد العديد من الحكم والنصائح التى تدعوا الى عمـــل الخيرحتى مع الاعداء ،ومقابلة الشر بالخير ،ومما جـــاء فى النصائح البابلية معبرا عن ذلك :

" ولدى ، اذا قابلك عدوك بالشر ،فقابلة أنت بالخيـــــر " .

وجاء كذلـــك :

" لاتسترجع العداوة لاعدائـــك

قابل الشر بالاحســـان "

ووردت نصائح أخرى تدعوا الى عمل الخير ،ومساعـــدة المحتاجين ومعاملتهم باحترام ،وأوضحت هذه النصائح قيمـــة هذا العمل فى أنه وسيلة من الوسائل التى ترضى الآلهـــة و تدخل السعادة اليهـــا :

" أعطه الطعام ليأكل ،والنبيذ ليشرب

" أعط من سألك ،ساعده وعامله باحتـــرام •

" فان ذلك يدخل السعادة لاله الانســـان

" ومما يسعد الاله شمش ،ذلك الذى يقدم الاحســان

اعمل الاشياء الطيبة ،وكن كريما طوال أيامـــك "

٣) النهي عن القيام بالاعمال الشريرة

حضت العديد من الحكم والنصائح العراقية القديمة على النهي عن القيام بالاعمال الشريرة ،وجزاء من يقوم بها ولقد وردت العديد من الامثال و الحكم والنصائح المتصلة بهذا الامر ،ومما جاء في الحكم السومرية معبرا عن ذلك :

" عندما يجني الشر مكسبه ،فان هناك أوتو الذي يعيده منه ".

ويتصل بذلك أيضا أحد الامثال السومرية التي تقال في مجال المجاملات :

" انك لاتتهاون مع الشر حيثما يوجد "

ومن النصائح البابلية التي تنهي المرء عن القيام بالاعمال الشريرة حتى يحصل على السعادة الدائمة.

" اذا لم تقم بالاعمال الشريرة ،فانك سوف تحصل على السعادة الدائمة ".

ومنها كذلك :

" لاتتعامل في الامور بسوء ،ومن ثم فان قلبك لن يشعر بالأسى "

ومن هذه النصائح مايشير الى أن الانسان اذا مـــــا واتته القوة واستولى على أملاك غيره ،فانه سيأتى من سيتولى على املاكه ،فكأنها " صاعا بصاع " أو " واحدة بواحــــدة " وفى ذلك تحذير لكبت وقمع شهوة الاستيلاء على أملاك الاخريـــن ومما جاء فى ذلـــك :

" اذا ذهبت واستوليت على ثمار حقول الآخريـــن
فانهم سيأتون ويستولون على ثمار حقلـــك "

وورد فى احدى اللوحات البابلية مايشير الـــى أن لايوجد شر مطلق ،ومن ثم فانه يجب على الانسان أن لايتحـــدث الا بما هو طيب ،أما الذى يتحدث بسوء فسيعاقبه الالـــــه شمـــش .

" ان الشر ليس مطلقا ،تحدث بما هو طيب
فان الذى يتعامل فى الافتراءات ،يتحدث
بما هو سيء وسوف ينتظر شمش راسه بالعقاب "

وجاء فى أحد الامثال الاشورية التى صيغت بأسلـــوب استفهام استنكارى النهى عن عمل ماهو شرير مع الاصدقـــاء اذ كيف يكون الحال حينئذ مع الاعداء ؟

" اذا فعلت الشر مع صديقك ،فماذا ستفعل مـــع

عــــدوك " .

و مما يتصل كذلك بالنهى عن القيام بالاعمـــــــال الشريرة ما جاء في أحد النصوص الخاصة بالالهة " سانشــــة " وهي تقوم بحساب البشر فى عيد راس السنة ،وقد جاء فــــى النص وصف لبعض الاعمال الشريرة التى أثارت سخط الالهـــــة " سانشة " ،وبالتالى فانها تكون قد صيغت هنا لتكـــــون لعظة وعبرة ،حتى لايقع المرء فى مثل هذه الاعمال الشريرة التى تثير سخط الالهه ومن هذه الاعمال :

" من سلك سبيل العدوان واهتد ت يده مالـيـــس لـــــه ..... ؟

" من تخطى حدود النظم المقررة ،ونقض العقـــود و العهـــــود "

" من نظر نظرة رضا الى مواطن الشر....

" من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير .

" من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغيـر

" من اكل ماليس له ولم يقل " أكلتـــه "

" ومن شرب ماليس له ولم يقل " شربته "

" ومن قال لآكلن ماحـــرم ،

" ومن قال لاشربن ماحـــرم "

ومن الحكم السومرية التي يضرب بها المثل لمـــن يعوض نقصه بتأسده على من هو أضعف منـــه :

" لايستطيع الثعلب بناء منزل خاص به ،ومـــن ثم فانه يستولي على منزل صديقـــه "

و في ذلك اشارة الى هذا العمل المقيت والى مـــن يقومون به ،ويتضمن الحض على عدم القيام بمثله مـــن استعراض القوة على من هم أضعف ،فهو عمل شرير ينبغـــي عدم الانزلاق الى هاويتـــه .

٤) الحض على التمسك بالصدق والامانـــة

توجد العديد من الحكم والامثال والنصائح التي تحـض على الصدق والامانة واحترام القسم ،ومن الحكم السومريـــة التي تتصل بهذا الامر :

" اذا قلت الكذب ،ثم قلت الصدق ،فانه سيعتبـر كذبـــا "

ومن النصائح الاكادية التي تتصل بالتمسك بالصـــدق ما ورد على أحد الالواح غير الكاملة (وهو يحمل رقـــم 19-7 - 80) ،ومما جاء في هذه النصيحة التي لم تكتمل :

" أمسك بالصدق في يديـــك (...) " 283

وورد في احدى مجموعات النصائح الاكادية التي تصـل في حالتها الكاملة الى مايقرب من ١٦٠ سطرا نصيحتـــان تتصلان بالوفاء بالوعد والامانة ،ولو أنهما لسوء الحـظ غير كاملتين ، الا أنه يمكن فهم ماترمي اليهما ،ولقـــد جاء فيهمـــا :

" اذا وعدت بشئ ،فأعط (...)

" اذا حملت بأمانة ،فيجب عليك (..) .

وجاء فى نص آكدى حورى مردوج اللغة عثر عليه فـــى رأس الشمرة ،ويؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد نصيحـــة تحض على احترام القسم ،فان الحنث جرمه عظيم ،ولقد جـــاء فيهـــا :

" احترم قسمـــك ،واحفـــظ نفســـك "

ان الذى يقسم زورا ،في محنـة النهر......
ميراثـــــه "

٥) العدالــــــة

أما فيما يتصل بالعدالة ،فقد عبر أدب الحكـــــم والنصائح عن أهمية العدالة فى حياة الامم والشعوب ،وأوضحت احدى الحكم السومرية البليغة انه لايوجد شيء يرقى الــــى مستوى العدالة ،فانها هي التى تسمح بازدهار الحيـــــاة وتطورها ،وجاء في هذه الحكمـــة :

" ما الذى يقارن بالعدالة ؟ انها تعطى للأجيـال الحيــــــاة ".

وأوضحت حكمه سومرية أخرى ،أن الانسان العــــــادل تساعده الالهه وتقف بجانبـــه :

" ان قارب الشخص العادل يبحر مع التيار و بمساعـدة الريح ،ويبحث له الاله أوتو عن المرسى الأميـــن "

واذا كان هذا جزاء الانسان العادل ،فان الشخـــــص المحتال تجازيه الالهه عن سوء عمله ،بتدمير قاربـه :

" ان قارب الشخص المحتال ،هو يبحر مع التيـــــار وبمساعدة الريح ،فان (الاله أوتو) سوف يدمره علــــــى الشاطـــىء " .

وتشير احدى الحكم السومرية الى المعاناة والمصاعب التى تجابه الانسان العادل من أعداء العدالة الذين يقفون له بالمرصاد محاولين هدم مايحاول بناءه :

" البيت الذى يبنيه الرجل العادل يهدمه الرجل الخائن " .

ويتصل كذلك بهذا التراث المتصل بالعدالة عند السومريين ماورد فى احدى التراتيل السومرية التى عثر عليها فى مدينة " نفر " و أمكن تجميعها من بين تسعة عشر لوحا و كسرة من لوح ،وتتصل هذه الترتيلة بمدح الالهه "نانشه " و مما جاء فيها وصف للالهه " نانشة " بأنها تهدف الى تحقيق العدالة لافقر الفقراء :

" (الالهه) نانشة التى تعنى بالارملة .
" التى تنشد العدالة (؟) لافقر الفقراء(؟) "

وتوجد العديد من الحكم والنصائح البابلية المتصلة بالعدالة والحض على اتباعها والقيام بها . ومن هذه النصائح مايدعوا الى اقامة العدل حتى مع الاعداء ،ومما جاء فى ذلك :

" يجب أن تقيم العدل مع عدوك "

ومن بين أدب النصيحة الذى وصلنا ،نص أدبى علـــــى جانب كبير من الاهمية فى تاريـخ نظم الحكم ،اذ أنه من نـوع النصائح الموجهـة الى الحاكمين أن يلتزموا العدل بيــــن الناس ،وسجلت هذه النصائح على لوح عثر عليه فى مكتبـــة الملك آشور بانيبـال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق٠م) ولم يعثر علـــى نموذج آخر لها ٠ ويرجح Lambert اعتمادا على شكـــل الخط والاسلوب اللغوى ان تكون هذه النصائح موجهـــة الــى أحد الملوك البابليين فى الفترة من ١٠٠٠ - ٧٠٠ ق ٠م ٠ ويبدو أن الهدف منها حماية حقوق مواطنى سيبار (أبـــو حبة) ونفر (نيبـور) وبابل ،ولقد جاء فى هذه النصائح٠

" اذا لم يعبأ الملك باقامة العدل ،فستعم الفوضـى شعبـه ،وتخرب بـلاده ،

" واذا لم يعمل على نشر العدل فى مملكته فـــان الاله " ايا " سيد المصائر والأقـدار ،

" سيبدل مصيره ،ولن ينفك عن مطاردتــه

" اذا لم يهتم بنبلائه ،فان حياته ستكون قصيـرة

" اذا لم ينتبه الى نصحائه ،فان بلاده ستثور ضده

" اذا أطاع الاشرار فستتبدل مصائر بـلاده

" اذا احتال على الاله " ايا " فان الآلهة العظـــام

سيلاحقونـــه

" ويحاكمونـــه

" اذا أدان مواطنى سيبار بغير حق ،وأعفى الأجانـب

فـــان

" شمش حاكم السماء والارض ،سوف يقيم العدالة للاجانب

" فى أرضه ،حيث لايخفى الامراء والحكام العدالـــة

" اذا أحضر اليه سكان نيبور ليحكم بينهم ،ولكنـــه

يقر الامر الواقع ،ويحكم بظلم بينهم ،

" فان انليل سيد الاراضى سوف يحضر جيشا أجنبيـــا

ضـــده ،

" ليذبح جيشـه

" ويطوف الامير وقائد الجند فى الشوارع كالديكــة

المذبوحــــة ،

" اذا أخذ الفضة من سكان بابل وأضافها الى خزائنه

" او اذا سمع قضية متورط فيها رجال من بابل ولكنه

لم يقسط فى حكمـه

" فان مردوخ سيد السماء والارض سوف يسلط عليــه

أعــداءه ،

" ويعطى أملاكه وثروته لعــدوه

" اذا فرض الغرامات على مواطنى نفر وسيبار ،أوبابل

" أو أودعهم السجن

" فان المدينة التي فرض على أهلها الغرامة ستدمر تماماً ،

" وسيدخله أعداءه السجن الذي سجنهم فيه ،

" واذا فرض على أهل سيبار و نفروبابل أعمال السخرة

" فان مردوخ حكيم الالهة وسيدها ومستشارها

" سيسلم بلاده الى أعدائه

" الذين يفرضون على جنوده أعمال السخرة

" وستقرر الالهة العظام آنو وانليل وايا

" في مجلسهم حرية هذه الشعوب من مثل هذه الالتزامات ،

" واذا أعطى العلف المخصص لسيبار و نفر وبابل الى خيوله "

" فان الخيول التي ستأكل هذا العلف

" سوف تذهب الى عربات الاعداء ،

" ويقوم ارا Era الذي يتقدم جيشه

" بتحطيم مقدمة الجيش ،ويذهب الى جانب الاعداء

" واذا فك نير تثيرانهم ،

" ووضعها في حقول أخرى ،

" أو أعطاها للاجانب (...) فانه سوف يدمر(...)

" من آدو

" اذا استولى على قطعان أغنامهم.

" فان آدو المشرف على القنوات في السماء والارض

" سوف يصيب حيواناتهم بالجوع ......

" واذا قام مستشار الملك أورقيس جنده،

" باتهامهم (أى مواطنى سيبار ونفر وبابل) وأخذ رشاوى منهم،

" فان المستشار وقائد الجند سوف يموتون بحد السيف

" وتصبح اماكنهم خرائب

" وتحمل الريح بقاياهم

" وتعصف الرياح والعواصف بمنجزاتهم..... "

وأوضحت بعض الحكم السومرية النتائج السيئة المترتبة على عدم وجود قانون او نظام في الدولة ،ومن هذه الحكم

" انها ليست مدينة ،فان الساهرين على الحراسة فيها الكلاب والثعالب "

وعثر على حكمة في لوحة مدرسية في أور تشير الى نفس الغرض ،جاء فيها :

" في المدينة التي لايوجد فيها كلاب ،فان الثعالب تقوم بالحراسة فيها "

ففي غياب المنوط بهم الحراسة ،تصبح البلاد فريسة سهلة لاعدائها ،بل هم الذين يقومون بتنظيم الحراسة فيها

٦) التمسك بمكارم الاخلاق وفضائل السلوك

لقد دعا الحكماء العراقيون القدامى الى التمسك بمكارم الاخلاق وفضائل السلوك ،وحاولوا فيما أسدوه من نصائح أن يبرزوا قيمتها وأهميتها ،والنتائج الوخيمة المترتبة على من ينتهكها ولايتمسك بها ،ولما كانت الثروة ومحاولة جمعها وكنزها والتكالب والتهالك عليها من أخطر الامراض وأشد الافات التى قد تصيب الانسان ،فقد حاول الحكماء في حكمهم ونصائحهم ابراز حقيقة هامة - وان كانت تخفى على الكثيرين أو يتغافلون عنها - وهى أن الثروة ليست دائما مصدرا للسعادة ،وبالتالى فيجب عدم التكالب عليها ،و أن لايكون جمعها هدفا فى حد ذاته ،فانها قد تجلب معها القلق والخوف . ومن الحكم السومرية التى تتصل بذلك :

" من يكسب أشياء كثيرة ،يجب عليه ان يظل يحرسها دائما " .

ويتصل بذلك أيضا

" الذى يملك كثيرا من الفضة ،سيكون سعيدا

" والذى يملك كثيرا من الحبوب ،سيكون مسرورا

" ولكن الذى لايملك شيئا ،يستطيع النوم "

ومن هذه الحكم مايشير الى ان الثروة شئ عابر فـــى حياة الانســـان :

" تطير الممتلكات مثل العصفور الدورى اذا لم تجـد مكانا تحط عليـــه "

ومن الحكم السومرية السلبية فى هذاالمجـال :

" من الصعب الحصول على الثروة ،ولكن الفقر قريب "

ومن الامثال الاشورية مايشير الى أن الثروة ليست هـى الوسيلة التى تعضد الانسان ،ولكن الالهة هى التى تقـــوم بذلــك :

" ليست الثروة التى تدعمك ، انه الهــك "

ومن مكارم الاخلاق التى دعا اليها الحكماء العراقيون القدامى ،حفظ اللسان ،والنهى عن الغيبة و النميمـــة والحض على عدم الانسياق فى السباب . وأوضحت الحكم السومرية أن اللسان هو الذى يثيرالضغينة او يولد المحبة بيـــن الناس ،وعلى ذلك فانه يجب على المرء صون لسانه والتحـرز فى كلامه وأن لايتكلم الا طيبا و فبالكلمة الطيبة يصبـــح جميع الناس أصدقاء ،ومما جاء معبرا عن ذلك :

" ان القلب لايولد الضغينة أبدا ،ولكن اللسان هــو الذى يولدهـــا "

وجاء أيضــا :

" بالكلمة الطيبة يصبح جميع الناس أصدقــاء "

وأوصت بعض الحكم والنصائح البابلية بالحرص فــى الكلام والتأدب فى الحديث دونما تكبر او استعلاء ،فالحصيف من امتلك زمام لسانه ،وجعل ماتنطقه شفتاه ثمينا ،وممــا جاء في هذه النصائــح :

" كن حكيما ،فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب

" اغلق فمك ،واحرس لسانك ،

" اجعل شفتيك ثمينة مثل الكنز ،

" لاتتحدث أبدا ببذاءة ،

" ولاتعطى مشورة غير موثوق فيها ،

" فكل من يعمل شيئا مذموما يستهان بـه "

ووردت هذه النصائح فى ألواح أخرى مع بعـــض التغييرات وذلك على النحو الآتــى :

" تحكم فى فمك ،واحرس كلامــك

" فهذه ثروة الانسان ،اجعل ماتقوله غاليا جدا،

" دع الملق والسباب ،وبغضهما لنفسك ،

" لاتتحدث بأى سوء ، أو أى حديث كاذب ،

" ان ناقل الكلام موضع الازدراء "

ولم يكتف الحكماء بذلك ، بل أرادوا ان يؤكدوا أهمية الحرص فى الحديث فى نصائح أخرى ، فقالوا أنه يجب على الانسان أن لايعبر عما يجول بخاطره بصوت مسموع حتى ولو كان وحيدا وذلك تطلبا للحيطة والحذر ، فان الحديث الذى ينطق به دون روية وتفكير فى لحظة تسرع سيندم عليه بعد ذلك :

" لاتتكلم بحرية كاملة ، راقب ماتقول ،

" لاتعبر عن افكارك الداخلية حتى ولو كنت وحيدا ،

" ان ماتقوله فى لحظة ، سوف تتبعه بعد ذلك ،

" اجهد نفسك لتكبح شهوة الحديث عندك "

ومن النصائح البابلية مايحض على عدم التحدث بحديث السوء ، فان من يفعل ذلك تغمر الكآبة قلبه :

" لاتتحدث بأذى ، ومن ثم فان الكآبة لن تصل الى قلبك " .

و ينسحب ذلك أيضا على الاصدقاء فيجب على المرء أن لايتحدث مع أصدقائه بالاشياء السيئة ، وعليه أن يتجنب الحديث الغث ، وأن لايتحدث الا فيما هو طيب :

" لاتتحدث مع رفيق أو صديق (بالاشياء السيئة)،

" لاتتحدث حديثا غثا ،(تحدث) فيما هو طيب ،

ومن الامثال الاشورية مايشير الى أن المرء يحسب بحديثه ،وأنه هو الذى يحدد مكانته ومنزلته ،ومن هذه الامثال :

" جعلنى فمى أقارن بالرجال "

ومنها كذلك :

" لقد جعلنى فمى أحسب بين الرجال "

ويبدو ان المثل الاخير يتصل بالنساء،
واذا كانت جودة الحديث تجعل المرأة تعد بين الرجال ، فان المرأة التى لاتجيد الحديث تنحط منزلتها

" زوجة الرجل التى لاتجيد الحديث تكون خادمه "

و اذا كان الحكماء العراقيون القدامى قد حببوا الالتزام بفضيلة الصمت والتمسك بها ،فانهم فى الوقت ذاته قد حذروا من الغيبة والنميمة واعتبروا جرم من يقوم بها من الاثام العظيمة ،ولقد حدد نص يرجح أنه يرجع الى العصر الكاسى بعض الجرائم الكبيرة ،ومن هذه الجرائم الغيبة و النميمة ونشر الاشاعات السيئة ،وتوجيه التهم الخبيثة ومما جاء فيه :

" ان الذى ينطق بالافتراءات ،يرتكب جريمة الاغتياب "

" هو الذى ينشر الاشاعات السيئة عن قرناشه

" هو الذى يوجه التهم الخبيثة الى أخوته .

وأوضحت حكم بابلية أخرى الاثر السيء الذى تتركه النميمة على الشخص الذى هو موضع النميمة ،وقد تصل النميمة فى تأثيرها الى موت من ينم عليه ،وفى هذا بيان لفداحة الجرم الذى يرتكبه النمام ،ومما جاء فى ذلك قولهم:

" يلدغ العقرب الانسان ،فماذا جنى من ذلك ؟

" قد يتسبب النمام فى وفاة الانسان ،فما الفائدة التى يحصل عليها ؟ "

وعلى ذلك ،فلا غرو أن نجد احدى النصائح الاكدية، وقد وجهت نصيحة قاطعة تشبه الامر بعدم التحدث مع من يتداول الاشاعات :

" لاتتحدث مع ناقل الاشاعات "

ومن فضائل الصمت كذلك التى رغب فيها الحكماء العراقيون القدامى ،عدم الانزلاق فى السباب ،أو الانسياق فى الرد على من يقومون به ،ومن الوصايا السومرية فى هذا المجال دعوة المرء أن لايرد على أى سباب قد يوجه اليه

اذا وجد فى مكان به مشاجرة ،أو كلام غير مناسب .

" اذا كانت هناك مشاجرة او كلام معيب ،فلا ترد على
مايلقى عليك من كلمات "

وذلك لان السباب يؤدى الى سباب ،والشتائم تؤدى الى
شتائم أخرى :

" فى الشتائم تجد الشتائم ،وفى السباب تجد السباب "

فمن الناس من يستطيع التحكم فى نفسه مرة ،أما
اذا تكررت الاهانة فان رد فعله فى هذه الحالة يكون شديدا :

" انه لايستطيع رد الاهانة بالاهانة ،أما اذا رد
" على الاهانة الثانية ،فان سوف يرد باهانات
اكثر " .

فان الانسان قد يتقبل ويرضى بالحكم القضائى فى
المنازعات رغم كونه فى غير صالحه ،من أن يكون هدفا
لسباب خصمه :

" الحكم القانونى غير المستحسن يكون مقبولا،ولكن
الشتيمة لاتقبل " .

ويوجد العديد من الوصايا البابلية التي تدعـــــوا الانسان الى البعد عن مواطن النزاع وأن ينأى بنفسه عنهـــا أما اذا تورط فيها ،فانه يجب عليه في هذه الحالة أن يعمل قدر استطاعته على تهدئة النزاع لا الانسياق فيه ،لان النــزاع كالحفرة المغطاة لايعرف الانسان قرارهـــا :

" اذا قوبلت بمشاجرة أو نزاع ،فامض في طريقـــك ولا تعرها أى اهتمـــام .

" واذا كان النزاع يتصل بك ،فاعمل على اخمــــاد لهيبه ،فان النزاع حفرة مغطـــاة "

٧) اتقان العمـــــل

ولقد حث العديد من التعاليم العراقية القديمـــــة على اتقان العمل ،وأن يقوم الانسان على مايتقتنه منـــــه فحسب ،كما أوضحت تعاليم آخرى أنه يجب البعد عن الاعمـــال التى لاطائل من ورائها ،وآنه لابد للانسان آن يعمل حتـــــى يجنى نتيجة عمله ،وأخيرا فان على الانسان ان يسعى ،وفـــى هذه الحالة فان الهه سيساعده .

ومن الامثال السومرية التى تركز على أهمية قيـــــام الانسان بالعمل الذى يجيده فقط قولهم :

" من كان عمله الزراعة،فعليه زراعة الحقـــل
" ومن كان عمله حصاد الشعير ،فعليه القيام بحصاده "

ومن الحكم السومرية التى تدعوا الى عدم القيـــام بالاعمال التى لايرجى منها ،أو عدم البحث عن عمل شئ قـــد تم انجازه بالفعل قولهـــم :

" لاتقطع راس الشئ الذى قطع راسه بالفعـــل "

ويتصل بذلك أيضا بعض النصائح التى وجهها شوروبـــاك الى ابنه زيوسدرا ،ومما جاء فيها نصحه اياه بعدم عمـــل الاشياء التى قد تسبب له ازعاجا ،أو التى لاطائل مـــن

وراثهـا ،ومما ورد فى ذلـــك :

" لاينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق ،ولاينبغـــــى
زراعة حقل على الطريق "

وأوضحت بعض الحكم التى ترجع الى العصر البابلــــى المبكر أن على الانسان أن يعمل حتى يكسب من عمله ،فـــان من لايعمل لن يجنى شيئا ،ولن يجد أحدا يعطيه نتيجة عـــدم قيامه بعمل ،ومما ورد فى ذلـــك :

" طالما لم يعمل الانسان ،
" فانه لن يجنى شيئـــا
" فمن الذى سيعطيه أى شىء
" مقابـــل .... "

وأخيرا فان على المرء ان يجد ويسعى ويبذل جهـــده وحينئذ فان الهه سيقوم بمساعدته ،ومما جاء فى ذلك :

" جهز نفسك ،وسيساعدك الهـــك "

وجاء كذلـــك :

" انزع سيفك من غمده ،وسيساعدك الهـــك "

١٦٦

أولاً : المراجع العربية :

- رشيد الناضوري : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الثالث ، المدخل فى التطور التاريخى الفكر الدينى ، بيروت ، ١٩٧٦ .
- طـه باقـر : مقدمة فى أدب العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- طـه باقـر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، القسم الأول ، تاريخ العراق ، بغداد ، ١٩٥٥ .
- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

ثانياً : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية :

- سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة وزاد عليه السيد يعقوب بكر وراجعه محمد القصاص ، القاهـــرة ، ١٩٦٨م .
- ل . ديلابورت : بلاد مابين النهرين ، الحضارتان البابلية والآشورية ، ترجمة محرم كمال ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، مجموعة الألف كتاب (٣٥) .

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Biggs, R.D., «Akkadian Didactic and Wisdon Literature», in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Relatig to The Old Testament, Princeton, 1974.
- Civil, M., et Biggs, R.D., «Notes Sur des Textes Sumeriens Archaiques», in Revue D'Assyriologie et D'Archeolodie Orientale, Vol. Lx, No. 1, Oxford, 1974.
- Gordon, E.T., Sumerion Proverbs, Glimpses of Evrydoy Life in Ancient Mesopotamia, The University Museum, University of Pennsyluania, ehiladelphia, 4, 1959.
- Gordon, E.T., Anew Looke at The Wisdom of Sumer and Akkad; in Bibliotheca Orientalis, Xvll, No. 3/4, (Mei - Juli), 1960.
- Jacobsen, T., in Before Philosophy, Pelican Bools, 1949.
- Jacobsen, T., in Gordon, E.T., Sumerian Proverls, Glimpses og Everyday Life in Ancient Mesopotomia, Philadelphia, 1959.
- Kramer, S.N., The Sumerians, Their History, Culture, and Character, Chicago, 1963.
- Kramer, S.N., «Sumerion Myths and Epic Tales», in Pritchard, T.B., Ancient Near Eastern Texts Rexts Relatiog to the Old Testament, Princeton, 1974.

- Kramer, S.N., «Sumerion Hymns» in Pritchard, T.B., Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament, Princeton, 1974.
- Lambert, W.G., Babylonian Wisdon Literature, Oxford, 1960.
- langdon S., «Babylanion Proverbs», in The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. xxvIII (July 1912).
- Langdon, S., «A Tablet of Babylonion Wisdom», in Proceedings of The Society of Bibical Archaeolorgy, Vol. xxxvIII (1916).
- Pfriffer, E.F., «Alladian Peoverbs and Counsels», in Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts Pelating to The Old Testament, Princeton, 1974.

الفكر الدينـــــى

عند دراسة الفكر الدينـى المبكر فى العـــــراق القديم يتضح تداخله المباشر مع الفكر الدينى السامـى فى بلاد الرافدين مما أدى الى ضرورة الرجوع الى المصـادر السامية لتتبع بعض الجوانب الاساسية فى الفكر الدينـــى السومرى • ومن ناحية أخرى ينبغى الرجوع الى مراحــــل عصور ماقبل التاريخ لدراسة الجذور الاولى للفكر الدينى الانسانـــــى •

وعبر الانسان العراقى عن فكرة الدينى فى عصـــــور ماقبل التاريخ بصنع تماثيل طينية صغيرة لالهه الامومـــة وربما كان ذلك راجعا بشكل رئيسى الى تقديسهم للخصوبـــة وكل مايؤدى الى وفرة الانتاج فى الحياة ،ويلاحظ كذلـــك وجود بقايا جثث أطفال دفنوا فى أوان فخارية ،و كانـــت رؤوسهم متجهة نحو الشمال ،ويرى بعض الباحثين أن ظاهـرة مقابر الاطفال بالذات تتصل بموضوع التضحيات البشريـــة استرضاء للقوى الالهية ،وعلى رأسها الهة الامومـــة •

و تأثر الفكر الدينى فى العراق القديم بالمقومات البيئية والبشرية الخاصة بهذه المنطقة [1] ،ومن أبرزهـــا البيئة العراقية ، التى تتميز أحوالها بعدم الانتظــــام

روجود نوع من العنف في بعض مظاهرها ،فنهرا دجلـــــــة والفرات وان كانا قد حققا للانسان العراقي القديـــــم قدرا كبيرا من الاستقرار المعيشي مكنه من صنع حضارتــــه في عصور مبكره لاتبعد كثيرا عن العصور التى نضجت فيهـــا الحضارة المصرية الاولى ، الا انهما في الوقت ذاتــــم قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام ،فيحطمان الســدود ويغرقان الارض وقد يفيضان في غير أوقات الحاجة الملحـــة اليهمـــــا .

واذا كان هذان النهران وفروعهما قد عملا على تيسير الاتصالات المائية بين أجزاء العراق القديم ، الا أن الملاحة فيهما لم تكن مأمونة دائما ،وذلك لشدة انحدارهمـــــا وسرعة جريان تياراتهما في أجزائهما العليا،وبـــــطء جريانهما و كثرة مستنقعاتهما في أجزائهما الدنيا .

وبالاضافة الى فيضانات دجلة والفرات ،فالامطـــار مائية تحول الارض الى بحر من الطين يسلب الانسان حريـــة الحركة و أحاطت بهم من الغرب والجنوب صحراوات وبــوادى واسعة فقيرة في مواردها الطبيعية من المعادن والاحجـــار وسببت هذه الصحراوات والبوادى للانسان العـ ''

الكثير من المتاعب والمشاكل ، الا أنها في الوقت ذاته لم تكن شرا كلها فقد حققت له بعض النفع المتمثل في قيام أسواق تجارية على أطرافها ،كما جاءت منها هجرات سامية كبيرة نجحت في ضم شملهم وتوسيع حدودهم كما فعل الاكديون الساميون وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون.

و اذا كانت المرتفعات الشمالية ،والشمالية الشرقية قد عوضتهم ببعض المواد الاولية وبخاصة الاحجار،الا انها في الوقت نفسه كانت مصدر قلق كبير لاهل العراق ، اذكثيرا ما اجتازتها هجرات رعوية كاسحة حرمتهم من الاستقرار لفترات طويلة ،وحدث ذلك على امتداد تاريخ العراق القديم مثل هجرات الجوتيين والكاسيين والحوريين والميتانيين وغيرهم ،وأدت هذه الظواهر البيئية التي يغلب عليهما المتاعب والمشاكل ازاء المنافع الى التحكم في ارادة الانسان ودفعته الى الشعور بضآلته تجاهها ،كما صبغت حياته ببعض الحدة والتوتر ،وكان لذلك تأثيره على الناحية النفسية والدينية للانسان العراقي القديم.

ولقد نبع الفكر الديني السومري من مجموعة التجارب التي واجهها الانسان السومري في جنوب العراق

القديم ،فالانسان السومرى بدأ حياته فى تلك المنطقة بانشاء القرى واقامة الحياة الزراعية والصناعية المستقرة فيها ،ولكنه سرعان ماواجه منذ البداية بيئة أرضية وجوية ومائية نهرية وبحرية متغيرة لاتنعم بالاستقرار ولاتنعم بالطمأنينة بل تتصف بالتقلب و التغير المستمر الى حد تهديد حياة ذلك الانسان السومرى بالافناء والحاق مختلف المصاب بحياته ومصيره .

وتعرض الجانب الاقتصادى فى حياته أيضا للاضرار البالغة ،وقد أدى ذلك كله الى البحث والتعمق من جانب الانسان السومرى فى دوافع تلك الامور البيئية ووسيلة التحكم فيها و احلال المنفعة العامة والطمأنينة مكان الجوانب الشريرة الضارة بحاضر الانسان ومستقبله ،و نتج عن ذلك مزيج من الفكر الدينى الذى يبدو فيه بعض التناقض أحيانا ،على الأقل بالنسبة الى الفهم المعاصر الآن ،كذلك فان تعدد تجارب الأنسان السومرى قد أدى الى عدم توافر وحدة فكرية دينية بل مجموعات من الافكار الدينية المترابطة فى بعض الاحيان و غير المتكاملة أحيانا أخرى ،وقد اتجه الانسان السومرى الى البحث عن القوى الخفية الخيرة والشريرة التى اعتقد بتحكمها فى عالمه الدنيوى والاخروى ،وبدأ فى محاولة تحديد مفهومها وتجهيز مايلزم نحو اكتساب رضاها .

وقد اعتقد السومريون فى وجود تنظيم جماعى لكافة القوى الالهية وذلك فى جمعية عمومية الهية يسودها الحق والصدق ،ويتجه بعضها الى الظلم ،وكان السومرى يعتقد أنها - أى الالهة - كانت تأكل وتتزوج وتشرب وتنجب وتحارب و تقتل و غير ذلك من مختلف ظواهر التصرفات الانسانية البحته . والواقع أن الانسان السومرى كان يهدف من وراء ذلك تقريب الصورة الالهية من وجهة النظر الانسانية حتى يستطيع الانسان العادى الاعتقاد فيها دون صعوبة (٢)

ومن المظاهر المميزة للفكر الدينى فى العراق القديم صفة الاستمرار التاريخى ،فانه عندما بلغت طور النضج فى العصور التاريخية فى الالف الثالث ق.م . لم يطرأ عليها من حيث القديم حتى زوال البابلين السياسى فالمعبودات التى قدسها سكان العراق فى العصور التاريخية المتأخرة هى بوجه التقريب المعبودات القديمة نفسها التى قدسوها فى الادوار القديمة ،ونفس الامر ينطبق فى الطقوس والشعائر والتراتيل الدينية الاساسية . أما التغيرات التى نجدها فهى فى علاقة الالهة بعضها ببعض وذلك فى حالة ما اذا كانت تلك العلاقة و كذلك مكانة

الالهه وأهميتها تتغير تبعا للتغيرات السياسية،فعندما تبلغ مدينة قوة سياسية وتبسط سلطانها على المدن الاخرى يعظم عند ذلك شأن الهها،فيعمل الكهنة على تحديد علاقة هذا الاله بغيره من الالهة . وكثيرا مايعمد الكهنة الى تحوير المعتقدات الدينية لتتفق مع التغيير الحاصل فى مكانة الالهة . كما أن المدن المختلفة قد تنفرد بعبادة اله أوعدة الهه حيث تخصها بالتعظيم ،ولكنها لاتترك تقديس الالهة الاخرى أو على الاقل لاتنكر وجودها وهذا مايعرف " بمبدأ التفريد " أى خص اله او جملة آلهه بالتعظيم والعبادة دون ترك الالهه الاخرى .

و تجدر الاشارة قبل تناول المظاهر الفكرية المتعددة الخاصة بالناحية الدينية الى تعدد المصادر الخاصة بالفكر الدينى والتى تشمل فنون العمارة الدينية كالمعابد ،وفنون النحت ، المخصصة للاغراض الدينية كتماثيل الالهة والمشاهد الدينية المنحوتة كمناظر الصلوات وتقديم القرابين والأختام الاسطوانية التى تمثل كثيرا من المشاهد الدينية وصور الالهة والاساطير المتعلقة بها .

والنوع الثانى من هذه المصادر يتضمن الكتابات الدينية وهى متنوعة ومتعددة ومنها : الاساطير والقصص وكان منها مايتصل باقامة الشعائر والطقوس الدينية ، ومنها ماكان ذا غرض دينى بحت ومن امثلة هذه النوع الاخير أسطورة الخليقة وقصة جلجامش .

ومن هذه الكتابات الدينية كذلك بعض المجاميع من الارشادات فى كيفية اقامة الشعائر الدينية المختلفة كالصلوات و كيفية بناء المعابد وتطهيرها ومايجب أن يقام من الشعائر فى حالات بعض الظواهر الطبيعية وكذلك مجموعات من الصلوات والتراتيل الدينية المخصصة الى الالهة المختلفة .

ويضاف الى هذه الكتابات الدينية التعاويذ والرقى ونصوص الفأل والتنبؤ وطرق الكهانة والعراقة والنصوص الخاصة بالتنجيم ،وكذلك النصوص المتصلة بعلاقات الالهة بعضها ببعض ،والوثائق الادارية الخاصة بالمعابد وأملاكها وموظفيها وطبقات كهنتها ،وذلك بجانب المصادر الادبية الاخرى التى تساعدنا بصورة غير مباشرة على تفهم النواحى الدينية كالشرائع والرسائل واسماء لاشخاص ولعقود وغيرها (٣)

وسنتناول فيما يلى بعض مظاهر الفكر الدينى فـــى العراق القديم وهذه المعبودات والكهنه والكاهنات وطقـــوس الجنس المقدس والمعابدوعالم مابعد الموت •

أولا : المعبـــــودات

كان للبيئة العراقية التى استعرضنا مظاهرهـــا الرئيسية ،والتى تميزت بالتقلب و عدم الاستقرار والتغير المستمر الى درجة الحاق الضرر والاذى بالانسان السومـري وتعريض حياته الاقتصادية للخطر والاضرار ،وقد دفعـت هذه الاحوال البيئية الانسان السومرى الى محاولة البحـث والتعمق فى دوافع تلك الاشكالات البيئية ،والوسائل التـى تمكنه من التحكم فيها ،واحلال الخير والمنفعة العامـة والطمأنينة الاقتصادية والنفسية مكان الجوانب الضـارة والشريرة بحاضر الانسان ومستقبلـه .

ولقد اتجه الانسان السومرى الى البحث عن القـــوى الخفية الخيرة والشريرة التى اعتقد بتحكمها فى عالمـه الدينوى والاخروى ،وبدا فى محاولة تحديد مفهومهــا واعداد مايلزم نحو اكتساب رضاها ،وقد تحقق هذا الامـر بالفعل فى الفكر الدينى السومرى الذى تميز بمستـواه الانسانى فى التصوير والتعبيــر .

و نسب السومريون الى معبوداتهم فضائل وعواطـف انسانية وأصبغوا عليهم نفس طريقة الحياة وان رفعوهـم عن الجنس البشرى بأن منحوهم الخلود وآمنوا بهم،ولم يكن

هناك اله شرير ،بل ان الشر كانت تسببه فى العالـــم أرواح خبيثه ربما كانت أسمى من البشر ولكنها دون الالهة ،ولـــم يكن يقام لها عبادة دينية بل كان الناس يحاولون مقاومتها واتقاء شرها عن طريق ممارسة السحــر.

وتمثل الالهه السومرية العوامل الجوية المختلفـــة، وقد أشارت الملاحم والاساطير السومرية والبابلية الـــى هذه المعبودات وعظمتها ، الا انه تجدر الاشارة الى أن هذه الملاحم والاساطير لم تشر الى نوعية القوة التى قامـــت بخلق الالهة الرئيسية بل اعتبروا وجودها من الامـــور الازلية التى لاتحتاج الى نقاش وأن هذه الالهة هى التـــى قامت بخلق الكون والانســـان .

واعتقد السومريون والاكاديون أنه لم يكن هنـــاك شىء كائن عند نشأة العالم ،وأن فى هذه اللاشىء كـــان يمكن تمييز عنصرين من الرطوبة مختلفين يتكونان مـــن ذكر وانثى ،أما الذكر فهو أبسو APsou و أما الانثـى فهى تيامات Tiamat وكان ابسو يمثل لديهم الميـــاه العذبة ،وذلك على نقيض تيامات التى تمثل المياه المالحة وشكل ابسو مع زوجته تيامات المياة الاولى ، المادة الاساسية التى انبثقت عنها جميع الالـــهة ،وهو ماتدل عليه قصيـــدة

الخليقة البابلية المعروفة باسم " انوما ايليش " وقد جاء في مطلعها(٤)

" حين لم تكن السماء العلا قد سميت بعد

ولم يكن للارض من تحتها اسم

اختلطت الامواه من ابسو الاولى أبيهم

ومن تيامات الصاخبة ام الجميع فصارت واحدا

ولم تكن الاجام والاغصان مثبتة

ولم تكن فياض القصب مرئية

حين لم يكن هناك اله له اسم

حين لم يكن هناك قدر مرسوم

خلق الآلهة ".

وتذهب بعض الاساطير الى أن الاله " مردوخ" قد فصل جسم " تيامات " وكون من نصف منه السماء ومن نصفه الثاني الارض ثم خلق الكواكب والنجوم وخلق بالاشتراك مع ابيه الاله " ايا " الانسان من دم أحد الالهة.

وفي روايات أخرى عن الخليقة أن الانسان خلق من دم اله ومن تراب الارض والظاهر أن خلق الانسان قدجاء بعد خلق الكون والحيوانات والنبات ،ثم خلقت الاشياء الاخرى

الخاصة بالعمران البشرى من زراعة وعمارة وصناعة .

وعلى ذلك فان أصل الاشياء طبقا لاسطورة الخلق البابلية قد تمت فى عمليتين متداخلتين من الخلق ،تسم فى الاولى مجىء الالهة والاشياء الاساسية فى الكون ،والثانية كيفية ظهور نظام المجتمع والحضارة .

ويمكن القول اعتمادا على الاساطير السومرية ، أن القوم قد اعتقدوا انه :فى البدء كان عنصر الماء أزليا والها فى نفس الوقت ،وتولد من الماء عنصر آخر هو عنصر السماء والارض متحدين و كانت الارض والسماء الهين كذلك ،وتولد من السماء والارض المتحدين عنصر غازى هو الهواء المتمد الذى فصل بتمدده السماء عن الارض ،وجسموا الهواء الها هو الاله " انليل " وتولد من الهواء القمر، ومن القمر ولدت الشمس ،وجسموا كلا من القمر والشمس ، وعدوهما الهين ،وبعد انفصال الارض عن السماء نشأت أنواع الحياة الاخرى من نبات وحيوان وانسان على الارض . وقد تصوروا أن أصل الحياة والاشياء من اتحاد الهواء والتراب " الارض " والماء بمساعدة الشمس ،وهذه هى نظرية العناصر الاربعة .

وسنتناول فيما يلى أبرز المعبودات التى آمن بها سكان بلاد الرافدين متتبعين خصائصها وعبادتها وأهميتها ونبدا بالالهه الكونية ويأتى فى مقدمتها المعبود آنو،

(١) آنـــــو

الاله آنو هو اله السماء ،ويقع ترتيبه من حيـــث الاهمية فى قمة الالهه السومرية الرئيسية وكذلك البابليـة وقد نعت بأبى الالهه وملك الالهـه ،وتمثل السماء هــذا الاله كما يدل على ذلك اسمه بالسومرية " آن "

واعتقد ان مقره فى السماء فى أعلى نقطة فيها . ولقـــد كتب اسمه بالعلامة المسمارية التى كانت فى الاصل صـــورة تشبه صورة النجمه ذات الثمانية رؤوس وبواسطة هـــــذه العلامة كتبت كلمة سماء وكلمه اله أيضا ولذلك استخدمت علامه النجمه ذات الثمانية رؤوس كعلامة دالة تسبق اسماء جميع الالهـه العراقية القديمـة .

ويرى بعض الباحثين ان سبب كتابة اسم الاله آنـــو وكلمة اله المطلقة بنجمة ذات ثمانية رؤوس ،بأن هـــذه الرؤوس الثمانية ماهى فى حقيقتها الا مؤشرات الى جميـــع جهات الكون الجغرافية وهذا يعنى أن هذه الرؤوس كانـــت تعبر عن الشمول وتهدف ايضا الى التأكيد على ان الالـــه موجود فى كل مكان من الكون .

ومما يؤكد آن هذه الرؤوس الثمانية لاعلاقة لهـــا

بالنجمة ،بل انها تشير الى جميع جهات الكون هــو أن العلامة لم تستخدم اطلاقا للدلالة على النجمة ،ولكــن شبهها للنجمة هو الذى دفع العراقيين القدامى الــى أن يكتبوا كلمة نجمة بتكرار العلامة المذكورة ثلاث مــرات وذلك حتى يفرقوا بين كلمة " آنو " اله وبين كلمــة نجمة (٥).

واعتبرت النصوص المسمارية الاله " انو "والــدا للعديد من الآلهه مثل اله الهواء انليل واله الجــو أدد واله الحب و الحياة أنانا وغيرها من الالهه وذلــك بالاضافة الى أبوته للالهــة السبعة الشريرة.

و نظرا لابوتة للعديد من الالهة الطيبة والشريــرة فقد اعتقد العراقيون القدامى أنه هو السبب فى معظــم ماكان يصيبهم من خير أو شر ،ومن أبرز أعماله السلبيــه تجاه البشر ماجاء فى ملحمة جلجامش التى ذكرت أن الالــه آنو هو الذى خلق ثور السماء بناء على طلب الالهة أنانــا (= عشتار) وأنزله الى الارض ينشر بواسطته الرعب بيــن البشر ،وأن جلجامش ورفيقه أنكيدو هما اللذان انقــذا البشرية من شرور هذا الثــور.

ومما لاشك فيه أن السبب الذى جعل الاله آنو يبدو فى نظر سكان بلاد وادى الرافدين على أنه مصدر الخير والشر فى آن واحد يعود الى أن السماء هى التى تحتضن العوامل الجوية التى تؤثر سلبا او ايجابيا على الانسان وعلى موارده الغذائية ومصدر حياته . ولقد مثل آنو شخصية السماء الطاغية ،وفى حالة ذكر السماء دون آنو فهى حينئذ مجرد " شئ " انها مسكن الاله .

ومثلت السماء مصدر ومركز كل جلال ،فحيثما وجد الانسان جلالا وسلطانا أدرك إنهما قوة السماء ـ أى آنو وكان الانسان يرى الجلال والسلطان فى مواضع عديدة ،ومن أهمها السلطة التى تمثل القوة التى تؤدى الى وجود الطاعة وهو العنصر الاساسى فى كل مجتمع بشرى منظم، فلولا الطاعة للعرف والقوانين ولذوى " السلطة " لتفكك المجتمع واعترته الفوضى ،وهكذا كان البابلى يرى فى الاشخاص الذين تتمثل بهم السلطة ،كالاب فى العائلة ، والحاكم فى الدولة ،شيئا من آنو وجوهر آنو . ولما كان آنو أبا الآلهة ،فهو النموذج الاول لكل الآباء ولما كان أيضا " الملك والحاكم الأقدم " فهو النموذج الاول لكل الحكام . والشارات التى ترمز الى جوهر الملك،

كالصولجان و التاج ورباط الرأس وعصا الراعي ،هي شاراته ولاتستمد الا منه ،فقد إعتقد العراقيون القدامى أن هذه الشارات قد وجدت قبل أن يظهر أي ملك بين البشر وقد كانت كلها في السماء بين يدي آنو ،ومن هناك هبطت الى الارض ،واعتقدوا أيضا أن قوة الملك تستمد من آنو ولايسري أمره بين الناس الا بقدرته .

ومثل آنو مصدر كل سلطة في كلا المجتمعين البشري والكوني ،فهو الطاقة التي تنقذ المجتمع من الفوضى وتجعل منه كلا منظم التركيب ،وهو الطاقة التي تضمن طاعة الناس التلقائية للاوامر والقوانين والعادات في المجتمع أي النظام الدينوي .

وعبرت الاساطير العراقية القديمة عن سلطة آنو وقوته فجاء في أحدها على لسان كبار الالهة وهم يخاطبون آنو بقولهم (٦١)

" ماتأمر به يتحقق

وماقول السيد والامير الا

ماتأمر أنت به ،وماتوافق أنت عليه

ياآنو ! كلمتك هي العلياء

من يستطيع أن يقولا لهـا كـلا ؟
يـاأبا الالهة ،ان أمـرت
فـأمرك أساس السمـاء والارض
أي اله يستطيع لامرك ردا ؟

ويوصف المعبود آنو بصفته سيد الدنيا المطلـــق
والقوة العليا في الكون في أحد الاساطير بهذه الكلمات :

" ياصاحب الصولجان ،والخاتـم ،
يامن تدعو الى الملكيـة ،
ياسيد الالهه ،يامن كلمتك هي الغالبـة
في مجمع الاله الكبار المقـرر ،
يارب التـاج المجيد ،يامدهشـا
بقوة فتنتـك ،
ياغالب الزوابع العاتية ،ومرتقى منصه الالوهيـة
بجلالك وأبهتـك
الفاظ فمك المقـدس
تصغى اليها الاجيجي ،
والانونا كي تسير امامك خائفـة
و كالاقصاب في مهب الريـح
تنحنى لاوامرك الالهــه .

ولقد خصت لعبادة آونو مدن شيدت فيها معابد من أهمها مدينة نفر وآور والوركاء وقد سمى معبده فى هذه المدينة باسم " اى - آنا " ويعنى ذلك بيت السماء او بيت " آنو وهو أفخم معبد فى المدينة ،وقد شيد له معبد ثان فى مدينة " دير " القريبة من مدينة بدره الآن وشيد الملوك الاشوريون لآنو معبدا فى مدينة آشور خصصوه لعبادته ولعبادة اله آخر هو " أدد "

(٢) انليل

يمثل انليل الهواء ،ويأتى فى المرتبة الثانية بعد المعبود آنو اله السماء و يعنى اسمه " ان - ليل" " السيد العاصفة " سيد مابين السماء والارض بلا منازع ولقد تلقب انليل بالعديد من الألقاب ،فقد تلقب مثل آنو بأبى الالهه وقد أطلق عليه هذا اللقب فى نص من عهد " انتمينا " ايشاكو لجش و كذلك فى قصيدة " ايبا " و " اتارها سيبس " ولقبته النصوص المسمارية بسيد جميع البلدان وبأبى جميع الالهه وبالجبل الكبير وبالاله الذى يقرر المصائر و الاله الذى لارجعه لقراراته و بصاحب العينيين البراقتين وبالاله الذى يمتلك بين يديه الواح القدر،وأكدت الملاحم

الخاصة بخلق الكون على أن الاله انليل هو الذى قسام بفصل السماء عن الارض وهو الذى خلق الفأس أداة العمل وقد صار اسمه يعنى " الرب " أو " السيد " حتى انهم اشتقوا من اسمه صفة الربوبية والالوهية .

وقد فرض انليل شريعته على جميع سكان العالم ،وله شبكه مقدسة يحبس فيها كل من يحلف زورا او يحنث بقسمه وكانت اقضيته واحكامه لامرد لها وهو الذى يعاقب الملوك على آثامهم وظلمهم ،وقد ورد ذكره فى شريعة حمورابى من بين الالهة المعظمة التى دعا الملك حمورابى اسماءها لتوقع العقاب على من يبدل شريعته .

وللإله انليل مواقف سلبية تجاه البشر والآلهه ففيما يخص البشر ،فهو الذى قرر الفيضان على الارض الذى أباد كل البشر باستثناء من أنقذهم " اوتونابشتم" فى سيفنته وذلك حسبما ورد فى قصة الطفوان ،وكان لذلك اثره فى العقائد العراقية حيث اعتقد بأن المعبودة عشتار نظراً لموقفه هذا أرادت ان تمنعه من أن يكون له نصيب فى تضحية " اوتانابشتم " فصرخت قائله : " دعوا الالهة يأتون للتضحية ولكن لاتدعوا انليل يأتى لانه لم يمعن الفكر بل أحدث الطوفان وأنزل الهلاك بقومى

وقد انبه " ايا " كذلك من اجل نفس العمل فقال " انـــت أعقل الرجال ! أيها البطل ! لـم لم تمعن الفكـــــــــر وأحدثت الطوفــــان ؟

ونظرا لانه اله العاصفة ،فانه يمثل كل ما فيهـــا من عنف وبطش ،وقد أرجع الانسان البابلي الاحداث التاريخية السيئة التي لحقت ببلادهم الى هذا الاله ،فالتدميـــــــر الذي أساب أور من جراء هجمات العيلاميين لم يكن فـــــي نظرهم الا تنفيذا لحكم انليل اله العاصفة ،ولذا توصـــف هجمة العدو بانها تلك العاصفة :

دعـا انليل العاصفـة

والشعـب ينــــوح

وأخذ من الارض رياحا منعشـــه

والشعـب ينــــوح

وأخذ رياحا طيبة من سومـــــر

والشعـب ينــــوح

ودعا رياحا شريـــره

و الشعـب ينــــوح

وعهد بها الى كنجالودا Kingaluda

راعى العواصـــف

ودعا العاصفة التى ستفنى الارض

والشعب ينوح

ودعا رياحا مدمرات

والشعب ينوح

واختار انليل جبيل Gibil معاونًا له

ودعا زوبعة السماء

و الشعب ينوح

الزوبعة المعمية الزاعقة عبر السموات

والشعب ينوح

والعاصفة المحطمة الادرة عبر الارض

والشعب ينوح

والاعصار الظالم المنقض كالطوفان

على مراكب المدينة لالتهامها

هذه كلها حشدها عند قاعدة السماء

والشعب ينوح

وأشعل نيرانا عظيمة كانت رسول العاصفة

والشعب ينوح

وأشعل على الميمنه والميسره من الرياح العاتية

هجير الصحراء اللاهب

وكان حريق هذه النار مثل لهيب الظهيرة

وهذه العاصفة هى السبب الحقيقى فى سقوط المدينة
والعاصفة التى أمر بها انليل فى حقده
العاصفة التى تأكل من الارض
كست أور كالثوب ،وغلفتها كالدثار
وهى سبب الدمـــار
فى ذلك اليوم تركت العاصفة المدينـة
وكانت المدينة خرابـا
نانا ،ياأبتاه ،خلفت المدينة خرابـا
والشعب ينـــوح
فى ذلك اليوم خلفت العاصفة المدينة
و الشعب ينـــوح
و مداخل المدينة اكتســت
لابشظايا الخزف ،بل بالموتى من الرجال ،
وطغرت الجدران
وامتلأت البوابات والطـرق
بركام الموتــى
وفى الشوارع الفسيحة حيث كانت
تجتمع الجماهير فى الاعيـــاد
تبعثرت الجثث

في الطرقات كلها والازقة كلها تبعثرت الجثث

وفي الحقول التي كانت تموج يوما بالراقصين

تراكمت الاجساد

وثقوب الارض امتلأت بدمائها

كالمعدن المصهور في قالب ،

وذابت الاجساد - كالدهن في الشمس ،

وعلى ذلك فان انليل كان يمثل القوة أو البطش وكل اراده تعارضه تسحق وتكرة على الخضوع ،كما أنه في مجمع الالهه كان هو الذى ينفذ أحكام المجمع ويقود الالهة في الحرب ،وحيث ان انليل يمثل البطش فقد كان لطبيعته صفة غريبة ،حيث كان يمثل ثقة الانسان وخوفه في آن واحد انه البطش كقوة مشروعه ،سند الدولة ، الدعامة التي يرتكز عليها حتى الالهه ،فيخاطبه الانسان على هذا النحو :-

يامن تحيط بالسماء والارض ، ايها الاله السريع

يامعلما حكيما للشعب ،

يامن ترى اقاليم الدنيا كلها من علياءك

ايها الامير الناصح ،مسموعة كلمتك

وكل ماتعوه - ... تعجز الالهه عن تبديله

وألفاظ شفتيك لايوجد اله يزدرى بها،
رباه ،ياحاكم الالهه فى السماء ،
وناصح الالهة فى الارض ،أيها الامير العادل... "(٨)

و نظرا لعنف العاصفة وآثارها المدمرة على الانسان لقد كان فى الانسان خوف كامن منه وهو ماظهر فى العديد من التراتيل التى وصلتنا من هذا العهد وجاء فيها:

ما الذى اختطه ؟
ما الذى فى قلب أبى ؟
ما الذى فى ذهن انليل المقدس ؟
ما الذى اختطه علىَّ فى ذهنه المقدس ؟
شبكه نشر : تلك شبكه العدو .
فخاً نصب : ذلك فخ العدو
لقد اهاج المياه ،باغيا صيد السمك
لقد رمى الشبكة ،باغيا اسقاط الطيور ."(٩)

ويبرز هذا الخوف أيضا فى أوصاف أخرى لانليل ،وهو الذى قد يسمح لشعبه بالهلاك فى زوابع لاترحم ،ان غضبه يكاد يكون مرضيا ،كأنه هياج فى النفس يفقده الحس ويصم أذنيه عن الرجاء :

انليل ياأبتاه ،يامن عيناك تقدحان هياجاء
متى ،متى تستقران سلاما ثانيـــة ؟
يامن كبوت راسك بثوب ـ الى اى مدى ؟
يامن أسندت راسك الى ركبتيك ـ الى اى مدى ؟
يامن أغلقت قلبك كصندوق من خزف ـ الىاى مدى؟
ياجبارا سددت باصبيعك آذنيك ـ الى اى مـدى؟
انليل ياأبتاه ،انهم لالكون الان "(١٠)

وسجلت العديد من الترانيم الكثير من التسبيـــــح والابتهال الى الاله انليل ،ومما جاء فى احدى هـــــــذه الترنيمـــــات :

بدون انليل ، الجبل العظيـم
لاالمداشن شيدت ،ولاالمقـــار أسست
لا الاصطبلات شيدت ،ولاحظائر الغنم أقيمت
ولا الانهار مياهها العالية جلبت الفيض
ولا البحر أعطانا مختارا كنوزه الوفيره
ولاسمك البحر وضع بيضه فى الاحـــــواض
ولاطيور السماء نشرت أعشاشها على الارض الرحيبه ،
لا الغيوم المحملة بالغيث فى السماء فتحت أفواهها
ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثيـر ،

ولا الاعشاب والحشائش فى السهول نبتت

ولاأشجار " الجبل " الكبيرة فى البستان حملت ثمارها

ولا البقرة وضعت عجهلا فى الاصطبل ،

ولا الغنمه ولدت حملها فى الحظيرة ،

ولاالجموع الغفيرة من بنى البشر اضطجعت آمنه ..

ولا البهيمة من ذوات الاربع ولدت صغارها

ولا رغبت فى التناسل

وفى ترنيمه أخرى يشار الى عظمه انليل وقوته وفيما يلى ماجاء فيهما :-

تقارب السماء - فيكون الفيض

من السماء ينزل الفيض الى الارض

تلامس الارض- فتكون الوفرة

من الارض تصدر براعم الخصب

حكمتك هى الزرع ،كلمتك هى الحبوب

كلمتك - هى الماء الغامر ،حياة جميع البلاد

وجاء فى ترنيمة غنائية موجهة الى ننورتا الذى وان كان فى الاصل متكفلا بالريح الجنوبية العاصفة ، اله الحرب الذى يدمر البلاد المتمردة ، الا انه كان معروفا

أيضا بوصفه " فلاح انليل " ،ومما جاء فى هذه الترنيمة ويتصل بانليل :

المنى الذى يهب الحياة ، البذرة التى تهب الحياة

ملك نطق باسمه انليل

المنى الذى يهب الحياة ، البذرة التى تهب الحياة

ننورتا ، الذى نطق باسمه انليل

ياملكى سوف انطق باسمك مرة بعد مرة

ننورتا ، انارجلك ، رجلك

سوف انطق باسمك مرة بعد مرة ،

ياملكى ، النعجة ولدت الحمل ،

النعجة ولدت الحمل ، النعجه ولدت الشاه الحسنة

سوف انطق باسمك مرة بعد مرة ....

مادام ملكا.......،

فى النهر يتدفق الماء العذب

فى الحقل ينبت الحب الوفير،

البحر يمتلىء بالشبوط والسمك ....

وفى الدغل ينمو القصب القديم ،والقصب الجديد

والغابات تحفل بالايائل والماعز البرى

وشجر ينبت فى القفار

والكروم تمتلىء بالعسل والنبيذ ،
وفى البلاط تنبت " الحياة الطويلة " .

ويرتبط بانليل كاله للعاصفة التى لاتبقى ولاتذر ولايقف امامها شئ ،موقفه من زوجته ننليل ،فقد كان هو الاله الوحيد من بين الالهه الذى اغتصب زوجته . وحول هذا الاغتصاب ،هناك ملحمة ملخصها أن والده الالهة ننليل قد نصحت ابنتها بالاستحمام فى قناة تسمى " نوبيرا " وقالت لها بأن الاله انليل سوف يغازلك وعليك آن لاتمانعى وجاء فى ذلك :

فى الجدول الصافى
ياأمراة ، اغتسلى فى الجدول الصافى
ننليل ،سيرى على ضفة جدول نوبيرا
وسوف يراك صافى العينين ، السيد صافى العينين
الجبل الباذخ ، الاب أنليل ،صافى العينين
الراعى ... الذى يقرر المصائر ،صافى العينين
سوف يراك
وسرعان ماسوف يحتضنك (؟) ويقبلك

وفعلت الالهة ننليل ماأوصتها به والدتها وهى مسرورة ولكنها مع ذلك لم تستجيب لغزل الإله انليل عندما

رآها ،وفي ذلك تذكر الملحمـــة :

في الجدول الصافي تغتسل المرآة ،في الجدول الصافي
وتمشي ننليل على ضفة جدول نوبيرا
ورآها صافي العينين ،السيد صافي العينين
" الجبل البارخ " الاب انليل ،صافي العينين
رآها الراعي .. الذي يقرر المصائر ،صافي العينين
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهي عازفه
وتحدث اليها السيد عن الجماع (؟) وهي عازفه

وازاء هذا العزوف من ننليل يستدعي انليل وزيـــره ويحدثه برغبته في ننليل الجذابه ،ويحضر الوزيـــــــر سفينته حيث يغتصب انليل ننليل وهم مبحرين في الجـــدول ونتيجة لهذه العلاقة الاثمة تحمل ننليل باله القمـــــــر سيـــــن .

وارتاع الآلهه من هذا الفعل الاثيم ،وعلى الرغـــم من ان انليل ملكهم فقد قبضوا عليه ونفوه من المدينـــة الى العالم السفلي ،وتبين الفكرة المتصلة بذلك بعـــض الضوء على نظام مجمع الالهـه واسلوب عمله ،وقد جاء فيها:

يتحول انليل فى كيور (محراب انليل الخاص)
وعندما كان انليل يتحول فى كيور
اذا بالالهه العظام الخمسون
والالهه الذين يقررون المصائر هؤلاء السبعة
يقبضون على انليل فى الكيور (قائلين)
انليل ايها الاثم ، اخرج من المدينة

وكذلك خرج انليل وفق المصير الذى قررته الالهه متجها الى العالم السومرى السفلى ،على أن ننليل ،وقد كانت يومئذ حبلى ،ترفض البقاء من بعدة فتتبعه فى المرحلة التى فرضت عليه إلى العالم السفلى فيضايق ذلك انليل ، اذ معنى ذلك أن على ابنه سين وكان مقدرا له أصلا أن يكون قيما على أكبر جرم مضىء وهو القمر ،أن يقيم فى العالم السفلى المظلم المعتم بدلا من السماء ، وعلى ذلك فقد دبر انليل حيلة للنجاة من هذا الموقف اصبح سين بموجبها حرا فى الصعود الى السماء .

وبناء على ماسبق ،فقد اعتبر العراقيون القدامى الاله انليل ، الاله الذى لايرد له طلب ،و كانوا يرون أن القمر متولد من علاقة غير شرعية ،وتفسير هاتين الظاهرتين يعود الى مايبدوا الى مايحدثه الهواء من

عواصف وأعاصير و غير ذلك من حالاته المتعددة التي لايستطيع الانسان التحكم فيها ،ومعنى ذلك انه يفعل مايشاء ، ولايستطيع أحد أن يقف في طريقه ،وفيما يخص بنظرة سكان بلاد الرافدين الى القمر ،فتعود أيضا الى أنه الجرم الوحيد في السماء الذي يماثل تقريبا الشمس في حجمه الظاهري ولكنه متلون ويضيء مرة ويختفي في المرة الثانية ليس له ثبات سواء في شكله او ضوئه مثلما هو الحال مع ثبات شكل الشمس وضوئها تقريبا ،ولذلك شبهوا سلوكيات القمر بسلوكيات الابناء غير الشرعيين ،أما رمزه ضمن المنحوتات و أحجار الحدود فهو التاج المقرن الموضوع فوق منصه ،وهو بذلك يشبه تماما رمز والده الاله آنو .

وفيما يتصل بمكان عبادته ،فقد كانت مدينة نفرهي مقر عبادة هذه الاله ،وهي تقع في محافظة القادسية ،ولقد أوضحت النصوص المسمارية أهميه الاله انليل و أهميته مدينة نفر وذلك من خلال التقليد الذي كان يفرض على بقية الالهات ان تذهب سنويا لزيارة الاله انليل في مقرعبادته وتطلب منه الرحمه والبركه لحكام المدن التي تعبد فيها تلك الالهه ،وكان معبده في مدينة نفر يسمى " ايكور " ويعنى " بيت الجبل " وينسجم هذا المعنى مع اللقب " الجبل

العظيم " الذى هو آحد ألقابه ،ويشير أيضا الى أن لقب الجبل العظيم كان من أبرز القاب الاله انليل و الا لما سمى معبده ببيت الجبل والسبب في نشأة هذا اللقب ربما يرجع الى قدرة الهواء على جلب العواصف الترابية الكبيرة او الغيوم الكثيفة التى تشبه الجبال العالية فى أشكالها .

(٣) انكى :

تأتى مرتبته بين الالهه العراقية القديمة بعد الاله انليل ،وأطلق عليه الساميون " ايا " ومعناه " بيت الماء " و أطلق عليه السومريون " انكى " التى تعنى " سيد الارض " و بالاضافة الى كونه الها للارض و سيدا للمياه الجوفية فقد اعتبرته النصوص المسمارية على انه اله الحكمه أيضا ،ولذلك كانت الالهه تستشيره فى المواقف الصعبه و تطلب منه النصح و المساعدة .

ولكونه اله الحكمه فقد خلق الانسان بتشكيل كتلة من الطين منحها الحياة بنسمته الالهية وهو الذى كشف عن صناعات مختلفة للانسان ومنح الذكاء للملوك وساعد الكهنه على تأديه وظائفهم المقدسة و خاصة فى طقوس السحر التى

كان يستعمل لممارستها ماء مقدسا يؤخذ من حوض ابســـو
في معبد أريـدو .

وتعبر الوظيفة التي يمثلها انكي في الدولــــة
العالمية عن مدى قوته والمكانة التي يتبوأها في الكـون
المنظم ،أنه يمثل نبيلا من كبار نبلاء البلد المتميزيـن
بالحكمه وخبرة الحياة ،ولكنه ليس ملكا ،ولاحاكما بذاتـه
لان الموضع الذي يحتله من دولة الدنيا انما هو قد عيـن
فيه تعيينا وسلطته مستمدة من آنو وانليل ،فهو بمثابـة
وزير لهمـا . فيمكن تسميته بمصطلحنا الحديث ،وزيـــر
الزراعـة في الكون . وقد عهـد اليه الاشراف على الانهــار
والقنوات و الري وتنظيم قوى البلد الانتاجية . ويتغلــب
على مايجابهـه من مصاعب بالنصح والتحكيم والمصالحه .

وأوضح أحد الاناشيد السومرية وظائف انكي التـــي
اعتقد الانسان العراقي القديم انه يمارسها ،ومما جـــاء
في هذا النشيـد :(١٤)

أيها الرب ،يامن بعينيك السحريتيـن ،
حتى ولو كنت ساكنا غارقا في الفكـر ،
تنفذ الى القلب من كل شــيء ،
يا انكي ،يامن وعيك لاحد له ،ياناصـح

الانوناكـى الاعظــم ،
ياعميق العلم ،يامن تطاع عندما تعمل فطنتـك ،
للمهارنة والتقريــر
و الفصل فى منازعات القانون ،ياناصحـا
من الشروق الى الغــروب ،
يا انكى ،ياسيد اللفظ الحكيـم ،
اياك أحمـــد ،
لقد خولك أبوك آنو ،أول ملك و حاكـم
على عالم لم يكن قد اكتمـل ،
خولك فى السماء والارض أن تصنع وترشـد ،
ورفعك سيدا عليهمـــا ،
واليك قدعهد بأن تنقى الضمين الطاهريـن
من دجله والفـرات
و أن تكثر اليانع من الخضره ،وتكثف الغيوم
و تغرق الماء على الارض المحروشـــه
وتنبت الغائل فى المزارع والحدائق
الملتفة النبت كالغــــاب
هذه كلها عهد اليك بها آنو ،ملك الالهـــه
وانليل وهبك اسمه الجبار الرهيـب ......

فأنت ،لانك تحكم كل ميلاد ،

انليل الأصغر ،

أخوه الاصغر أنت ،وهو الاله الاوحد

في السماء و الارض .

أو لم يمنحك القدرة على تقرير

مصائر الشمال والجنوب مثله ؟

وعندما تجعل أقوالك وقراراتك الخيره

المدن المهجورة تأهل من جديد

وعندما ،ياصبارا تتوطن آلاف من الناس

في طول البلاد وعرضهـا ،

أنت الذي تعنى بقوتهم ،

انك في الحق أب لهم

وانهم ليسبحون لجلال الرب الهم.

و تشير احدى الاساطير التي أصابها التلف بشكل كبير الى كيفية تنظيم الاقتصاد الطبيعي في أرض الرافدين ولقد فقدت بداية الاسطورة التي ربما كانت تتصل بكيفية تعيين انكي في منصبه ،وبداية النص المتبقي يشير الى قيام انكي بجولة تفتيشية في أقاليمه ،و هي تشمل معظم العالم المعروف عندئذ ،ويزور الوحدات الادارية الكبرى فيهـا .

ويتربث انكى فى كل قطر يزوره ليباركه ،وببركتـه هذه يفرق على البلد الرخاء ويثبتـه فى وظائفه الخاصـه ثم ينظم شئون الماء ،فيملأ دجلة والفرات بماء عـذب نقى ويعين الها للإشراف عليهما ،ثم يملؤهما سمكـا ويحدد مواقع الاقصاب فيهما ،ويعين مشرفا الهيا آخـر عليهما . ثم ينظم البحر ويعين الها لتصريف اموره ،وبعـد ذلك ينصرف انكى الى الرياح جالبة الامطار ،ثم الى شئون الزراعة ،فيعنى بالمحراث ،ويشق خطه فى الارض ،وينمـى الحب فى الحقـل .

ومن الحقول يولى وجهه شطر المدن والقرى ويعيـن اله الآجر للعناية بصنع الآجر ،ويحفر الاسس ،ويبنـى الجدران ،ويعين البناء الاكبر ،مشرفا على أعمال البنـاء وفى النهاية ينظم الحياة البرية فى الفلاه ،ويضعهـا بامرة الاله سوموكان ،بينما يقيم الزرائب و الحظائـر للحيوانات الاليفة ،واضعا هذه الحيوانات فى عهدة الالـه الراعى دموزى او تموز.

فانكى اذن هو الذى قد انشأ كل وظيفة ذات شـأن فى حياة ارض الرافدين الاقتصادية وعين الها يشرف علـى عملها المستمر . وهكذا فان البابلى كان يرى النظـام فى الطبيعة فيفسره كأنما الكون مزرعه شاسعة يدبر أمورها ويحسن تنظيمهـا مدير قديـر.

ويتصل بوظائف انكى الخاصة بالاخصاب والتنمية مسا ورد فى احدى القطع الادبية ،ومما جاء فيهـا :

عندما جاس الاب انكى خلال الارض المبذورة
طلع الزرع خصيبـــــا ،
عندما قدم الى نعجتى المنجبة ،ولدت حملها ،
عندما قدم الى بقرتى " المبذورة "وضعت عجلها المنتج ،
عندما قدم الى عنزتى المنجبة ،وضعت جديها المبتــج ،
وانت عندما تذهب الى الحقل ،الى الحقل المحروث
تكرس اكواما وتلالا (من الحبوب) فوق السهوب العالية

وجاء فى نفس هذه القطعة افتخار الاله انكى بأعمالـه ومما جاء فيها على لسان انكـــى :

" أنا الرب ،من اذا أمر لايسأل عن أمـــــــره ،
انا الاول من بين جميع الاشيــاء ،
بأمرى ،الاصطبلات شيدت ،وحظائر الغنم سورت ،
عندما قاربت الارض ،فاضت ينابيـــع ،
وعندما قاربت مروجهـــا الخضـــر،
تكدست (الحبوب) اكواما وتلالا بكلمتى "

ونذكر نفس هذه القطعــة الادبية ،أنه مع وفره المياه التى جاء بها انكى اصبح بامكان الحقول أن تعطى الجنســى

الوفيـر ،واصبحت قطعان الماشيـة قادرة على انتـــاج اللبنوالقشـدة ،ومما جاء فيهـا ويتصل بذلـــك :

هو (انكى) الذى يدير المحراث والنيـر
الامير الكبير انكى يفع الشيران القرشاء
فـى الـ ....
يشق الأخاديـد المباركـــه ،
ينبت الحب فى الحقـل المحـروث
والشديد البنيـة ،فلاح انليـــل
انكيمدو ،رجل القناة و السـد ،
انكى عهـد اليه برعاية كل ذلـــك
جاء الرب الى الحقل المحروث ،وضــع
فيـه الحب الكثيـــر
وكدس الحب ، الحب الكثير ، الحب .... اكداســا
انكـى كثـر الاكوام والتـــلال
(من الحبـــوب)
و السيدة ذات الرأس والاطراف المنقطـه ،

ذات الوجه المطلى بالعسل ،
السيدة ، المكثرة ،قوة الارض ،حياة الشباب
آشنان ، الخبز المغذى ،خبز الحميم ،
انكى عهد اليها برعايته ...

لقد بنى اصطبلات ،وأمر بتنظيفها ،
أقام حظائر الغنم ،وأحل فيها أطيب السمن واللبن
أدخل السرور الى قاعات طعام الالهه ،
اشاع الازدهار فى القفار الخامله ،
خادم ايانا الامين ،صديق آن ،
الصهر المحبوب لـ " سن " الشجاع ،زوج ايانا
المقدسة ،
السيدة ،ملكة كل النا موس
التى تأمر مرة بعد أخرى أن يتكاثر أهل كُلاب ،
دموزى ،" اوشوم جال السماء " الالهى ،صديق آن ،
انكى عهد اليهم برعاية كل ذلك ...."(١٥)

ولقد نسبت النصوص العراقية القديمة العديد من الاساطير للاله انكى ،ونذكر فى هذا المجال صلته ببعض الاساطير الاولى منها ماتتصل بدوره فى عملية تنظيم الكون و تبدأ الاسطورة بأنشودة مدح موجهه الى انكى،

نصف دوره في خصوبة الارض وقطعان الاغنام والماشية ،ويلي ذلك بعض الابيات التي يفخر فيها انكي بنفسه ،ويبدأها بفخره بقرابته لكبار آلهة المجمع الالهي آن وانليل ونينتو و الالهه المصرى المعروفة عامه باسم انوناكي ويلي ذلك فقرة من خمسة أسطر تتحدث عن انوناكي مؤدين التبجلة الى انكي ،ويلي ذلك اهزوجه فخر ثانية على لسان انكي ،يبدأها بتمجيد قوة كلمته و آمره في إمداد الارض بالرفاهية والرخاء ،ويصف روعه محرابة ،ويختتم هذه الاهزوجه بتقرير عن رحلته السارة في المستنقعات .

و تصف الاسطورة بعد ذلك انكي وهو في سفينته يستعد لتقرير المصائب ،ويبدأ بسومر نفسها فيمجد أولا أرضها المختارة المقدسة التي اتخذ الالهه مساكنهم فيها ثم يبارك قطعانها من الاغنام والماشية ومعابدها ومحاربها وبعد سومر يتقدم الي أور التي يعظمها بلغة رفيعة ويباركها بالرفاهية ،ومن أور يذهب الى ميلوها فيباركها بسخاء الاشجار والبوص وبالثيران و الطيور والذهب والقصدير والبرونز ،ويلي ذلك تقدمه لاهداد ولمون وعيلام ومرهاش ومارتو ببعض مايلزمها .

وبعد ذلك يقوم انكي بمجموعة من الاعمال الحيوية الخاصة بخصوبة الارض وقدرتها على الانتاج ،فيبدأ بملأ دجلة بالمياه العذبة المانحة للحياة ،وحتى يتأكد من حسن أداء دجلة والفرات فانه يعين الاله انبيلولو مفتش القناة ليشرف عليهما ،وبعد ذلك زود انكي المستنقعات واحراج القصب بالاسماك و البوص ،وعين معبودا للاشراف عليها ،ثم تحول بعد ذلك الى البحر حيث شيد محرابه المقدس حيث عين الالهه نانشي مشرفة عليه ، ثم دعا آخر الامر المطر المانح للحياة فانزله على الارض وأقام رب العواصف مشرفا على المطر.

ويهتم انكي بحاجات الارض الزراعية فباشر المحراث والنير والحرث ويعين فلاح انليل " انكيمدو " مشرفا عليها ،ثم يدعو بعد ذلك الحقول المزروعه فينبت مختلف حبوبها وخضرها ،ويجعل ربه الحب " أشنان " مسئولة عنها ثم يعتني بقالب الاجر ويقيم رب الاجر مشرفا عليه ،ثم يرس الاسس و يخطط الاجر ويبنى " البيوت " ويعين موشداما " بناء انليل العظيم " مشرفا عليها.

ويوجه انكي عنايته كذلك الى السهل العالي فيغطيه بالنبت الاخضر ويكثر ماشيته ويجعل سوموجان " ملك الجبال "

مسئولا عنها ـ ثم ينشىء بعد ذلك حظائر ويمدها بأحسن الدهن واللبن ويعين الاله الراعى " دوموزى " أن يباشر رعايتها ،وهو يثبت " الحدود " التى يفترض انها للمدن والولايات ويقيم نصب الحدود ويعين اله الشمس أوتو " مشرفا على الكون بأسره " ثم يباشر انكى آخر الامر " الاعمال الخاصة بالمرآة " وبخاصة نسج الثياب ،ويضع اتو الهه الكساء مشرفة عليه •

ومن الاساطير التى تنسب الى انكى ايضا اسطورة الطوفان او الفيضان الكبير ،وهى توضح أن الاله انكى كان دائما حسن النيه والشعور تجاه البشر ،ورغم عدم العثور على اللوحات الطينية المسجلة عليها تلك الاسطورة كاملة ،فان ماعثر عليه منها يتحدث عن أحداث الفيضان الكبير المحلى الذى تعرض له العراق القديم قرب بداية العصر التاريخى •

وتبدأ اسطورة الفيضان بالاشارة الى موضوع خلق الانسان وبداية الملكية وتكون المدن الاولى ،وتتحدث الاسطورة عن خلق الانسان و الحيوان ،ثم تتحدث عن قرار الجميعة الالهية العمومية باحداث الفيضان ،ولم تتقبل

جميع الالهه السومرية لهذا القرار لخطورته ،و كيف أن انكى قام باخبار اوتو نابشتم بقرار الالهه وطلب منه ان يهدم بيته و يبنى له سفينة ويضع فيها من كل زوجين اثنين ،وسوف نتناول احداث هذه الاسطورة بالتفصيل وذلك فى الجزء الخاص بالاساطير الدينية .

و فيما يتصل بموضوع عبادة الاله انكى ،فلقد كانت مدينة أريدو (ابو شهرين الان) من أقدم المدن السومرية التى عبد فيها هذا الاله ،وسمى معبده فيها " اى - ابسو " او " اى - اينكورا " اى " بيت الغمر" او المياه " وذلك اشارة الى انه قد ابتنى بيته فى المياه الاولى التى جسموها بالاله " ابسو " و نسب البابليون الى هذا الاله زوجه اشتقوا اسمها مثل اسمه وسموها " نن كى " اى سيدة الارض ،حيث ان اسمه " انكى" سيد الارض ،وسميت ايضا باسم " دم - كينا " وقدس الاله انكى أو ايا فى جميع انحاء العراق القديم وبخاصة فى مدن " أور " و " لارسا " و" الوركاء" وقدسه الملوك الاشوريون . وفى ذلك ماترويه نصوص الملك سنحريب فى حملته الحربية على عيلام ، انه

عندما بلغ شواطىء الخليج قرب مدينة البصرة، الحالية قدم الى الاله " ايا " قاربا وسمكه من الذهب ورماهما فى الماء ،وذلك حيث يوجد معبد الاله الاعلى •

ورمز الاله انكى عبارة عن كائن مركب يمثل الجزء الامامى من حيوان والجزء الخلفى عبارة عن سمكه وهما متصلان بدكه المعبد (شكل ٣) •

(٤) سيـــــن

يمثل الاله سيـن القمر وهو يأتي على قمة الثالـوث الثاني الذى وضعـه البابليون لآلـهتهـم وهو يضم معه الـه الشمس (شمـش) و " أدد "

ولقد أطلق السومريـون والبابليون على اله القمـر التسميـة " سيـن " كما سموه أيضـا " ننـار" أو " ننـا" التى تفيد معنى " رجل السماء " بينما أطلق عرب الجنـوب على القمر التسمية " ود " أما الآراميين فقد سمـــوه شهــر .

ويرمزللاله سين بهلالوحده ،أو بهلال مع صورتـــه على هيئة البشـر ،واشتهر الاله القمر بالحكمه وهو يشترك مع الـه الشمس " شمـش " فى شئون العداله . و كان سيـــن يقيس الزمن وهو الذى ينهى الايام والشهور والسنيـــن للملوك المذنبيـن . وكان خوف القمر من الحوادث المهمـة التى تطير منها البابليون . ولقد جاء فى بعض الكتــب السحرية أن خسوف القمر يحدث بهجوم سبعـة شياطين أوأرواح شريرة على القمر ،وكانوا يصلون عند الخسوف للاله ويقربون القرابين حتى يظهر مضيئا مرة أخرى بعدأن يقهرالشياطيـــن والظــــلام .

وفيما يتصل بمكان عبادته ،فقد عبد فى مدينة أور منذ أقدم الأزمنة ،وكان له معبد فيها ،حيث توجد بقايا معبده المدرج المعروف باسم الزاقورة ،ولقد انتقلت عبادته الى أماكن أخرى حيث شيد له معبد فى حران،وقد بلغت قدسيته فى أور درجة كبيرة حتى أن كثيرا من الملوك قد عينوا أبناءهم وبناتهم ليكونوا كهنة له ،و كذلك فعل الملوك الاشوريون فى معبد فى حران ،و قد انتشرت عبادته من حران الى فينيقيا و كذلك مناطق الآراميين.

ولقد أشرنا فيما سبق عند حديثنا عن الاله انليل عن الاسطورة الخاصة بمولد الاله سين وكيفية مجيئه.

(٥) الاله الشمس (شمش)

يلى الاله القمر فى المنزلة ،وحب العقائد البابلية فقدت ولدت الشمس من القمر ،وقد سماه السومريون باسم " أوتو " ومعناه الضوء والنور واليوم والعلامة المسمارية التى كتب بها اسم هذا الاله كتب بها أيضا كلمة " يوم" وكذلك الصفة " ناصع " . وأطلق عليه السومريون كذلك " بيار " أى النير ،ويلفظ اسمه بالاكدية " شمش " ،وأطلق

عليه السبرانيون التسمية " شمش ، والعرب شمس والعيسيقيون فى راس الشمرة " شفش "

و كان رمزه عبارة عن قرص مزين بنجم ذى أربعة أطراف تفصلها عن بعضها مجاميع من الاشعة المموجة كما مثل أيضا بهيئة آدمية كما صور فى أعلى مسلة حمورابى حيث مثل بهيئة ملك جالس على عرشه و يحمل فى يده اليمنى الصولجان و الحلقة وهى من شارات السلطان وتاجه مزين بأربعة أزواج من القرون ،وهو زى لباس الرأس عند الالهة ،وله لحية طويلة مثل الاله القمر وتنبعث من كتفيه حزم الاشعة (شكل ٤)

ويوصف شمش بأنه ضوء العالم والاعماق و أنه هو الذى يولد النهار والليل و يهب الحياة ويحيى الموتى وهو اله العدل والحق والشرائع و هو الذى أملى على حمورابى قوانينه وهو القاضى الاعظم وسيد الكهانة والعرافة ،وحسب المعتقدات السومرية فانه كان يغور ليلاً في البحر ويطلع في الصباح من بين الجبال.

وقد عبد اله الشمس فى مدينتى لارسة وسبار،ولقد قدسه الاشوريون وشيدو له المعابد ،وقد جسم البابليون العدل والحق واعتبروهما ابنين له ،كما اعتبر آخا للالهة اسانا , عشتار)

(٦) عشتـــــار

اشتهرت عشتـــار بكونها الهـه الحب والهه الحـــرب وعبدت كمعبــود ذكــر فى الصبـــاح والهه أنثى فى المســـاء وكان رمزها الزهرة ، واعتبرت فى بعـــض النصوص ابنة آنــو وفى البعض الأخر ابنه سيـــن ،وهى أخت شمش الـه الشمـــس وفى ذات الوقت اخت " اير شكيجـال " معبودة العالـــم السفلـــى .

واحتلت عشتـــار مكانا كبيرا فى ديانة سكان بـــلاد الرافدين كما انتشرت عبادتها فى مناطق أخرى من الشـــرق الادنى القديم ،وقد سماها السومريون باسم " اينانـــا " أو " انينى " وهى تفيد معنى " سيدة السماء " و سماهـا الاكديون والاشوريون باســم " عشتــار " و فى بلاد الشــــام عرفت باسم " عشتاروت و عشتوريـت " ،كما عبدت فى بعـــض المناطق العربيـة الجنوبية حيث صار اسمها مرادفـــا لكلمة (الهـه) لشهرتها وتقديسها ،وانتقلت عبادتهـــا الى بلاد اليونـان حيث سميت باسم " أفروديـت " و عبدهـــا الرومان باسم فينـــوس (٤٦) .

وقد طغت شخصيتها على الالهات الأخريات ،وكـــــان

اسمها المفرد يعني اى واحدة منهن أما مدلول اسمهـــا الجمع فهو الالهات عامة ،وكانت تمثل كالهة للحـــرب واقفة منتصبه على أسدأو اثنين وهي تحمل الجعبـــة وفي احدى يديها سلاح مقوس وفي الأخرى صولج مكون من عصا تتصل بسلاحين مقوسين يعلوهما رؤوس اسود .

وقد حلت عبادتها فى أوروك محل عبادة أبيهـــا، حيث كان محبوها من الكثرة بحيث لايمكن حصرهم ،و كانـت تسعى لغواية البشر ،واعتبرت في هــــالاب Hallab ابنه للاله سين وسيدة المعارك وفي اكد وسيبار فانهـــا مزجت على مايبدو تحت اسم " انو نيتوم " بين الشخصيتين وذلك في عهد نابونيد على الاقل حيث كان يسميها " سيـدة العراك التي تحمل الجعبة والقوس " وكانت في نفـــس الوقت تضع له الفأل المناسب عند شروق الشمس وغروبهـا (١٧)

وخصها الاشوريون بالتقديس وبخاصة في صفتهـــا الحربية وقد ذكر بعض ملوكهم أنها سارت معهم في طليعـة جيوشهم و حققت لهم النصـــر.

واقترنت عشتار مع الاله دوموزى (تموز) بوصفـــه بعلالها ،ويمثل تموز بوجه عام الخضار والنبات في زمـــن

الربيع ،ويمثل اقتران عشتار مع دوموزى طقوسا مهمـه فى حضارة العراق القديم و هى ماتعرف باسم طقس الجنس المقدس أو طقس الزواج المقدس كما اصطلح على تسميته وكان الزواج المقدس حفلا بهيجا تصحبه آناشيد غزليه شبيهه بالاناشيد التى تضمنها سفر " نشيد الاناشيد " المنسوب الى سليمان عليه السلام ،ورغم هذا الحب فقد قضى حب عشتار على دوموزى حيث انتهى نهاية مؤلمه بموته وتصف ملحمة شعرية نزول عشتار الى العالم السفلى فى بداية الربيع من كل عام لتعيد دوموزى من عالم الاموات الذى يذهب اليه فى صيف كل عام.

وسنقدم فيما بعد مقتطفات من أسطورة انيانا (عشتار) ودوموزى وذلك فى مجال الحديث عن طقوس الجنس المقدس أو الزواج المقدس عند السومريين .

وفيما يتصل بالمعبودات الممثلة للسلطة السياسية فى العراق القديم فمن أشهرها الآلهه ننجرسو و مردوخ وأشور ،وسنلقى بعض الضوء على هذه المعبودات فيما يلى :-

١) ننجرســـو :

اعتبرت النصوص المسمارية الاله ننجرسو صورة ثانية للاله ننورتا وهو أول مولود للاله انليل ،واعتبرته اله حرب " خبير فى العراك " تستطيع البلاد أن تحتمل وطأته الثقيلة ،كما اعتبرته أيضا الها للخصوبه وسيدا للاراضى الزراعيه و منظما لقنوات الرى ٠

وكان يمترج بسادة بعض المدن و عندئذ كان يطلق عليه اسم اله المكان ،ففى لجش فى حى جيرسو كان يسمى ننجرسو اى " سيد جرسو " ،وكان يمثل فيه آلهه آخرون مثل زابابا فى كيش ،واوراش فى ولبات ،وكان له على الاقل عشرون سلاحا مختلفا ،ففى يمناه كان يمسك بال " شـار اور " و هى حزمه من العصى و الاسلحة بسنان محدبة تعلوها راس أسد ،ويظهر على كتفيه غالبا مقدم أسد،كما يظهر نفس الحيوان الرمزى بين قوائم عرشه أو تحت قدميه (١٨)

وللاله ننجرسو عدد من الاخوات و الاخوة عبدوا جميعا ضمن منطقة نفوذ سلاله لجش وهم الاله نانشة مفسرة الاحلام، والاله نسابا اله الحبوب ،والالهه كاتوم دوك التى توصف بأم جميع الاطفال ،والاله ايشوم مقدم المشورة للاله ترجال

اله العالم السفلى ،أما زوجته فهى الالهه بابا ،أخــــت الاله آنـــو .

وتصف كتابات الامير جوديا (٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق . م) ثاني حكام أسرة لجش الثانية المعبود ننجرسو بأنه الــــه العداله ،كما وصفته بأنه كان كبيرا بحجم السمـــــاء والارض ،وأن رأسه كرأس الاله وان جناحه تشبه جناحي الطائــر آنزو ،وأن القسم الاسفل من جسمه كان البركان ،وممــــا جاء في ذلك على لسان الالهه نانشة مفسرة حلم جوديا:

الرجل العظيم الجرم كالسماء ،العظيم الجرم
كالارض ،
وراسه راس الــه ،
وجناحاه جناحا طائر.. (آنزو)
وقاشمتان قاشمتا عفريت طوفــان ،
وعن يمينه وشماله أسدان يربضـان..."

وجاء في هذه الكتابات على لسان الاله ننجرســــو تعداد لسلطاته ودوره في ادارة حكم المدينة ووعــــده لاهالي لجش بالثروة والرفاهية ،ومما جاء فيهـــا:

عندما تضع يدك على بيتى ، البيت الاول فى جميع البلاد ،

ذراع لجش اليمن ،

تلك التى تزأر كطائر أنزو فى كبد السماء

الا نينو ،بيتى الملكى ،

أيها الراعى الامين ،جوديا ،عندما تضع يدك الامينة من أجلى ،

عندئذ ادعو السماء لكى تمطر

وينزل الفيض اليك من السماء

وينعم الناس بهذا الفيض .... "

" بتاسيس بيتى ،سوف يأتى الفيض

الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك ،

سوف تفيض القنوات عن حوافيها من أجلك ،

فى الروابى التى لم يرتفع اليها ماء ،

سوف يرتفع الماء من أجلك

وسوف تسكب سومر كثيرا من الزيت من أجلك ،

وسوف تزن لك الكثير من الصوف

فى اليوم الذى تملأفيه مصطبتى ،

فى اليوم الذى تضع يدك الامينة على بيتى

سأضع قدمى فى الجبل

حيث تقيم ريح الشمـــال
وكانسان ذى قوة هائلة ،ريح الشمال
من الجبل ، المكان الطاهـــر
سوف تهب راسا نحـــوك •

" لانه) بعد أن آكون أعطيت نسمة الحياة للنـــــاس
سوف يقوم رجل واحد بعمل اكثر من عمل رجلين ،"(١٩)

ولقد سمى معبد ننجرسو فى مدينة لجس باســـــم
معبد " الاينينـــو " ومعناه معبد الخمسين ،وكان رمـــزه
مى المنحوتات هو صورة الطائر المعروف باسم " انزو " •

(٢) مـــــردوخ

كان الاله مردوخ الها محليا فى مدينة بابل ، الـــى
أن رفعه حمورابى الىالمرتبة الاولى و اصبح اله مدينـــة
بابل الرئيسى ،ومعنى اسمه باللغة السومرية " عجل الـــه
الشمس " واسمه فى البابلية " مار ـ دوكو " بمعنى ابـــن
الاله " دوكو " اى التل المقدس والذى يعتبر مجلـــــس
الالـــــهه •

وجاء أقدم وصف أدبي للاله مردوخ في مقدمة شريعة حمورابي وقد ورد فيها :

" عندما (قضيا) الاله آنو المتسامي ،ملك الانوناكي والاله انليل سيد السماء والارض مقرر مصائر البلاد ، قضيا للاله مردوخ الابن البكر للاله انكي (ان يتمتع) بقدسية الاله انليل على كل البشر وجعلاه عظيما بين آلهة الايكيكي ".

وعندما عظمت مكانة مدينة بابل في زمن حمورابي وأصبحت عاصمة الامبراطورية البابلية ، ارتفع شأن مردوخ وصار مقدسا في جميع البلاد ،وقد ظهر هذا التبدل في مركز مردوخ في أسطورة الخليقة البابلية حيث أعطي مردوخ المركز الاول بين الالهه وأصبح بطل الرواية و نقلت سلطات الالهة اليه ،ومما جاء في هذه الاسطورة ويتصل بصفات مردوخ :-

" كان فاتن القوام ،وكانت عيناه تشعان بالحياة
أجل ! كانت مشيته مشية العظماء
فلما رآه أبوه الاله ايا الذي ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأقلبه بالسرور

ولم لا ! فقد جاء كامل الاوصاف يوازى الهين فى العقل
أجل ! لقد كان ممجداً بين الالهة وكان الاعظم بينهم
كان كامل الاعضاء والاطراف الى حد لايصدقه عقل
فلا أحد يفهمه و لاعقل يدركه "

ويوضح اللوح الرابعه من الاسطورة مبايعة الاله مردوخ باعتباره قائدها الاوحد الذى لانظير له ،وقد جاء فيه :

" واقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قبالة آبائه الالهه
وعندئذ بايعوه قائلين : أنت الاعظم اجلالا بين الالهه
فقرارك لايدانيه شيء وأمرك هو أمر السماء
و منذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابته لاتتغير
فمن شئت ان ترفع او تخفض فأمره منوط بيديك
آجل !ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما من الخطأ
ولن يتخط حدودك أى من الالهة .....
يامردوخ أنت بالحق من يثار لنا
ها نحن نبايعك على ملوكيه الكون بأجمعه
وعندئذ تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا
وسوف لن تقهر اسلحتك بل انها ستحطم اعداءك "(٢٠)

ومنذ حوالى عام ١٤٠٠ ق.م انتقلت طقوس الاله مردوخ الى منطقة آشور ،فأصبح منذ ذلك الحين منافسا

مؤشرا للاله اشور فى منطقة آشور نفسها ،ومادام الاله مردوخ كان بالدرجة الاول رمزا للسلطة السياسية البابلية فقد أنيطت به ايضا الكثير من المهام ،لذلك أشارت النصوص المسمارية الى أنه اله الحكمه واله طرد الارواح الشريرة وشافى المرضى وسيد القنوات والحقول والاله الحاكم والمجلب للغيث ٠

ولقد كان للاله مردوخ عدة رموز ، الاول هو الرمز المستخدم فى مدينة بابل و الذى هو عبارة عن حيوان مركب كل عضو فيه مأخوذ من حيوان يختلف عن الحيوان المأخوذ فيه العضو الآخر ،ويسمى هذا الحيوان المركب فى اللغة البابلية " الموشخوشو " ،أما رموزه الاخرى فقد ظهرت على أحجار الحدود حيث يصور أحيانا بدكة معبد مع حيوان الموشخو شو (شكل ٥)٠

وعرف معبده فى بابل اسم " ايساكلا " وموضعه الان فى خرائب بابل فى المنطقة المعروفة بعمران وكان آلهة بابل و ورسيبا يأتون سنويا فى يوم عيد السنة الجديدة ليقدموا له ولاءهم ،وكان موكبا عظيما ينتظم فى الطريق المقدس ، الذى سمى لهذا السبب بشارع الموكب حيث تمر منه فى باب عشتار الى معبد قريب من النهر (أو عبر النهر) خصص للاحتفال بعيد السنة البابلى و كانت المصائر تحدد أثناء ذلك الاحتفال تحديدا قاطعا للسنة

باكملها ،و كانت توقف هذه الاحتفالات فى زمن الحــــرب أو عند حدوث كارثـــه .

(٣) آشـــــور

كان الاله آشور الاله القومى للاشوريين و قد منــح اسمه الى العاصمة والى البلاد جميعا ،ومثله مثل الالــه مردوخ كان فى أول الامر اله غير ذى شأن اقتصرت عبادتــه على مدينة آشور ،ولكن بعد أن تدرج الاشوريون فى نموهـم السياسى وأسسوا امبراطوريتهم عظم شأن الاله آشــــور واصبح على راس الالهه البابلية والاشورية ،وخصص له دور فعال فى شئون الكون وخلق الاشياء والانسان وشيدت لــــه المعابد فى آشور وغيرها من المدن الاشورية .

ولايعرف معنى اسمه أو أصله ،ولذا يرجح ان يكون أصله قديم جدا ،ومما قد يؤكد ذلك ظهور اسمه ضمن كتابـــات ابيلا المسمارية التى تؤرخ فى حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م.،وقــد استمر ذكره فى النصوص حتى القرن الثانى الميلادى حيــث ظهر اسمه ضمن الكتابات الارامية المكتشفة فى الحضر.

وقد اتخذت الاله آشور العديد من الالقاب و مــــن بينها ماتلقب بها الاله انليل مثل " الجبل الكبيــــر" و " سيد البلدان " وأبو الالهه " كما اتخذ كذلك لقـــب " سيد جبال حمرين " ومثل آشور عادة بانسان يطيـــــر

بجناحيه وبيده القوس والسهم ،وتنبعث الجناحان من قرص الشمس (شكل ٦) ٠

ثانيا : الكهنة

لم يكن هناك فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين فى العراق القديم حتى نهاية التاريخ البابلى فقد كان الامير الكاهن الاكبر لاله مدينته ،وكان الملك الكاهن الاكبر للاله الوطنى،ولقب الملوك أنفسهم بلقب كهنه الالهه وكثيرا ماتقلد الحكام والامراء والاميرات منصب الكاهن الاعلى لاله معين ،وانعكس تطور الحياة الاجتماعية والسياسية على شئون المعابد فظهرت طبقات من الكهنة لكل منها درجته وعمله الخاص به ،وكان على راسها الكاهن الاعلى المنوط به ادارة شئون المعبد ،ومن هذه الطبقات ماكان يختص بأمور التنظيف والتطهير الدينى ومنها مايختص بادارة شئون المعابد وأملاكها ووارداتها ومنها مااتصل عمله بأعمال السحر والعرافة ،كما كان هناك الكهنة المختصون بأعمال الغناء والترتيل والموسيقى وسنتناول فيما يلى نماذج من درجات الكهنه و التى كان على رأسها الكاهن الاكبر الذى أطلق عليه " الاين "

(١) الكاهن الأكبر

يمثل أعلى مرتبة فى السلم الكهنوتى فى العراق

القديم ،ولذلك كان شاغلها يختار من الاسر الملكية أو الاسر ذات المكانة الاجتماعية الكبيرة ،وأطلقت النصوص المسمارية على هذا الكاهن التسمية " الاين " وهى تفيد معنى كاهن او كاهنة ،أما اللغة الاكدية فقد اطلقت عليه " اينوم " ان كان كاهنا و " اينتوم " ان كانت كاهنة .

وتمتع الكاهن الاكبر بسلطات كبيرة فكان فى بداية التاريخ العراقى يجلس على عرش فخم يصنع خصيصا له ،ويبدو أن هذا العرش كان لايختلف من العرش الذى كان يجلس عليه الحاكم خلال الالف الرابع و النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد ،وذلك عندما كان الحكم بيد السلطة الدينية حيث تلقب حاكم دولة المدينة بلقب " الاين " كذلك ،ومما يؤيد ذلك أن التسمية التي أطلقت على غطاء رأس كاهن الاينوم كانت تعنى التاج .

(٢) السحرة

وهم الذين يستعطفون الآلهه ويبعدون الارواح الشريرة وتعددت مهامهم ،فكان منهم من تلقب بلقب " ماشماشى " فى السومرية ،وفى الاكدية " آشيبو " ومن أبرز مهامهم القيام بطقوس التعزيم التى تهدف بالدرجة الاولى الى طرد الارواح الشريرة من أجسام المرضى ،ويمارس أيضا طقوس " غسل الفم " و هذه الطقوس فى حقيقتها تتمثل

بالخطوات الاساسية التى يجب أن تتبع أثناء تقديم النذور كقربان الى الاله ،ومن مهامهم الاخرى المساهمة فى الطقوس الخاصة بتطهير المعبد .

ويقوم الاشيبو بتطهير المرض والاشعة بواسطة الرقى والطقوس السحرية ،وكانت هناك رقى وتعاويذ لكل المناسبات وضد كل الشرور ، وكتب فى التعاويذ دعوة للالهه العظيمة لحماية حامل التعويذة ،كما احتوت أحيانا صورة للشيطان الذى يراد تخليص المريض منه ،ولقد وصلنا العديد من التعاويذ ،نعطى فيما يلى مثالا لاحدها وهى ترجع الى العصر البابلى :

" ... انه ذلك الشيطان الذى اقترب من بيتى،يخيفنى وأنا فى فراشى ، انه يمزقنى ويرسل على الكابوس فى الليل فعسى أن يسلموه الى الاله حارس بوابة العالم السفلى بأمر من ننورتا حاكن العالم السفلى وبأمر من مردوخ الذى يقيم فى ايساكيلا فى بابل ،وعسى أن تعرف الباب والمزلاج التى بحماية هذين السيدين " .

ومن الطرق التى اتبعها السحرة لشفاء المريض ،أن يتم صنع دمية من الشمع تشبه المريض وتدفن فى المقبرة مع دمية أخرى تمثل الروح الشريرة التى يعتقد أنها سببت له المرض ،وذلك بهدف القيام بدفن رمزى للروح الشريرة

لإعادتها الى مقر الاموات فى العالم السفلى ،و كذلك ايهام الروح الشريرة بأن المريض قد مات وانتهى امره .

ومن هؤلاء الكهنة من كان يدعى " كالو " وهو الكاهن الذى يناط به تخفيف الغضب عن قلوب الالهه الغضبى بغناشه وكان عليه فى أيام معينه أن يذهب الى المعبد ليقدم التضحيات و يرتل المراثى المقدسة مستعينا بمختلف آلات الضرب ،ومن بنيها طبلة ضخمة (شكل ٧) .

و تجدر الاشارة الى أنه كان هناك نوع آخر من السحر وهو نوع ضار يقصد به احداث الضرر بالناس و قد جرمته القوانين وفرضت على تعاطيه عقوبات صارمة كما ورد فى شريعة حمورابى (٢١).

(٣) المنجمون و العرافون(٢٢)

ارتبطت العرافة والتنجيم فى العراق القديم بالمعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية ،وتهدف العرافة الى الاتصال بالالهه لاستطلاع ماتقدره من خير وشر للفرد والمجتمع على السواء . وكان المنجمون والعرافون من رجال الدين ،وكانوا ينقسمون الى فرق عدة تبعا لمختلف أنواع الظواهر التى يمكن ملاحظتها .

ولقد استخدم السومريون عدة تعابير للدلالة على العراق و منها " zu - i " بمعنى " الذى يعرف " أى " العراف " و عرف فى الاكدية باسم " بارو " ومعنى

كبير العرافين " راب باري " . وكانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لان العراف كان كاهنا من كهنة المعبد وتوضح النصوص المسمارية ارتباط العرافة بالقصر فكان الملك يستشير العرافون قبل اتخاذ القرارات الهامة لمعرفة مشيئة الالهة بخصوصها[٢٢]،و ذلك مثل ولاية العهد او القيام بمشروع بناء او صيانة ،كما ارتبطت مهمة العراف ارتباطا شديدا بالجيش و العمليات العسكرية اذ كان العراف يتقدم الجيش في الحروب و كانت مهام المنجم وراثية ،وكان لابد أن يكون من نسل كاهن مولود من كاهن سليم ويجب الايكون فيه عيب جسماني .

واستخدم العرافون طرقا عديدة لاستطلاع الغيب يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين وذلك بموجب الطريقة التي تستخدم فيها ،يطلق على القسم الاول العرافة العملية ويستخدم فيها العراف وسائل وطرق عملية من أجل الاتصال بالقوى العليا ،والقسم الآخر يعرف باسم العرافة غير العملية لانها تعتمد على قوى وظواهر خفية لادخل للانسان فيها ،وسنتناول فيما يلي هذين القسمين بشيء من التفصيل:

(أ) العرافة العملية

تتضمن العرافة العملية العديد من الطرق مثل ضرب القداح ،وسكب الزيت في الماء وتصاعد الدخان ،وفحص الكبد:

(١) ضرب القداح : و هى عبارة من سهام صغيرة محززه كان البابليون يستعملونها لاستطلاع راى الالهه فى مناسبات او موضوعات معينة ،وهى تشبه الازلام التى كان يستخدمها العرب فى الجاهلية .

(٢) سكب الزيت فى الماء : وفى هذه الطريقة كان يقوم العراف بسكب قليل من الزيت فى اناء فيه ماء ،ثم يراقب حركة الزيت و هو يطفو فوق الماء، فاذا ماتكونت حلقة كاملة واتجهت نحو الشرق كان ذلك فالا حسنا ، اما اذا انكسرت الحلقة او انتشر الزيت فوق الماء دون أن يكون حلقات فكان ذلك فى اعتقادهم نذير شؤم .

(٣) تصاعد الدخان : و فيها كان يتم حرق البخور أو انواع معينة من الاعشاب ،ويتم مراقبة تصاعد الدخان من المبخرة وانتشاره وعلى أساس ذلك كانوا يحددون ما اذا كان نذير فأل حسن او سيىء.

(٤) فحص الكبد : انتشرت هذه الطريقة من العراق القديم الى عديد من الامم مثل الحيثيين والاتروسكيين والاغريق والرومان ،وتعتمد هذه الطريقة على اعتقاد البابلين بوجود علاقة بين الاله الذى يقرب اليه

الحيوان المضحى و الحيوان نفسه ، اذ عندما يضحى الحيوان ويقدم الى الاله فانه يكون جزءاً من الاله كما يكون جزءاً من أجسام الناس الذين يأكلونه فتكون روح الاله او نفسه نفس الذبيحة او روحها او أن روح الحيوان تتمثل بروح الاله وعلى ذلك فمن الممكن للبشر ان يتطلعوا الى روح الاله ومن ثم معرفة ارادته بدرسه روح الذبيحة ،واعتقد ان روح الذبيحة يوجد فى كبدها ،ومن ثم كان يمكن أن يشاهد فى الكبد نوايا الاله الذى تقبل الحيوان المضحى كتقدمه ،وكان من الضرورى أن يكون الحيوان خاليا من العيوب ،وقد استنبط العرافون من شكل الكبد ولونه وتضخمه أو دمورة و مافيه من فقاليع وتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات مايريدونه من عرافه ،وقد نظموا ذلك كله فى قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافه المستمدة من الكبد.

(ب) العرافة غير العملية

وهى العرافة غير المقصودة اى المبنية على ملاحظة حوادث وظواهر لادخل للعراف بحدوثها ،ويتضمن هذا النوع من العرافة العديد من الوسائل مثل التنجيم والظواهر العرضية والاحلام .

(١) التنجيـــم : عرف العراقيون القدامى منذ العصـــر البابلى رصد الاجرام السماوية وملاحظتها والاستدلال من ذلك عما سيحل بالمملكة او ماسيحل بالملـــك أو الحكومة او المدينة او غير ذلك من الاشياء العامة، ومن أمثلة ذلك انهم اذا شاهدوا هلال القمر منـــذ اليوم السابع و العشرين اعتبروا ذلك فألا سيئـــا واذا ماشوهد القمر والشمس معا بين اليوم الثانـــى عشر والعشرين كان ذلك نذيرا بزوال الاسرة الحاكمة وفناء السكان ،وكانوا يتطيرون كثيرا من خســـوف القمر وكسوف الشمس وعزوا ذلك الى فعل الشياطيـــن كما لاحظوا الظواهر الجوية المختلفة للفأل والتطيـر كالزوابع والصواعق والمطر وهبوب الرياح .

(٢) الظواهر العرضيـــة : وذلك مثل مراقبة حركة وسلـــوك الطيور والحيوانات والحشرات ،ومن ذلك ان دخـــول كلب أبيض الى القصر ينبىء بحصار المدينة ،ودخـــول الجارح من الطير الى البيت نذير بموت صاحب هـــذا البيت ،والصراصير فأل سيء للبيت الذى توجد فيـــه ومنها كذلك العرافة المستمدة من الاجنه والولادات المشوهة سواء البشرية منها او الحيوانية.

(٣) الاحــــلام : وتعتمد هذه الطريقة على اساس اعتقادهم بأنه الالهه تتصل بالاتقياء من الناس و تعلن اليهم ماسوف يحل بهم من احداث عن طريق الاحلام ،وحينمـــا كانت تتأزم الامور كان الامير او العراف يلتمس هذه المنحة بالتوجه الى المكان المقدس و النوم فيـــه وكان يعهد بتفسير الاحلام الى كاهن خاص هـــو " الشائيلـــو "

ثالثا : الكاهنـــات

شغلت النساء فى العراق القديم وظيفة الكهانـــة ، فكان من الجائز أن تكون النساء كاهنات وساحرات وعرافات ومغنيات ،وسنتناول فيما يلى بعض درجات الكهانة التـــى شغلتها النســـاء .

(١) اينتـــوم

" كبيرة الكاهنات " أطلق على كاهنة الاينتوم خــلال العصر البابلى القديم " او كبابتوم " أو " كوبابتـــوم" وذلك نظرا لانها من نفس الدرجة . وكانت كاهنة الاينتـــوم خلال العصر السومرى القديم أرفع منزلة من كاهن " الايـــن"

اذ تذكر النصوص المسمارية اسمها دائما قبل اسم الكاهن حتى ولو كانت زوجة له ،واثناء العصر السومرى كان مسموحا لمن تشغل هذه الوظيفةالكهنوتية الزواج وانجاب الاطفال ومنذ عهد الملك حمورابى (حوالى عام ١٧٩٢ ق٠م) حرم على شاغلات هذه الوظيفة الزواج وانطبق هذا الامر على كاهن الاين ،وكان من يقرب من الجنس منهم يعاقب بالحرق بالنار٠

ويتم اختيار كاهنة الاينتوم بطريق استخاره الفأل ويتم تعيينهم بارادة ملكية كما هى الحال بالنسبة لكبير الكهنة (٢٤) ،ومن أهم واجباتها القيام بدورالعروسه فى عملية الزواج المقدس ٠

(٢) ناديتوم

تأتى بعد كاهنة الاينتوم ،ويعنى اسمها " المرأة التى تحمل نوعا من القوة الالهية " و كان اختيار هذا النوع من الكاهنات يتم عن طريق نذرهن الى المعبد منذ الولادة ،وشغلت هذا المنصب بنات كبار موظفى الدولة ، وكان يسمح لهذا النوع من الكاهنات بالزواج مع منعهن من انجاب الاطفال ٠

(٣) شوكويرنم :

من اهم واجباتها الدينية المساهمة فى مراسيم الزواج المقدس وبخاصة مرافقة العروس ليلة الزفاف ،وكانت هـــذه الكاهنه فى بعض الاحيان زوجة ثانية لزوج كاهنـــــــــة ناديتوم لتقوم بانجاب الاطفـــــال .

(٤) كولمشا شيـــتوم

شغل هذه الوظيفة نساء من الاسر الكبيرة ،وكـــــان لهذا النوع من الكهانة الحق فى الزواج وانجاب الاطفـــــال وكان لايفرض عليهن السكن فى الدير ،وكان لهن حرية الاختيار فى السكن . وبالاضافة الى ذلك فقد شغلت النساء وظائـــــف الغناء والعزف ،فلقد عملت حفيدة " نارام سين " بالعـزف على القيثارة للاله سين[٢٥] ويشير ذلك من ناحية أخـــرى الى أن بنات عظماء النبلاء لم يكن يحتقرن الوظائف الدنيا فى العبادة المقدســـــة .

رابعا : طقوس الجنس المقـــــدس

ترجع فكرة طقوس الجنس المقدس عند السومريـــــين الى رغبة الانسان العراقى القديم فى زيادة خصوبة أرضـه وكثرة انتاجيتها وكثرة مواشيه وزيادة نسله ،وعلى ذلـك فقد كان من واجبات الملك ان يتزوج من الهه الخصـــب والانجاب . وفى بداية الالف الثالث قبل الميلاد كان هنـاك تصور من قبل المفكرين ورجال الدين والشعراء لطقـــوس الجنس المقـــدس .

و تدور طقوس الجنس المقدس حول الالهه اينانــــا (عشتار) التى عبدت فى مدينة الوركاء فى بداية الالــف الثالث ق.م و التى اعتبرت الهه الحب والقوة الجنسيـــة ولقد اعتقد رجال الدين بأن مليكهم قد أصبح عاشقا وزوجا للالهه اينانا و بذلك يشاركها قوتها وقدرتها علـــى الاخصاب كما يشاركها خلودهـــا .

وارتبطت دموزى (تموز) والذى يعتقد انه كان أحد حكام الوركاء مع اينانا فى طقوس الجنس المقدس وان كـان هناك من الادلة مايشير الى أن هذه الطقوس كانت موجـــودة فى الوركاء قبل عدة أجيال من ظهور دموزى . ويدل علـــى ذلك الرسالة التى أرسلها حاكم ارتا الى انمركـــــــار

حاكم الوركاء بهدده ، فيها بالاعتراف به سيدا عليه ، وأن الالهه اينانا يجب أن يوتى بها الى إرتا ،ويستدل من هذه الرسالة أن طقوس زواج اينانا كان شائعا على الاقل منذ هذا العهد وأن ذلك كان قبل ظهور دموزى بجيليين على الاقل(٢٦). ومما جاء في هذه الرسالة :

" ليخفض (انمركار) راسه امامى ، وليحمل
السلة الى ،
عندما يخفض راسه امامى ،يخفض راسه فعلا أمامى
عندئذ هو وأنا
سوف يسكن مع اينانا قرب حائط
اما أنا فسوف اضطجع مع اينانا في بيت حجر
اللازورد في ارتا..... "

وحسبما يذكر صموئيل نوح كريمر(٢٧) فان الاقرب الى الحقيقة التاريخية أن دموزى لم يكن من مدينة الوركاء بل من مدينة " كودا " الواقعة بالقرب من اريدو،ويذكر الشعراء السومريون ان اينانا هى التى اختارته خصيصا من أجل ألوهية البلاد بناء على رغبة ابويها ،ومما جاء من ذلك على لسانهما :

" القيت عينى على جميع الناس
دعوت دموزى (لكى يتقلد) الوهية البلاد
دموزى المحبوب من انليل ،
الغالى أبدا عند أمــى
المحبوب أبدا من أبــى "

ولايمكن الاستدلال من الادلة المتاحة على أول ملك سومرى مارس طقوس الجنس المقدس ،والادلة المتاحة حاليا تشير الى أن الملك شولجى الملك الثانى من الاسرة الثالثة فى أور قد مارس هنا الطقوس(٢٨) وذلك فى منتصف الالف الثالث ق.م . وتذكر هذه النصوص انتقال الملك من عاصمته أور فى قارب الى الوركاء مدينة اينانا ومعه حيوانات القرابين حيث وصل الى حيث توجد اينانا ،ومما جاء فى ذلك:

شولجى ، الراعى الامين ، انطلق بالقارب
أخذته روعة ناموس الملك ،ناموس امارة سومرو كار
على رصيف كلاب أرسا قاربــه ،
ومعه ثيران برية ضخمة يقودها بذراعه
ومعه غنم وماعز مقرونة الى يده ،
ومعه جداء مرقطه وجداء ملتحية مضمومة الى صدره ،
الى ايناتا فى حرم ايانا جاء .

ثم تذكر الرواية ان شولجى عندما وصل الى هنــاك ارتدى طيلسانه الطقسى ووضع على راسه جمه اشبه بتــاج لكى ينال اعجاب الالهه بمقدمه ،وظهر ذلك الاعجاب فــى الاغنية التى أنشدتها الالهه وجاء فيهــا :

" عندما اكون من أجل الثور البرى ،

من أجل الرب ،قد استحممت

عندما أكون من أجل الراعى دموزى ،قد استحممت ،

عندما أكون بـ ... زينت عطفى

عندما أكون بالعنبر ثغرى قد طليت ،

عندما أكون بالكحل عينى قد صبغت ....".

وتنتهى الاغنية بتعهد اينانا برعاية جميع بــلاد الملك وحمايته والوقوف بجانبه ومما جاء فى ذلــك :

" فى المعركة أنا قائدك ،فى الكفاح أنا عونك(؟)

فى المجمع أنا نصيــرك

على الطريق أنا حياتــك

أنت ، المراعى المختار للبيت(؟) المقدس (؟)

أنت ، الساون لحرم آن العظيـم

فى كل الاحوال انت أهــل

لان ترفع رأسك عاليا على المنصه العاليـة ،

وأنت أهل ،لان تجلس على عرش حجر اللازورد ،

أنت أهل ،لان ترتدى الطيالس الطوال على جسدك ،

أنت أهل ،لان تلف نفسك بطيلسان الملك ،

أنت أهل ،لان تحمل الصولجان والسلاح

أنت أهل لان تصوب القوس الطويله والسهام،

أنت أهل ،لان تشد عصا الرماية والمتلاع الى وسطك

أنت أهل ،للصولجان المقدس بيدك ،

أنت أهل ،للخفيف المقدسين فى قدمــك ،

أنت أهل ،لان تثب على صدرى المقدس مثل عجل " حجر

الـــلازورد " ،

أنت أهل ،ليدم قلبك المحبوب أياما طوالا ،

هكذا حدد أن قدرك ،عسى الايبدلــه ،

انليل صاحب القدر ،عسى ألا يتغيـــر

اينانا أنت عزيز عليها ،انت المحبوب من ننجال؟

وكان يتم الاحتفال بطقوس الجنس المقدس فى ليلـــة راس السنة الجديدة ،وفى يوم راس السنة الجديدة كانت تعد وليمة كبيرة فى قاعه الاستقبال الكبيرة فى القصر،وجــاء وصف مايحدث فى هذه الوليمة فىالقصيدة الشعرية التالية :ـ

من أجل القرابين المقدسة ،من أجل الطقوس الراسخة

من أجل المذبح اللافح النار،من أجل مذبح(؟)السرور،

من أجل قرابين الخبز الوفير،من أجل الزهريـــات

الواسعة الملأى ،

يعانق زوجته الحبيبـــه ،

يعانق ابنانا المقدسة ،

يسعى بها مثل ضوء النهار الى العرش على المنصـــه

الكبيـــرة ،

وضع نفسه الى جانبها مثل الملك أوتـو ،

عرض أمامها الكثرة والفرحة والوفرة

أعد لها وليمة فاخرة ،

عرض أمامها ذوى الرؤوس السود ،(قائلا)

" بالطبل الذى يعلو دويه على العاصفة ،

والقثار ذى الصوت العذب ،زينه القصر ،

بالقثار الذى يسكن نفس الانسان

ايها المعشوق ،لننشد الاناشيد التى تبهج القلب "

" الملك مديده الى الطعام والشراب ...

القصر فى الاهازيج الملك فى الحبور ،

قرب الناس الذين أشبعتهم الوفرة.....

لندم اباحة على العـــرش المثمر........."

وفيما يتصل بتفاصيل طقوس الجنس المقدس ،فليس لدينا صورة واضحة عنه ،نظرا لاختلاف الوثائق التي وصلتنا عنه في ابراز التفاصيل ومايحدث في هذه الطقوس ،ويرجع ذلك في المقام الاول الى أن الكهنة والشعراء قد اطلقوا لخيالهم العنان في اختراع الاجراءات الطقسية المتعلقة بحفلة الزواج المقدس ،كما أطلقوا لخيالهم العنان كذلك في وصف التودد الذي يسبق الزواج المقدس ،وتظل بعض الاسئلة المتعلقة بهذا الموضوع دون اجابة شافيه و هي : هل كانت الحفلة تجري سنويا ،ومن كان يشترك في الاحتفال فعلا ؟ و من كان يقوم بدور الالهه طوال مدة الاحتفال ؟

و مع ذلك فانه يمكن القول اعتمادا على بعض النصوص أن الاحتفال كان يتم في معبد الالهه وحرمها وفي هذه المناسبة كان يتم اعداد سرير فخم مصنوع من الاسل والارز يمد عليه غطاء او لحاف أعد خصيصا لهذه المناسبة ،وترش الارض بزيت الارز المعطر و تعزف الموسيقى في أرجاء المكان ٠

ومع اعداد الفراش واستعداد الملكه لاستقبال عريسها تقود الالهه الملك اليها ملتمسه من الالهه ان تبارك له

فى أن يكون حكمه سعيدا ومذكورا وأن تكون سلطة السياسية قوية على بلاد سومر ومجاورها وأن تبارك له فى محاصيله وفى كثره شعبه ،ويبدو أن هذا هو الهدف من وراء اجراء هذا الطقس و هو ضمان وفرة المحاصيل وقوة البلاد وأمنها ومما جاء فى ذلك :

لعل الرب الذى دعوته الى قلبك
الملك زوجك الحبيب ،يستمتع بأيام مديدة على
حضنك الحلو ، المقدس ،
امنحيه حكما عظيما ومجيدا ،
امنحيه عرش الملك على أساس مكين
امنحيه القدرة على تدبير شئون الناس والصولجان
و المحجن ،
امنحيه تاجا لايبلى ،واكيل نور على راسه
من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب الشمس
من الجنوب الى الشمال ،
من البحر الاعلى الى البحر الاسفل ،
من بلاد شجرة ـ الـ" حلوب " الى بلاد شجرة الارز ،
على (جميع) بلاد سومر واكاد امنحيه الصولجان ا
و المحجن ،

لعله يكون راعيا لذوى الرؤوس السود حينما أقاموا

كالفلاح ،لعله يجد الحقول منتجه

كالراعى ،لعله يكثر أعداد حظائر الغنم ،

لعل فى حكمه يكثر الزرع ويتوفر الحب ،

لعل النهر يفيض

وفى الحقل تكثر الحبوب

وفى السبخه يزقزق العصفور ،ويصوت السمك ،

وفى الدغل ،ينمو عاليا القصب المسن والقصب الغض،

وفى الصوب تنمو عاليا شجرة مشجور ،

وفى الغابات يكثر الابل والماعز البرى

لعل الغياض تنتج عسلا ونبيذا ،

ومساكن البستان تنبت خسا ورشادا عاليا

وفى القصر تكون حياة مديدة ،

وفى دجله والفرات يكون فيض الماء ،

وعلى الضفاف ينبت العشب عاليا ،ويملأ المروج،

وملكه الخضرة المقدسة تجمع الحبوب اكواما وتلالا ،

اى مليكتى ،ملكة السماء والارض ،الكله التى تحيط

بالسماء والارض ،

لعله يستمتع بأيام مديدة على حضنك المقدس .

خامسا : المعابد

اتصلت المعابد في العراق القديم بشئون الناس الدينية و كذلك الدنيوية ،وكان المعبد في القسم الشمالي من العراق يمثل دائما مركز القرية أو المدينة ومن حوله تبنى بقية الابنية الاخرى سواء كانت رسمية او مدنية .

وفيما يتصل بجنوب العراق ،فلقد أثرت المياه الجوفية والفيضانات على مبانيها ،فلقد أثرت المياه الجوفية التي توجد أحيانا على عمق قدم او قدمين من سطح الارض على جدران المعابد وبقية المباني الاخرى ،أما الفيضانات فكانت تغمر جنوب العراق من حين لاخر . ولقد دفعت هذه الاحوال الانسان الى محاولة التغلب على هذه المصاعب البيئية التي تهدد مبانيهم وبخاصة ابنيتهم المقدسة ،وتوصلوا الى تشييد معابدهم فوق منصات مرتفعة بعض الشيء عن سطح الارض وذلك منعا للمياه من التأثير عليها ،وبمرور الزمن زاد عدد المصاطب او المنصات حتى بلغت في اواخر الالف الثالث ق.م ثلاث مصاطب ،ووصل عددها في بابل الى سبع مصاطب .

وتباينت آراء الباحثين حول الهدف من زيادة طبقات المعابد وارتفاعها ،فهناك من الباحثين من يرى أن ذلك

يرمز للسمو و العلو ويعتمدون في ذلك على أن الاسم الذى أطلق على هذه المباني هي الزاقورة يفيد معنى السمو والرفعه (٢٩). على أن هناك وجها آخر للنظر يرى أن السبب فى ذلك راجع الى أن سكان بلاد الرافدين قد استخدموا فى حساباتهم للوقت التقويم القمرى ،ولذلك كانت رؤية الهلال تعتبر ناحية مهمة حيث كانت تعتمد عليها كثير من الامور الدينية والدنيوية ،وضرورة رؤية الهلال منذ يومه الاول قد أبرزت الحاجة الى الاماكن المرتفعة ، ولذلك يتجه أصحاب هذا الراى أن زيادة عدد الطبقات كان لغرض خدمة هذه الحاجة (٣٠) ويرى بعض الباحثين أن هذا الطراز من البناء يتفق مع تطور الفكر الديني السومرى فكان هذا البناء المدرج بمثابة رابطة بين السماء والارض ،كما انه يكون فى ارتفاعه قريبا من مقر الالهة (٣١)

و منذ ان زاد عدد المصاطب عن مصطبة واحدة ظهرت الحاجة الملحة الى أن يكون هناك معبد ارضى لممارسة الطقوس اليومية ومعبد آخر فوق الزقورة للاحتفال بالاعياد الدينية الهامة ،ووضع فى هذا المعبد تمثال للاله ،وكان يتم الوصول الى الزاقورة [illegible] اسطة ثلاثة سلالم يتكون كل سلم منها م[illegible] مائة درجة ، [illegible]جد قرب القاعدة السفلى من

الزقورة بعض الحجرات والمرافق ويحيط بها سور ، ووجدت آثار فى جوانب بعض الزقورات يستدل منها الى احتمال تلوين الطبقات المختلفة بألوان مختلفة . (شكل ٨)

وكان أقدس جزء في المعبد الارضى عبارة عن مشكاه فى أقصى المعبد على هيئة المحراب ، حيث كان يوضع تمثال الاله فوق منصته او كرسي من الخشب ، وتعتبر حجرة الهيكل هذه أهم جزء فى المعبد ، وقد تكون وحدها معبداً قائماً بنفسه . وبالنسبة لتصميم المعبد الارضى فكان يوجد عند المدخل حجرة تسمى حجرة المدخل او حجرة الحاجب ، وتؤدى هذه الحجرة الى ساحة مكشوفة ، وتؤدى هذه الساحة الى حجرة أخرى تؤدى الى حجرة الهيكل حيث يوجد المحراب ، ودكة المذبح .

وفيما عدا هذه الاجزاء الرئيسية توجد ساحات خارجية وحجرات ومرافق أخرى تحيط بالساحة خصص بعضها للكهنة وبعضها للتطهير المقدس ، ووجد فى اكثر المعابد تماثيل آلهة كثيرة وضعت فى حجرات ثانوية مع تمثال الاله الرئيسى الذى شيد له المعبد .

وتجدر الاشارة الى أن تصميم المعابد فى شمال

العراق قد اختلف قليلا عن تصميم المعابد في الجنوب ويتمثل هذا الاختلاف في أن المعابد الجنوبية قد جعلت أقدس مكان في المعبد يقع على نفس محور المدخل ، أي أن الداخل الى المعبد يواجه مباشرة قدس الاقداس أي المحراب ، اما المعابد الشمالية فقد حرفت المداخل عن المحاريب و جعلتها في جهة تضطر الداخل الى المعبد ان يدور بزاوية قدرها تسعون درجة حتى يواجه المحراب .

ويلاحظ أن جميع المعابد العراقية ،وعبر جميع العصور قد بنيت من اللبن ماعدا المرافق التي تتعرض للمياه فقد كانت تبنى من الحجر او القير . ويتجه بعض الباحثين في تفسير هذه الظاهرة الى القول بأن اللبن هو المادة الوحيدة المتوفرة للبناء المعد في القسم الجنوبي من العراق ،ولذلك فقد بنيت أقدم المعابد من اللبن ،وسارت المعابد التالية على نفس هذا المنوال بينما يوجد وجه آخر للنظر يرى أن ذلك راجع الى كون الطين المادة التي خلق منها الانسان ،وأعطى ذلك له نوعا من القداسة وعلى ذلك بنيت المعابد من الطين وبخاصة جدرانها الرئيسية (٣٢)

ومثل المعبد في بدايته الاولى في العراق القديم المركز الديني والدنيوي ،فكان يقوم مقام المحاكم في فض النزاع بين المتخاصمين ،وقدمت النصوص المسمارية الكثير من الادلة على أن المحاكمات كانت تجري داخل المعابد ،كما اهتمت المعابد بالتعليم فوجدت فيها المدارس ،واستمر اهتمامها بالتعليم عبر جميع مراحل الحضارة العراقية ،كما حفظت بالمعابد سجلات الاداب والعلوم الى جانب دور السجلات وخزانات الكتب الملكية . وبالاضافة الى ذلك فقد اوضحت النصوص المسمارية قيام المعابد بممارسة أعمال اقراض الفضه والشعير ،ومن أبرز الادلة المادية على ذلك فائدة الفضة التي كانت تسمى بفائدة الاله شمش ، أي بمعنى الفائدة التي كان معبد الاله شمش يفرضها على من يقترض منه الفضه .

سادسا : عالم مابعد الموت

اعتقد الانسان العراقي القديم في حتمية الموت بالنسبة لجميع البشر ،وكان الموت عندهم من طبيعة الانسان وتركيبه اذ أنه خلق ومعه حياته وموته وهو قانون طبيعي قدرته الالهه عندما خلقت البشر وفي الوقت ذاته

فانه لم يتصور أن الموت غاية تنتهي عندما الحياة وتنعدم انعداما كليا ،وانما يعني الموت عندهم انفصال الـــروح عن الجسد ،وأن الميت لايعود هو نفسه الى الحياة بل الـذي يعود منه هو الروح التي تحيا الحياة الاخرة في عالـــم الارواح وهو العالم السفلي حيث تعيش هناك الى أبـــد الابدين من غير قيامة ولارجعة ،ومع هذا الانفصال بيـــن الجسم والروح فانه تبقى بعض الصلة بين الاثنين بعـــد المـــوت •

واعتمدت راحة الروح في عالم الارواح عندهم علـــى العناية التي يبذلها الاحياء في دفن الجسم وفق الطـــرق والقواعد الدينية وعلى مايودع في القبر من أثاث وطعـــام وعلى القرابين التي تقدمه لقبره في المناسبات المختلفة • أما الاشخاص الذين يموتون غير طبيعي أو أن أجسادهـــم تترك بلا دفن فأن أرواحهم تتعذب و تتحول الى قـــوة شيطانيـــة و تخرج من العالم السفلي و تصعد الى العالـــم العلوي و تقلق راحة الاحياء على سطح الارض

واعتقد الانسان العراقي القديم أن ظل الميت يفتـــرق عن جسده مباشرة عقب الموت ويتحول الى روح شريرة ،وهـــي لاتستريح طالما لم يدفن الجسد " ان من يبقى جسده ملقـــى

فى الحقول يظل خياله غير مستقر فى الارض . وان من لايعنى أحد بخياله يقتطع مايصل الى يده فى مطافه السريع من بقايا الاطعمة الملقاه فى الشارع ليأكلها(٣٣). وعلى ذلك فان الحرمان من الدفن كان اقصى عقوبة للمتوفى .

وتسمى روح الانسان بعد مماته فى السومرية " كيديم" وفى الاكدية " ايطيمو . " واعتقد ان هذه الروح هى التى تتحمل حسنات او سيئات الشخص المتوفى ،ومقر سكنى الروح هو العالم السفلى .

و يمثل العالم السفلى عندهم الطبقة الاخيرة من الارض حيث كانت تمتد فوق سقفه المياه الجوفية العميقه وقد وصفوه بأنه عالم مخيف يحيط به سبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها " كيجال " و " الارض التى لارجعة منها ،ويسكن فيه و يحكمه آلهة شديدة قاسيه يساعدها مجموعة من الشياطين . والكتاب لتسجيل الموتى .

ويرى بعض الباحثين(٣٤) أن السبب الذى دعا سكان العراق القديم وبخاصة سكان القسم الجنوبى منه لان يجعلوا من باطن الارض مقرا لعالمهم السفلى يعود الى طبيعة الجو

فى هذا القسم ،حيث أن جو العراق بشكل عام حار ورطبه وحرارة جنوبه صيفا شديدة نسبيا ،ولذلك صارت الاماكن المبنية فى عمق الارض كالسراديب مثلا من أفضل الاماكن التي يقضى الناس فيها اوقاتهم بعيدا عن تلك الحرارة ومن الرطوبة أيضا .

وقد اضطرب افكارهم حول حالة الموتى فى العالم السفلى ،ولكنهم اعتقدوا بوجه عام أنه عالم مخيف يكاد يتساوى فيه الموتى ،ولاقيامه أورجعه منه ،أى أنهم لم يعتقدوا بعالم آخر للثواب والعقاب اى لاجنته ولانار عندهم فى الاديان الاخرى ولكنهم كانوا يلطفون فى بعض الاحايين من هذه الصورة الناتجة حيث وردت فى بعض ماثرهم و لا سيما فى اللوح الثانى عشر من ملحمة جلجا مش ان بعض الموتى ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة او ممن مات عن أولاد ولاسيما الذكور ،أو من قدمت له القرابين على الدوام يعيش فى هذا العالم عيشا فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام ،كما تشير بعض النصوص كذلك الى أنهم اعتقدوا بنوع من الحساب عندما تدخل الارواح فى عالم الاموات(٣٥)

وقد عبرت الملاحم والاساطير العراقية القديمة عن أفكار الانسان العراق القديم ومعتقداته بشأن الموت في العالم الآخر ،وسنتناول في الفصل الخاص بالادب بعضا من هذه الاساطير •

الحواشي

(١) انظر : احمد امين سليم : القيم الاخلاقية والسلوكية في العراق القديم ،بيروت ،١٩٨٤ ،ص ٩-١٢•

(٢) راشيلد البناضوري : المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ،بيروت ،١٩٧٦ ،ص ٥٥ - ٥٦•

(٣) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،القسم الاول ،تاريخ العراق القديم ،بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ •

(٤) تتكون هذه القصيده من سبعة ألواح وتعرف في الاكدية باسم Enuma Eliy

انظر: Speiser, E.A., "The Creation Epic", in pritchard J.B, Ancient Near Eastera Texts Relating to the old Testament, third Edition, princeton, 1969,pp. 60-61.

(٥) فوزي رشيد : المعتقدات الدينية ،مجلد حضارة العراق ج١ ،بغداد ،١٩٨٥ ،ص ١٤٩ - ١٥١

(٦) Jacobsen, T.,"The Cosoms as A state" ,in Before philosophy, pelican Books,chicago, 1949, p 153.

(٧) Kramer, S.N., In Assyriological Studies oriental Institute, University of Chicago, vol. XII, 1942, pp 38, 40

op cit. pp 154 - 155.

(٨) Ibid., p. 157., Ebeling, E., Keilschrifttexte aus Assur religiosen Inhalts 25, III, 21 - 29.

(٩) Ibid, 375. II , 1 - 8.

(١٠) Jacobsen, J., op, cit, p. 157.

(١١) صموئيل نوح كريم : ايناننا ودموزى ،طقوس الجنس المقدس عند السومريين ،ترجمة نهاد خياطه ،بيروت ، ١٩٨٧ ،ص ٨٠ — ٨١

(١٢) نفس المرجع السابق ، ص ٨٤

(١٣) صموئيل نوح كريم : اساطير العالم القديم ،ترجمة احمد عبد الحميد يوسف ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ،القاهرة ،١٩٧٤ ،ص ٧٨ — ٧٩

(١٤) Cuneiform Texts from Babylonian Tablets, etc., in the British Museum, XXXVI, pl.31,1-20

(١٥) صموئيل نوح كريم : ايناننا ودموزى ،ص ٨١ — ٨٤ .

(١٦) طه باقر : المرجع السابق ،ص ٢٥٢ — ٢٥٣.

(١٧) ل.دېلابورت : بلاد ما بين النهرين ،الحضارتان البابلية والاشورية ،ترجمة محرم كمال ،ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ،القاهرة ،مجموعة الالف كتاب (٣٥) ،ص ١٧٠ — ١٧١

(١٨) نفس المرجع السابق ،ص ١٧٢

(١٩) صموئيل نوح كريم : المرجع السابق ،ص ٥٠

(٢٠) Sepeiser, E., A.op cit., p. 66.

(٢١) انظـــر :
ديلابورت ،ل : المرجع السابق ،ص ١٨١ – ١٨٤ ،فاضل عبـــد الواحد على : العرافه والسحر ،مجلد حضارة العـراق ، الجزء الاول ،بغداد ١٩٨٥ ،ص ٢٠١ – ٢٠٥ ،سامى سعيـــد الأحمد : معتقدات العراقيين القدماء فى السحر والعرافة والاحلام والشرور ،المؤرخ العربى العدد الثانى(١٩٧٥)

(٢٢) انظر فى ذلك على سبيل المثـــال :ـ

Leonard, W, the Letters and Inscriptions of Hammurabi, 1898, p. 159.

(٢٣) انظر : فاضل عبد الواحد على : المرجع السابق

(٢٤) Francois Thureau-dangin, Les Inscriptions de sumer et d'Akkad, 1905, p. 329.

(٢٥) Ibid., p. 237.

(٢٦) Kramer, S.N., History Begins at Sumer, N.y, 1952, pp. 204 - 207.

(٢٧) صموئيل نوح كريم : المرجع السابق ،ص ٩١

(٢٨) Seuish quartery review, vol. 75 (1967)pp 370 - 380.

(٢٩) طـه باقـــر : المرجع السابق ،ص ٢٧٧ .

(٣٠) فـوزى رشيد : المعتقدات الدينيه ،ص ١٨٦ .

(٣١) رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى بيروت ١٩٧٦ ،ص ٦٢ – ٦٣

(٣٢) فـوزى رشيد : المرجع السابق ،ص ١٨٩ – ١٩٠ .

(٣٣) ديلابورت ،ل : المرجع السابق ،ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٣٤) فـوزى رشيد : المرجع السابق ،ص ١٧٩ .

(٣٥) طـه باقـــر : المرجع السابق ،ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

الأدب

خلف العراقيون القدماء تركة ضخمة مدونة على الالواح الطينية تتميز بتنوع الموضوعات المسجلة عليها مابين الاساطير الدينية ،والحكم والامثال والنصائح ،والمناظرات الفلسفية التى تدور حول العدالة الالهية والمفاهيم والقيم الاجتماعية ،والتراتيل والصلوات والادعية ،وبعض القصص، وقصائد الغزل ،وبالمرثيات التى تسجل أحداث تاريخية تتصل بالكوارث التى حلت ببعض المدن العراقية . وتمثل هذه المدونات الادبية نسبة ضئيلة جدا من الكتابات التى وصلتنا اذ تكون غالبية الكتابات من نصوص اقتصادية .

ويعتبر الانتاج الاولى مرآة صادقة تعكس كثيرا من المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد الاجتماعية ،ولقد حافظت الاداب في العراق القديم على اصالتها الى حد بعيد ويرجع ذلك بشكل رئيس الى حرص النساخ القدامى على نسخ الاعمال الادبية من مصادرها الاصلية القديمة كما حرصوا على مطابقتها وتدقيقها ،ومما قد يدل على ذلك حرص الكتاب على تذييل مايقومون بنسخة بعبارة " كتب ودقق وفق النسخة الاصلية " ثم يذكر اسمه وأحيانا اليوم والشهر الذى أتم فيه النسخ ولامر من قام به .

ومما تجدر ملاحظته فى نصوص العراق القديم الادبية انها تعتمد على أسلوب التكرار والاعادة فى بعض الاحيان

خاصة عند رواية خبر على لسان رسول الى واحد او اكثر من شخوص الاسطورة ،ورغم مافى هذا التكرار من ملل الا انه لايخلو من فائدة للباحث اذ يساعد فى كثير من الاحيان على ترميم الاجزاء المفقودة عندما يتعرض النص الى الكسر.

ومن الامور الهامة عند دراسة الادب فى العراق القديم معرفة اللغة التى دون بها ،فقد سادت بلاد الرافدين لغتان مشهورتان هما اللغة السومرية واللغة الاكدية ،والاخيرة هى الفرع الشرقى من عائلة اللغات السامية . اما اللغة الاولى وهى السومرية فكانت هى السائدة عند معرفة التدوين أى منذ أوائل الالف الثالث ق.م ،وغلبت الثقافة السومرية بلغتها وأدبها ومعارفها المختلفة . ولكن فى الربع الاخير من الالف الثالث ق.م بدأ يبرز كيان الساميين السياسى وانطبع ذلك على الاداب فبرزت لغتهم فى الكتابة وتزايد استخدامها حتى طغت على اللغة السومرية منذ مطلع الالف الثانى قبل الميلاد ،ولم يؤدى ذلك الى اندثار اللغة السومرية،بل بقيت الثقافة السومرية حية واستمر التدوين بالسومرية جنبا الى جنب مع اللغة الاكدية بفرعيها الاساسيين البابلية والاشورية وعلى هذا الاساس فانه لايمكن فهم النصوص الادبية مالم يؤخذ بعين الاعتبار هذا الازدواج اللغوى سواء كان ذلك من ناحية تأثر النتاج الادبى البابلى بأصول سومرية ،أم من حيث استعمال الكثير من المصطلحات الكتابية السومريةفى القطع

الادبية البابلية ،وتتأثر هذه القطع بالاساليب اللغوية والادبية السومرية .

وتناول الادب في العراق القديم موضوعات متعددة منها أدب الاساطير ويتضمن نشأة الخليقة وأصل الوجود والاشياء وأساطير مابعد الموت ،والملاحم وأعمال البطولة ،وأدب القصة وأدب الحكمة ،وأدب المفاخرة والمناظرة ،وأدب الحب والغزل وأدب الرثاء ،وأدب السخرية و الفكاهة . وسنقوم فيمايلي بالقاء الضوء على بعض أنواع هذا الادب لنتعرف على طبيعته ومغزاه و نبدأ دراستنا للأدب بالشعر .

(أ) الشعر

خضع الشعر السومري والبابلي لبعض القواعد في النظم والتأليف ،ومن ذلك أنه كان يتألف من أبيات قوام كل بيت صدر وعجز وهما يتشابهان في المعنى والتأليف و كل منهما يتكون من مقاطع-من مقطعين الى ثلاثة مقاطع طويلة ،ويؤلف بيتان من الشعر وحدة في المعنى ،ويمتاز النظم في كل من الشعر السومري والبابلي بأن الشعر موزون ولكنه غير مقفى فيكون ،أشبه بالشعر المرسل ،وقد تؤلف أربعة أبيات من القصيدة وحدة في المعنى فتكون القصيدة وحدة من الرباعيات وقد يستعمل كتبة الشعر بعض العلامات او الفواصل بين مصراعي (الصدر والعجز) البيت الواحد ،وبين كل بيت وبيت[1].

ويمكن أن ترجع أولى المؤلفات الشعرية السومرية الى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ،ومن أوضح الامثلة على ذلك ترتيله طويلة الى عهد الملك جوديا حاكم لجش وذلك حوالى عام ٢١٠٠ ق٠م ،وهى مسجلة على اسطوانيتين من الطين قسمتا الى أربعة وخمسين عمودا ،وهى تعرف باسم اسطوانتى جوديا B . A ،وتنطوى المادة المسجلة فى هاتين الاسطوانتين العديد من أوجه الثقافة السومرية فى الدين والفن والعمارة والتجارة والاخلاق ،وسنورد فيمايلى بعضا مما جاء فى الاسطوانة A (٢)

عندما كان القدر يكتب على السماء والارض
رفع راس لجش عاليا نحو السماء ،وفقا للناموس الاعظم
و نظر بعين المحبة الى الربننجرسو
وأظهر الى الوجود كل مايحى المدينة ،وفقا للناموس الاعظم ٠
القلب فاضت فضتاه، نحوها
قلب انليل فاضت فضتاه نحوها
مياه الفيضان أشعت بضياء نحوها
قلب انليل ذى الجلال ،ونهر دجله ،جلبا اليها عذب المياه ٠

قال ننجرسو رب المعبد :

" معبد انينو ،سوف يسمو ناموسه على السماء والارض

وجوديا ، الملك الصالح ، الفهم الاديب ،يعطى أذنــــا

يقوم بجليـــل الاعمـــال

يسوق الى هناك عجولا وكباشا سليمـــة ،

يرفع راسا الى القرميد المبارك

لقد وطن نفسه على تعمير البيت

فى ذلك اليوم ،رأى ربه ليلا فى الرؤيـا ،

أمره ننجرسو أن يعمر البيـت ،

وأطلعه على ناموس انينو الاعظم الخيـر،

ولكن مقاصد ننجرسو كانت غامضـــــة

فتدتم جوديا بهذه الكلمـــات :

" تعال الان ،لسوف انبئها ،لسوف انبئها

لعلها تقف الى جانبى فى هذه المسألة

لى ،أنا الراعى ،صدر أمر ملكـــى،

لاأعرف معنـــاه ،

سأقص منامى على والدتــــى ،

لعل المؤولة ، العارفة بمعتهـــا ،

العزيزة نانشتسه ، اخت سيبارا - شمتا ،

تفسر لى معنــاه

وضع قدمه فى قاربه الـ " ماجور "

وجذف القارب نحو مدينته نينا الواقعة على قنـــاة

نينـاجـــن

أبحر والقناة الجديدة بحمولات الفـرح

بعد ان بلغ البجارا، المنزل الذى يمتد والقنـــــاة

الجديـــــدة

جاء بقرابين الخبز ،وسكب الماء البارد

خطا نحو ملك البجارا (ننجرسو) وتوجه اليه بالدعاء

" أيها البطل ،والاسد الهصور الذى لايباريه أحد ،

ننجرسو ، الشديد البأس فى الأبـزو ،

الذى يوفر الامن الى نيبـــور،

أيها البطل ،لقد أعطيتنى أمرا،

وسوف انفذه مخلصـــــــــــا،

ننجرسو ،سوف أبنى لك بيتـــك ،

سوف انفذ لك النـاموس بحذافيره ،

فلتتفضل اختك ،الابنة المولودة فى اريدو،

التى يعتمد عليها فى صنعتهـا،

السيدة العارفة بعلوم الالهـه،

العزيزة نانشيه ، اخت سيارا - شمتا،

وتدلـنى على طريق الحلـــم ،

اجيب الى دعائه ،

قرابينه وصلواته،

قبلها السيد ننجرسو من جوديا ،

وجوديا أقام وليمة " اش اش " في بيت بجارا،

صعد الرجل الصالح الى بيت " جتوم دوج" الى حيث

مخدعهـا ،

آتاها قرابين الخبز ،وسكب الماء البارد ،

صعد الى "جتوم دوج " وتوجه اليها بالدعاء،

" سيدتي ،ايتها الابنة المولودة من " ان " ،

التي نعتمد عليها في صنعتهـا ،

الالهه التي تعيش وراسها مرفوع في البلاد ،

التي تعرف حاجات مدينتهـا

انت " ايتها السيدة " الام التي اسست لجش "

عندما وقعت عينك على البلاد ،نزل القطر وفاض الماء،

عندما وقعت عينك على الانسان ،امتدت له الحياة،

أنا ممن ،لاأم لهم ،فأنت امـي ،

أنا ممن لا أب لهم ،فأنت أبـي ،

أنت نقلت بزرتي الى الرحم ،وولدتني في الحرم،

" سيدتي جتوم دوج ،الحكيمة والصالحة ،

اضطجعت بالقرب منى ليلا ،

انت سيفى الصمصام ، الملتصق بى ،

انت ....

انت اعطيتنى نسمة الحياة ،

انت يامن انت دثار وسيع ،

فلا نعم يظلك ،

و لتلق على ،أيتها السيدة جنوم دوج ،راحة يدك

النبيلة الرفيعة الشأن

أنا ذاهب الى المدينة ،ليكن فالك خيرا،

الى نينا ، الرابية الطالعة من الماء ،

ليتقدمنى جنبك اللطيف ،

وليجمنى من خلف ملاكك الحارس اللطيف ،

تعالى الان ،سأنبئها بالحلم ،سأنبئها بالحلم،

لعلها تقف الى جانبى فى هذه المسألة ،

سوف اجئ بحلمى الى أمى ،

لعل المؤولة ، العارفة بصنعتها،

عزيزتى نانشيه ،اخت سيارا شمتا ،

تفسر لى معناه ،

أجيب الى دعائه ،

قرابينه وصلواته ،سيدته ،

جتوم ــ دوج تقبلتها من جوديا،

انطلق بقاربه الـ " ماجور "،

أرسى قاربه في مرفأ مدينة نبينا،

الرجل الصالح رفع رأسه الى السماء في باحة قصر

سيارا ــ شمتنا ،

قدم قرابين الخبز ،وسكب الماء البارد ،

صعد الى ناتشيه ،وأنشأ يصلي

" ناتشية ــ ايتها السيدة الجليلة ،سيدة الناموس

الثمين ،

السيدة التي تكتب الاقدار كالنخيل ،

العزيزة ناتشيه التي أمرها دائم ،أيذى ،

انت ،مفسرة الالهة ،

انت ،سيدة البلاد ،أم الرؤى والاحلام ،

في منامي ــ رجـــل

كالسماء في عظم جرمه ،كالارض في عظم جرمه

هو ــ راسه راس الـه ،

جناحاه جناحا طائر امدوجود ،

فاشمتاه فاشمتا عفريت طوفان ،

عن يمينه وشماله أسدان يربضان ،

أعطاني الامر بتعمير بيته ،

لاأدرى ماذا يريد ،

" الشمس طلعت لى من الافق ،

امرأة من هي ليست تكون ! من هي تكون ،

وضعت .. على الرأس ،

امسكت قصبة اللوح القضية المضيئة باليد ،
اسندت لوح نجم على الركبة ،
تتشاور معه ،
" ثم ، بطل ،
لوى الذراع ، امسك كتلة من حجر اللازورد ،
للمنزل ، رسم مخططا عليها ،

" أمامى سلة مقدسة زرعت ،
قالب قرميد مقدس اقيم مستويا ،
قرميد القدر وضع فى قالب القرميد من أجلى ،
فى عوسجة " الداج " المزروعة أمامى ،
عصافير " تيبيو " مابرحت تغرد طربا ،
ومهر حمار شبيل " اليد اليمنى " لمليكى ، كان يضرب
الارض بقائمته ـ ناقد الصبر "

الى الرجل الصالح ، أمه نانشيه تعطى الجواب :
" ياراعى انا ، منامك سافسر :
الرجل العظيم الجرم كالسماء ، العظيم الجرم كالارض
وراسه راس السه ،
وجناحاه جناحا طائر امد وجود ،
وقائمتاه قائمتا عفريت طوفان ،

وعن يمينه وشماله اسدان يربضـــان ،
ان هذا لـهو أخى ننجرسـو ،
أمرك ان تعمر له معبد انينو،

و الشمس التى طلعت لك من الافق ،هى الـهك
ننجش زيـــدا ،
مثل الشمس طلع لك من الافق ،

العذراء التى وضعت ... على الرأس ،
وأمسكت قصبه اللوح الفضية المضيئة باليد ،
وأسندت لوح نجم على الركبـــة ،
تتشاور معـــه ،
ان هذه لهى أختى ندابـا ،
لكى تعمر البيت طبقا للنجوم المقدسة ،
دعتــــك ،

" ثم ـ بطـــل ـ
لوى الذراع ، امسك كتلة من حجر اللازورد ،
ان هذا يتذوب برسم مخطط البيت عليها،

" السلة المقدسة التى زرعت أمامـــك ،
قالب القرميد المقدس الذى أقيم مستويا،

قرميد القدر الذى وضع فى قالب القرميد ـ
ان هذا قرميد انينو الذى يقاوم ...
" فى عوسجة الداج المزورعه امامك ،
عصافير تيبو مابرحت تغرد طربا ،
فى أثناء تعمير البيت ،لن يأتى الرقاد الحلو الى
عينيك ،

" مهر الحمار النبيل ، اليد اليمنى لمليكك ، الذى
كان يضرب الارض
بقاشمته نافد الصبر ،
ان هذا أنت ،كمهر الحمار النبيل سوف تضرب الارض
فى انينو " .

بعد أن فرغت الالهة من تأويل الحلم ،مضت من تلقاء نفسها فى اسداء النصح الى جوديا : عليه ان يأتى بهدايا من السلاح الى ننجرسو المحب للهدايا ، الذى عرف أيضا باله حرب ،عليه ان يأتى بها الى المعبد و معه ،قيثار " الاله الشهير ، اشموجال ـ جلاما ،وبذلك يرق له قلب الاله ويكشف له عن كامل مخطط بيته ،ويتحمس من أجله :

" سوف أعلمك ،تقيد بتعليمى :
توجه بخطاك الى جيرسو ،جبهة لجاش ،

انزع الختم عن مخزنك ،خذ الخشب ،

اصنع عربة لمليكـك

اعقل مهر الحمار النبيل اليها ،

زين تلك العربة بالفضة المضيئة و حجر اللازورد

كالشمس ،أطلق السهام من الكنانة ،

ركب باحكام سلاح الانجارا ،قوة البطولة

انسج له رايته المحبوبة ،طرزاسمك عليها،

امثل امام البطل الذى سحب الهدايـا ،

مليكك ،السيد ننجرسـو ،

المصحوب بقيثارة الاثير اشموجال ــ جلاما

آلته الطنانة الذائعة الصيت ،ذات الشهرة

ادخل الى انينو ــ امد وجد ــ بيار ،

سوف يتقبل كلمتك المتواضعة كما يتقبل كلمة نبيلـ"

الرب ،قلبه وسيع كالسمـاء،

قلب ننجرسو ،ابن انليل سوف يرق من أجلـك ،

سوف يكشف لك كل مخططات بيتـه ،

البطل ذو الناموس الاعظـم ،

سوف يمد لك يـدا " ،

يقوم جوديا ،على حد رواية شاعرنا ،بتنفيذ تعليمـ

نانشيـه بحذافيرهـا :ـ

الراعي مصطفى " جوديا " ،
يعرف كثيرا ، يصنع كثيرا ،
اصغى وابه المكالمة التي نطقت بها نانشيه اليه ،
نزع الختم عن المخزن ، وأخذ الخشب ،

من اكثر المقاطع شعرية فى هذه الترتيلة مقطع يتعلق بعلامة او بشارة يطلبها من ننجرسو ، لانه لم يزل يشعر أنـــــه لم يفهم مراد الاله تماما يبدا هذا المقطع حين يتجه ننجرسو نحو جوديا ، وكان اضطجع لينام عله ان يتلقى بشارة الالــــــه فى المنـــــــام :

ثم الى النائم ، الى النـائـم ،
خطأ ننجرسو ، وبيده لمس قدميـــه ،
انت يامن سوف تعمره لى يامن سوف تعمره لـى ،
ايها الرجل الصالح ، يامن سوف تعمر البيت لى ،
اى جوديا ، لاعطك العلامة على تعمير بيتـــــــــى ،
ولانبئك بطقوسى طبقا لنجوم السماء المقدســة ،

" بيتى ، انينو الذى لى ، اسسه آن ،
الذى ناموسه هو الناموس الاعظم ، أعظم من كل ناموس ،
الـ مت الذى ملكه ترى عيناه كل بعيـد ،
و سام صرخته ، التى كطائر امد وجود ، تتزلزل السموآت ،

وعظمته المخيفة تصل الى السماء ،
بيتى ،هيبته العظيمة تطغى على كل البلاد ،
باسمه جميع البلاد تجتمع من أقطار السماء،
ماجان وملوخا تهبطان اليه من الجبال ".

يم يمضى الاله في تعداد سلطاته الواسعة ،وأسمائـــــه الخصوصية التى وهبه اياها الالهان العظيمان آن وانليـــــل ودوره الهام فى ادارة حكم المدينة ،ثم يختم خطابه بوعـــد لاهالى لجاش بالثروة والرفاه بهذه الكلمات الرنانة :

" عندما تضع يدك على بيتى ، البيت الاول فى جميع البلاد،
ذراع لجاش اليمنى ،
تلك التى تزأر كطائر الامدوجود فى كبد السماء
الانينو ،بيتى الملكى ،
أيها الراعى الامين ،جوديا ،عندما تضع يدك الامينــــة
من أجلـــــى ،
عندئذ ادعو السماء لكى تمطـــر ،
وينزل الفيض اليك من السمـــاء ،
وينعم الناس بهذا الفيـــــــض ،

" بتأسيس بيتى ،سوف يأتى الفيض ،
الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلـك ،

الاثنية سوف تفيض عن حوافيها من أجلك ،
في الروابي التي لم يرتفع اليها ماء،
سوف يرتفع الماء من أجلك ،
وسومر سوف تسكب كثيرا من الزيت من أجلك ،
وسوف تزن لك الكثير من الصوف ،
في اليوم الذي تملأفيه مطبختي ،
في اليوم الذي تضع يدك الامينة على بيتي ،
سأضع قدمي في الجبل ،
حيث تقيم ريح الشمال ،
وكانسان ذي قوة هائلة ،ريح الشمال ،
من الجبل ، المكان الطاهر
سوف تهب راسا نحوك ،

(لأنه) بعد أن أكون أعطيت نسمة الحياة للناس ،
سوف يقوم رجل واحد بعمل اكثر من عمل رجلين ،
في الليل ،نور القمر سوف يضيء من أجلك ،
في النهار ، الشمس الساطعة سوف تشع من أجلك ،
البيت سوف بيتي من أجلك في النهار ،
وسوف يرتفع عاليا في الليل ،

من تحت ،شجرة " حلوب " ، الـ(....) المنعشة ،
سوف يؤتى بها اليك ،

من فوق ،شجرة الارز والسرو وشجر الزبلوم ،
سوف يؤتى بها اليك فى يسر ،
من بلاد البلوط ،
البلوط سوف يؤتى به اليك ،
فى بلاد حجر" نا " حجر "نا" الجبلى الكبير ،
سوف ينحت ألواحا من أجلك ،

فى ذلك اليوم ،نار سوف تلفح ذراعك "
فتعرف عندئذ علامتى "،

يستيقظ جوديا من نومه ،ثم يمضى فى تطهير المدينة بعد أن حصل على علامة الاله ،من الناحيتين الفيزيائية والروحية ،أو كما عبر عن ذلك الشاعر فى كلمات تكشف عن الفجوة بين المثل العليا الاخلاقية التى كان يتحدث عنها السومريون و بين ممارساتهم اليومية :-

استيقظ جوديا ،كان نوم ،
وارتجف ،كانت رؤيا ،
احنى رأسه للكلمة التى نطق بها ننجرسو ،
وراح يتفحص جذيا كل البياض ،
الجدى الذى تفحصه ـ كان فأله حسنا ،
الى جوديا ، المعنى الذى أراده ننجرسو،
جاء مثل الشمس ،

يعرف الكثير ،ينجز الكثيـــر ،

الرجل الصالح علم المدينة ان تكون مثل رجل واحـد ،

ان يكون واحدا قلب لجاش مثل ابناء لام واحدة ،

ذرع اشجارا ،قلع شوكـــــا ،

نزع الاعشاب الضارة ، ازال اسباب الشكـوى ،

و أزال لسان الكرباج و العصـــا ـ

وضع في مكانه الصحيح صوف النعجة ـ الام ،

الأم لم تنطق شيئا بحق ابنهـــا ،

الابن لم يعارض امـــه ،

العبد الذى أســـاء ،

مولاه لم يضربه على رأســه ،

الجارية ، الاسيرة ، التى أوقعت أذى ،

مولاتها لم تصفعها على وجههـــا ،

الى الرجل الصالح الذى يعمر البيـت ،

الى جوديا لم يشتـك أحـد ،

الرجل الصالح نظف المدينة طهرها بالنـار،

الوسخ ، الفاجر ، الـ " جايان " ،طرد من المدينة ،

(٢) الاساطيـر الدينيـــة :

تدور أساطير السومريين والأكاديين حول الخلق وتنظيـم الكون ومولد الالهـه و حبهم وكرههم وحول أحقادهم ومؤامراتهم وبركاتهم ولعناتهـم و أعمالهـم الخلاقـة و الهدامة وحقيقـة الموت المؤكدة ،وسنتناول فيما يلي بعضا من هذه الاساطير:

(أ) اسطورة الخليقة البابليـــة

تعد هذه الاسطوره من اكمل واطول النماذج المتصلـة بموضوع الخليقة و أصل الاشياء ،وهي تعرف عند علماء الاشوريات باسم " ألواح الخليقة السبعة " ،ولقد سماها البابليـون " اينوما ايليش " (حينما كان فى العلا) لان أول بيت مـن الشعر فيها يبدأ بهذه العبارة .

واهتم العلماء بدراسة هذه الاسطورة منذ الربـع الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى وكان من أوائل العلماء الذين قاموا بدراستهـا جورج سميث عام ١٨٧٦ و ذلك فـى The Ghaldean Account of Genesis

وجاءت الوثائق الخاصة بهذه الاسطورة من مصادر ثلاث ،الاول ، حفائر البعثات الانجليزى فى نينوى التى نشرت عام ١٩٠١،ثـم نشرت مرة اخرى عام ١٩٠٢ فى :

King's, L.W., The Seven Talolets of creations, 2 Vols, 1902.

والمصدر الثانى ، الحفائر الالمانية فى مدينة آشور والتى نشرها :

Ebeling, E., Keilschrifttexte aus Asswr relingiosen Inhalts, 1915

والمصدر الثالث الحفائر الانجليزية الامريكية فى موقع كيش والتى نشرت فى :

Langdon, S., Oxford Editions of Cuneiform Texts, Vol. V1, 1932.

ولقد ترجمت هذه الاسطورة ترجمات عديدة الى اللغات الاوربية ولايزال البحث فيها مستمرا ورغم أن تاريخ الواح الخليقة السبعة ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد ، الا أنه يستدل مما جاء فيها أن زمن تأليفها يرجع الى عهد أسرة بابل الاولى والى عهد حمورابى على وجه الخصوص ويتضح ذلك فى تمجيد الاله مردوخ معبود بابل وتعظيم شأنه ومن ثم تمجيد بابل و كان ذلك فى عهد حمورابى حينما أصبحت بابل عاصمة لامبراطوريته . وعندما غدت آشور فى الالف الاول قبل الميلاد القوة الكبرى استبدل الكتاب الاشوريون الاله مردوك بالههم أشور ،وادخلوا على القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد .

ويبدو أن استبدال مردوك بآشور كبطل للقصة لم يكن الاستبدال الاول والوحيد فيها ،اذ سبق النسخة التى تدور حول

مردوك نسخة آخرى بطلها المعبود انليل ،وهذا يمكــــن استنتاجه من دلائل عديدة فى الاسطورة نفسها ،أهمهـــا أن انليل ،وان لم يكن على الاقل الاله الثالث من حيث الاهميـة بين آلهه العراق القديم ،فانه لايقوم باى دور فـــى الاسطورة التى بين أيدينا ،بينما تقوم فيها الالهه الكبرى الاخرى ككل بأدوارها الخاصة بها ،ثم ان الدور الذى يقـوم به مردوك لايتفق وشخصيتـه (٣)

وبالنسبة لمحتويات الاسطورة فانها تكاد تكون فـى جزءين ، يعالج الجزء الاول منها أصل معالم الكون الرئيسية ويروى الثانى كيفية تأسيس نظام العالم الحالى ،و لكــن الموضوعية ليسا بالمنفصلين انفصالا تاما ،فالحوادث فـى قسم الاسطورة الثانى يشار اليها فى حوادث القســم الاول، وتتداخل أحيانا فيهما .

و تذكر الاسطورة انه فى البدء لم يكن هناك شـــىء يذكر سوى الماء العذب (ابسو) والماء المالح (تيامـه) وكانت مياههمـا مختلطة ،ولم يكن قد ولد اى من الالهــه ولا ذكرت اسماؤهم ،ومما جاءت ذلـك :

حينما فى العلى لم يكن للسماء اسم

وفى الدنى لم تكن الارض شيئا مذكورا

ولم يكن فى البدء غير ابسو وتيامه وكانت مياههما

مختلطـــة .

ولم يكن قد ولد أى من الالهه ولاذكرت اسماؤهم
عندئذ تكونت الالهه فيهم .

و تشير الاسطورة بعد ذلك الى انه تولدت من الاله ابسو والالهه تيامه أجيال متعاقبة من الالهه كان منها الاله " آنسو " الذى أصبح عزيما ونظيرا لاباثه الالهه العتيقة ثم بعد حين من الوقت آساءت الالهه الحديثة الى آبائهم ولاسيما امهم تيامه وأبيهم أبسو ،فآساء هذا العمل أبسو معرم على ابادتهم جميعا وارجاع نظام الكون الى سابق عهده وكاد ان يفتك بهم ،وفى اللحظة الحاسمة علم الاله " ايا " الذى كان متحليا بالمعرفة والحكمه والقوة ،بالخطه المبيته فلجأ الى سحره المقدس ،فألف تعزيمه قوية وقرآها على الماء (ابسو) فأحل فيه السبات فنبله وتقلد وابتنى فى جسمه (أى فى الماء) بيته فسكن فيه هو وزوجته ،وولد له ابن هو مردوخ الذى كان على أتم مايكون من كمال الخلق وكان خارق القدره فسر به أبوه وفضله على غيره و علا قدره عل من سواه من الالهه ،ونذكر فيما يلى ماجاء بالاسطورة حول مردوخ وصفاته :

" كان فاتن القوام وعيناه تشعان بالحياة ،
أجمل كانت مشيته مشيه العظماء
فلما رآه أبوه الاله ايا الذى ولده
انشرح صدره وتوردت وجنتاه وامتلأقلبه بالسرور

ولم لا ؛ فقد جاء كامل الاوصاف يوازى الهين في العقل
أجل ؛ لقد كان ممجدا بين الالهه وكان الاعظم بينهم
كان كامن الاعضاء والاطراف الى حد لايصدقه عقل
فلا أحد يفهمه ولاعقل يدركه "

و تذكر الاسطورة أن " تيامة " زوج " أبسو " عزمت على الانتقام من الالهه الحديثة لمقتل زوجها وأخذت تعد العدة لذلك فخلقت أنواعا كثيرة من الشياطين والافاعي وسلحتها بأسلحة فتاكة و أمرت عليها أحد الالهه القديمة وجعلته زوجها وزودته بالسحر وأودعت عنده الواح القدر وسيأت جمعها للبدء بحرب الالهه .

وعندما سمع الالهه بمخطط تيامه لشن الحرب فدهم أصابهم الزعر وراحوا يفتشون عن وسيلة تنقذهم من دمار محقق، وعمت الفوضى بينهم ،و أخيرا و بعد الاخذ والرد والبحث وقع اختيارهم على الاله مردوخ ليقود المعركة ضد تيامه وجيشها وفي ذلك تذكر الاسطورة :

" وأقاموا له عرشا فاخرا
فتصدر المجلس قباله آبائه الآلهة
وعندئذ بايعوه قائلين : أنت الاعظم إجلالا بين الآلهه
فقرارك لايواتيه شيء ،أمرك هو أمر السماء
و منذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابتة لاتتغير

فمن شئت ان ترفع او تخفض فأمره منوط بيديك

اجل ستكون كلمتك هى الصحيحة وسيكون قرارك معصوما

من الخطأ ،

ولن يتخط حدودك اى من الالهه

يامردوخ انت بالحق من يثأر لنا

ها نحن نبايعك على ملك الكون بأجمعه

وعندما تأخذ مكانك فى المجلس ستكون كلمتك هى العليا

وسوف لن تقهر اسلحتك بل انها ستحطم اعداءك

ياسيدنا أنقذ حياة من وضع ثقته فيك

وعسى ان تزهق حياة كل اله اقترف المعصية "،

وعندئذ قام القائد مردوخ من مجلسه وتناول قوسه وصولجانه ثم علق القوس والجعبة الى جنبه ،وتقدم وخلفه جنوده ،وقد حمى جسده بدرع هو " الرعب " ووضع على رأسه هاله هى " الرهبه " واطبق شفتيه على تعويذه سحرية وحمل بيده نباتا يقذف السم ،واستمر فى التقدم الى أن صار هو وجنده على مقربة من تيامه " ،فخاطبها بلجهة ساخرة أثارت غضبها وجعلتها تفقد رشدها ،وفى ذلك تذكر الاسطورة

" وعندما سمعت تيامه ذلك

صارت كالمجنونة ،لقد فقدت صوابها

واطلقت صرخة عالية من شدة الغضب

فارتجفت ساقاها من الاعماق

ثم راحت تقرأ رقية وتلقى بسحرهــا
في حين كان آلهة المعركة يشحذون اسلحتهم
ثم التقى الاثنان ،تيامه ومردوخ أحكم الالهــه
فشد كل منهما على الاخر في نزال فردى ثم التحما فــي
المعركـــــه
وعندئذ أطلق في وجهها الريح الشريرة التي كانت تتبعه
فلما فتحت تيامه فمها لتبتلعهــا
أدخل فيه الريح الشريرة لكى لاتستطيع ان تطبق شفتيها
وحالما هاجمت الريح الشريرة جوفهــا
انتفخ جسمها وانتفخ شدقاهـــــا
انذاك اطلق مردوخ سهمـا فرق جسمهـــا
اجل لقد قطع أحشاءها وشطر قلبهـــا
ولما تم له قهرها انقض عليها واخمد انفاسهــا "

ثم تذكر الاسطورة ان مردوخ قـم جسم تيامه الى شطريــن خلق منهما الارض والسماء ثم اسر من كان معها من الالهه وعلــى راسهم كبير قوادها كنكو بعد ذلك تم خلق الكواكب والاقمــار والمياه والاشجار والنباتات ،ثم قرر مردوخ خلق الانســـــان ليقوم بخدمة الالهه ويقدم لهم القرابين لكى تشعر هى بالراحة التامة ،فبارك الالهه الفكرة على ان يخلق الانسان من دم أحـد الالهه عندئذ جيء بالالــه كنكو قائد قوات تيامه فذبحــــوه ومزجوا دمه بالطين وخلقوا منه الانسان ،وبعد أن كمل خلـــق

الانسان أسست الالهه معبد مردوخ فى بابل واجتمعوا فيه بعد تمامه فى حفل مقدس حيث منحوا مردوخ أهم ألقابهم واسمائهم المقدسة ،فصار يجمع فى شخصه اكثر صفاتهم (٤)

ملحمة جلجامش

اشتهر اسم جلجامش فى آداب العراق القديم وصار موضوعا لعدة ملاحم وقصص سومرية وبابلية ،وهى تدور حول وصف أعماله والمغامرات التى قام بها وبطولاته التى تقترن به ،ومن أشهر القصص والملاحم التى حيكت حول اسم جلجامش وأعماله الملحمة المشهورة بقصة جلجامش ،وهى تتناول موضوعا انسانيا محضا وتتعامل مع أشياء دينوية مثل الانسان والطبيعة ،والحب والمغامرة ،والالوهية والصداقة ، والصراع لتكون منها جميعا فصولا تمهيدية لموضوع الملحمة الرئيسى وهو حقيقة الموت المطلقة .

وقد ورد اسم جلجامش فى ثبت ملوك الوركاء وذلك فى عهد أسرة الوركاء الاولى وذلك حوالى عام ٢٦٥٠ ق.م.

وعثر على ملحمة جلجامش ضمن المؤلفات المحفوظة فى مكتبة آشور بانيبال فى نينوى ،كما عثر فى مدن أخرى على بعض الالواح الطينية التى تكون أجزاء منها ،ويرجح أن أول تدوين للملحمة البابلية كان فى العصر البابلى القديم

في حدود ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق٠م ،وأنها صارت بشكلها النهائي المعروف حاليا في الفترة من ١٥٠٠ – ١٢٥٠ ق٠م٠

ولقد امكن تجميع ملحمة جلجامش وأرض الاحياء من أربعة عشر لوح وقطعه ،كشف منها أحد عشر لوح في نيبور و لوح في كيس واللوحان الاخران لايعرف المكان الذي جاء منه ولقد قام صموئيل فوج كريمر بترجمة النصوص الخاصة بهذه الملحمة ونشرها عام ١٩٤٧ وذلك في دوريه :

Journal of Cuneiform stadies, val, I (1947) PP.. 3 - 46 .

كما نشرها كذلك في :

Ancient Neat Eastern Texts, P.P 47.

ويتضح من دراسة هذه الملحمة أنها اقرب ماتكون الى الجمع الازلي المؤلف من عدة قطع مختلفة ،ولكنها جمعت جمعا أدبيا فنيا لتكون وحدة على هيئة ملحمة ،ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أجزاء رئيسية يتصل الجزء الاول باعمال جلجامش ومغامراته والجزء الثاني قصة الطوفان اما الجزء الثالث المسجل على اللوح الثاني عشر فهو يتصل بوصف العالم الاسفل او عالم الارواح كما رآه انكيدو صديق جلجامش (٥)

يبدأ اللوح الاول من الملحمة بذكر مآثر جلجامش ومنجزاته العمرانية في مدينة الوركاء ،وكيف انه بنى أسوارها ومعبدها المقدس " اي – انا " ،وتصف الملحمة

جلجامش بأنه كان على أتم مايكون من الصوره والخلق وكان قوى الجسم هائل الخلقه ثلثاه اله وثلثه الباقى انسان.

ولقد اخذ جلجامش أهل الوركاء بالعنف والاضطهاد فلم " يترك ولدا لابيه " ،" ولم يترك الزوجه لحبيبها" فاستغاث أهل الوركاء بالالهه لتخلق منافسا له يشغله ،فيجد الشعب شيئا من الراحه " نظيرا له فى البأس وقوة القلب وعندئذ يكون الاثنان فى صراع مستديم لتهنأ المدينة بالسلام والاطمئنان " .

واستجابت الالهه لدعوات أهل الوركاء فخلقت انكيدو القوى وكان مارد الجسم كثا الشعر يعيش فى البرارى يأكل العشب ويعيش مع الظباء وحمر الوحش ،وفى أحد الايام رآه أحد الرعاه فأخبر والده بخبره فقام بدوره باعلام جلجامش به فأشار على الراعى بحيلة مؤداها أن يذهب اليه ببغى و عندما يأتى هذا الوحش لورد الماء تغويه وتعمل على ترويضه ومن ثم تستدرجه الى الوركاء .

ونفذ الراعى الخطه وأخذ البغى وراحا ينتظرن مجىء أنكيدو عند مورد الماء ،وعند مجيئة مع الظباء كشفت له الفتاه من مفاتن جسمها فتعلق انكيدو بها واغراه جمالها وبقى معها " ست أيام وسبع ليالى " وتغير حاله من بعد ذلك وذهبت وحشيته .ونفرت عنه الظباء والوحوش التى كانت تألفه

ولم يستطع أن يجرى معها ويجاريها بالركض ،فرجع الى البغى وارتمى عند قدميها،فلما رأته قد استسلم للامر الواقع عرضت عليه الذهاب معها الى مدينة الوركاء حيث يعيش البطل القوى جلجامش ،فقبل انكيدو واعلن تلهفه لروية جلجامش ومنازلته .

وعندما وصل انكيدو بصحبه الفتاة الى الوركاء تملكه العجب مما راى فيها من مظاهر الحياة الجديدة التى لم يألفها فى البرارى مع الحيوانات ،وكان عليه ان يتعلم كيف يأكل ويشرب ويدهن جسده بالزيت ويتعطر بالطيب ويرتدى ملابس نظيفة ،وعندما سار انكيدو فى أسواق الوركاء أعجب الناس به وتردى الملحمة فى ذلك :

" سار انكيدو الى الامام وخلفه البغى
ولما دخل الوركاء ذات الاسواق الواسعه
تجمع الناس حولــــه
حين وقف فى شارع الوركاء ،فى موضع السوق
تجمهر الناس حوله وقالوا عنــه :
انه مثيل لجلجامش فى الهيئــة
ولكنه أقصر قامة وأقوى عظمــا
انه أقوى من فى البرية وذو بأس شديــد
لقد رضع لبن حيوان البر فى الباديــة
وفى الوركاء [illegible] السلاح

فرح الابطال وهللوا قائلين

لقد ظهر بطل ند وكفو للبطل الجميل

اجل ظهر لجلجامش الشبيه نظيره ومثيله .

وفى المساء ،وبينما كان جلجامش يهم بدخول بيت مشتار اعترضه انكيدو وضعه ،عندئذ اشتبك البطلان فى سوق المدينة وبمرأى من الناس ،واستمرا فى صراع عنيف اهتزت له الجدرات وتحطمت لعنفه الابواب ،وبعد جهد تمكن جلجامش من انكيدو وطرحه على الارض ، وعندها هدأ جلجامش وذهبت سورة غضبه ،وأقر انكيدو بتفوق غريمه ،وأعجب البطلان كل منهما بالآخر فصارا صديقين حميمين .

وبعد نقص فى الملحمة نجد جلجامش يعزم على القيام بسفر طويل يذهب به مع صديقه الى غابات الأرز فى سورية ليحصلا على الشهرة والمجد ،وتروى الاسطورة فى ذلك على لسان جلجامش موجها حديثه الى صديقه انكيدو.

" انكيدو ، القرميد والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المحتومة ، بودى دخول البلاد ، بودى رفع اسمى ،
فى مكانه حيث الأسماء مرفوعه ، بودى رفع اسمى ،
فى مكانه حيث الأسماء غير مرفوعه ،بودى رفع اسم الآلهة .

وتنتقل الملحمة بعد ذلك إلى الاستعدادات التى اتخذها جلجامش ومنها التسلح بأسلحة ضخمة حملاها معهم الى غابات

الأرز ، إلا أنه كان لابد من الحصول على موافقة مجلس الشيوخ في المدينة وكذلك مباركة الآلهة لهم ،وبعد أن تمت لهم رحلتهم بعد مشاق وعناء عادوا الى مدينتهم ،واثناء الاحتفال بعودتهم رأت عشتار جلجامش وهو في حلته الزاهيه وسلاحه المصقول فاعجبت به وعرضت عليه الزواج منها ، ولكنه أعرض عنها وأهانها بعبارات ذكرها فيها بما جلبه حبها من الدمار والهلاك على عشاقها السابقين ومما قاله لها.

" انت قصر يتحطم فيه الأبطال
انت قار يلوث حامله
وقربة تبلل من يحملها
فأمي من عشاقك من أبقيت على حبه
تعال أفش لك قصة عشاقك

فمن أجل " دموزى " زوج صباك قد أمرت بالبكاء والنوح كـل عام وقد أحببت طير " الشقراق "(٦) الرقش فلطمته وكسرت جناحه واذا هو يندب فى البساتين والاحراش : جناحى!جناحى! "

وحينئذ غضبت عشتار فصعدت الى السماء حيث آنو وطلبت منه أن يخلق لها ثورا مقدسا تقضى به على جلجامش ، الا أن جلجامش وانكيدو تمكنا من القضاء عليه .

حتى هذا الجزء من الملحمة لم يعن الموت شيئا عند جلجاش ،فهو قد قبل مقاييس البطولة المعهوده ،ومقاييس حضانته المعهودة ،وهى أن الموت لابد منه ،ومن العبث التخوف منه ،فهو لم يكن يعرف الموت عندئذ الا كأمر مجرد ، ولم يكن لامسه الموت مباشرة بحقيقته الرهيبه ،الى ان يمرض انكيدو فجأه ويموت ،وحينئذ يدرك جلجامش ما لم يدركه من قبل ، فبكاه بكاء مرا ورثاه بعبارات تفيض آلما وحسرة :

" اسمعونى أيها الشيوخ واصغوا إلى
من آجل انكيدو خل وصاحبى أبكى
وانوح نواح الثكلى
انه الفأس التى فى جنبى وقوة ساعدى
والخنجر الذى فى حزامى والمجن الذى يدرأ عنى
وفرحتى وبهجتى وكسوة عيـــرى
ولقد ظهر شيطان وسرقه منـــى

ياخلي ياأخي الأصغر الذى اقتنص حمار الوحش في التلال
والثور في الصحارى
انكيدو ياصاحبي ، وأخي الصغير
الذى اقتنص حمار الوحش في التلال والنمر في الصحارى
فأي سنة من النوم هذه التى غلبتك وتمكنت منك
طوال ظلام الليل فلا تسمعني " .
لم يرفع (جلجامش) عينيه عنه
جس قلبه ، فلم ينبض
ثم كسا صديقه كأنه عروس الزفاف
وزأر صوته ـ كأسد ..... ،
كاللبوة أبعدت عن أشبالها ،
وراح المرة تلو المرة يتأمل رفيقه ،
وهو يشد شعره ويبعثره نتفا ،
ويشق ثوبه الفاخر ويمزقه إربا إربا .

لقد كانت خسارته في صديقه فادحه ، وكانت أفجع من أن يتحملها ، فكان رافضا من داخله أن يعترف بها كأمر واقع ،وتعبر الملحمة عن هذا الرفض على لسان جلجلش :

ذاك الذى شاطر فى كل خطر
حتف الانسان المحتوم قد أحاق به
بكيته طيلة النهار وطيلة الليل بكيته

ورفضت الاذن بدفنه

فلعل رفيقى أن ينهض لصراخى ،

سبعة أيام وسبع ليال

الى أن سقطت من أنفه دوده

لا عزاء لى منذ أن راح ،

ورحت ، انا كالصياد أطوف البرارى "

لقد صار شبح الموت يلاحق جلجامش ويقرعه عندما أدرك أن الموت سيقهره أجلا أم عاجلا مثلما قهر صديقه انكيدو ، وهنا صار يفكر بوسيلة للتخلص من الموت ونيل الحياة الخالدة ، وهنا تذكر قصة جده " أوتور نبشتم " رجل الطوفان الذى يعيش فى بقعة نائيه فى البحار البعيدة والذى كان قد حصل على الحياة الخالدة ، فعزم جلجامش على شد الرحال إليه مهما كلفه الأمر ليسأله عن سر الحياة الخالدة .

وبعد سفر طويل شاق وصل الى جبال أطلقت عليها الملحمة " ماشو " يرجح أن تكون جبال لبنان ،وتصفها الملحمة بأنها الجبال التىتمر من مدخلها الشمس فى سيرها اليومى ،ويحرس ذلك المدخل مخلوقات غريبة مركبة من انسان وعقرب ، وبعد أن تمكن جلجلش من عبور هذا المدخل سار مسافات طويلة فى ظلام دامس الى أن وصل الى بستان تحمل

أشجارها الجواهر والدر المتألق ، وبعد البستان يصل إلى ساحل البحر حيث يجد " حانه مقدسة " تقيم فيها احدى الالهات ،ويدخل جلجاش الحانة ،ويقص قصته على صاحبتها ويطلب منها أن ترشده الى الطريق الموصل الى " أتوربنشتم" وهنا تقول له :

"الى أين أنت تسعى ياجلجامش ؟
إن الحياة التى تبحث عنها ،لن تجدها أبدا
لأن الآلهة ،عندما خلقت الانسان ،جعلت
الموت نصيبه ،وأمسكت
بأيديها عنه الحياة .
جلجامش ، املأ بطنك -
أمرح ليلك ونهارك
واملأ أيامك بالمتعه
وارقص واعزف الألحان ليلا ونهارا
والبس القشيب من الثياب ،
وأغسل رأسك واستحم ،
وانظر إلى الطفل الممسك بيدك
ودع زوجتك تتمتع بعناقك
هذا وحده ما يبتغيه البشر "

ولكن جلجامش لا يستطيع أن يتعرف من بحثه ويستسلم لما هو مصيب الناس كلهم ، إنه ليتحرق شوقا الى الحياة الباقية ،فألحق في سؤال صاحبه الحانه عن مكان"أوتورنبشتم" فلم تجد بدا من أن تدله على ملاح " أوتورنبشتم" الذى صحبه الى الساحل الذى يعيش فيه "أوتورنبشتم " .

أوعند وصول جلجامش قص على اوتونبشتم ماحل به والغرض الذى جاء من أجله وهو معرفة سر حصوله على الخلود،فأجابه :

" قال اوتو- نبشتم لجلجامش ... هل بنينا بيتا يقوم الى الأبد ؟ وهل ختمنا عهدا يقوم الى الأبد؟ وهل تبقي البغضاء في الأرض أبد الأبديين ؟ .. لم يكن خلود منذ القدم ، ويالما اعظم الشبه بين النائم والميت ! ألا تظهر على وجهها هيئة الموت ؟ وهكذا العبد والسيد لما ينتهى أجلهما " .

فسأل جلجامش أوتو نبشتم الخالد كيف صار اذا خالدا وهو مثله بشر بل يبدو أضعف منه ، وهنا يبدأ أوتورنبشتم يقص عليه قصة الطوفان الذى حصل من بعده على الحياة الخالده ،وأخبره كيف أنه استطاع انقاذ نسل البشرية من الفناء بسفينته رست بعد انتهاء الطوفان على قمة جبل ، وأنه خرج بعد ذلك من السفينة وقدم القرابين ،فتجمعت الآلهة

من حوله وقررت أن تكافئه وزوجته بالخلود فصار فى مصاف الآلهة .

ثم تساءل اوتورنبشتم وقال مخاطبا جلجلش :"أما انت ياجلجامش فمنذ الذى سيجمع الآلهة من أجلك حتى تجد الحياة التى تبغى ؟ "ومن جهة أخرى آراء أن يفهم جلجامش انه يسعى وراء شىء مستحيل ،لذلك فإنه اختبره بشىء ليس بمقدور أى انسان أن يفعله وهو عدم النوم ستة أيام وسبع ليال ، وقبل جلجامش الاختبار املا فى الحصول على الخلود، ولكنه سرعان ما غط فى نوم عميق ،وهكذا فشل فى اجتياز الاختبار وعند ئذ أمر اونورنبشتم ملاحه أن يرجع جلجامش الى مدينة الوركاء فلا جدوى فى بقائه بعد ذلك .

ويهىء جلجامش نفسه للعودة يائسا كئيبا ،وفى تلك اللحظة تحث زوجة اوتورنبشتم زوجها على إعطائه هدية وتشفعت له ،وحينئذ رق لحاله وكلمه قائلا :

" سأسر لك ياجلجامش بأمر خفى وسأطلعك على سر من أسرار الآلهة : يوجد نبات شوكه مثل شوك الورد يخز يديك وهو ينبت فى أعماق البحر ،فان ظفرت بهذا النبات حصلت على تجديد الشباب والحياة " . فربط جلجلش برجله حجارة ثقيلة وغاص فى أعماق البحر ووجد ذلك النبات العجيب وعزم على آخذه الى مدينته لينميه ويستفيد منه الناس .

وفى طريقه الى الوركاء شاهد بركة ماء بارد وكـان .. اليوم قائظ وقد بلغ به التعب من السفر أقصاه ،فخلع عنه ثيابه ونزل فيها ليستحم ويزيل عن نفسه وعناء السفر، وترك على حافة البركه النبته التي أحضرها معه ، وفيما هى ملقاة هناك ،تشم رائحتها احدى الافاعى ، فتخرج من جحرها وتختطفها ،وحصلت بواسطتها على قدرة تجديد الشباب ، اذ كلما أدركها الهرم نزعت عنها جلدها فتجدد شبابها وتولد فتيه من جديد ، أما الانسان فتستحيل عليه هذه العودة الى الشباب لأن نبته جلجامش ضاعت عليه ،ويمتلىء قلب جلجامش مرارة ،ويتأمل فى هذه النهاية لبحثه الطويل :

وعندها قعد جلجامش أرضا وبكى

وجرت الدموع على خديه

....

" لمن أجهدت عضلاتى ،يا أورشنابى ؟

لمن سكبت الدم من قلبى ؟

لم آت لنفسى ببركة واحدة

ولم أحسن الصنيع الا لأفعى الثرى "

وهكذا تعكس هذه الملحمة فكرة الانسان العراقى القديم من الخلود ،وأنه كان مقدرا للآلهة فقط ،أما الانسان فانه

لم يكن من حقه الحصول عليه .

قصة الطوفان :

كشفت الأدلة النصية التي عثر عليها في العراق القديم من ثلاث روايات رئيسية تتصل بحادثة الطوفان ،وسنذكر فيما يلي قصة الطوفان كما وردت في النصوص السومرية ،ثم نتبعها بقصص الطوفان البابلية وسنختار منها القصة التي وردت في ملحمة جلجامش لاتصالها بالموضوع الذي سبق وأن أشرنا اليه وهو ملحمة جلجامش .

أولا : قصة الطوفان السومرية :

كشفت بعثة الآثار الأمريكية في الفترة ما بين عامي ١٩٨٩م و ١٩٠٠م عن اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان وذلك في مدينة نفر (ينبور) ،ثم قام " ارنوبوبل " Arno Poebel بنشرها عام ١٩١٤م .

وللأسف فإن ما تبقى على هذا اللوح لايتعدى ثلثه الأخير وقد فقدت المقدمة والنهاية الخاصة به ،ويقدر عدد الاسطر التي يتكون منها النص في جملته بحوالي ثلاثمائة سطر ، لم يعثر الا على حوالي المائة منها . وسنحاول فيما يلي القاء بعض الضوء عليها .

بعد ٣٧ سطر مفقود نلتقي بمعبود يذكر أنه سوف ينقذ

البشر من الهلاك وأن الانسان سوف يبني المدن والمعابد،
وبعد عدة أسطر غامضة تتحدث القصة عن خلق الانسان
والحيوان ، ويلي ذلك ما يقرب من ٣٧ سطر مفقود ثم تشير
الى القصة الى هبوط الملكية من السماء وتأسيس خمس مدن ،
وبعد عدة أسطر أخرى ضائعة تتحدث القصة عن عدم رضى
بعض الآلهة عن القرار الذى اتخذ بالفيضان ،ثم تشير القصة
الى " زيوسدرا " الذى يوصف بالتقوى ومخافة الآلهة ، وأنه
اثناء اقامته بجوار حائط المعبد استمع الى صوت معبوده
أنك الذى أخبره بالقرار الذى اتخذه مجمع الآلهة بارسال
الطوفان لاهلاك بذرة الجنس البشري .

ويلي ذلك فجوة كبيرة ربما كانت تتعلق بالتعليمات
الصادرة الى زيوسدرا ببناء سفينة كبيرة ،والجزء الذى
يلي الفجوة يصف موضوع الطوفان وما حدث اثناءه الى أن
انتهى بعد سبعة أيام ،ثم توجد فجوة أخرى يليها وصف
لكيفية نفث الاله لروح الخلود في زيو سدرا واستقراره في
أرض دلمون حيث تشرق الشمس .

ويمكن ترجمة ما تبقى من قصة الطوفان السومرية
على النحو الآتي (٧).

بعد الاسطر المهشمة في بداية النص والتى تقدر بحوالى

٣٧ سطرا تذكر القصة :

" ... إن البشر عبادى ،وعن الهلاك المحيق بهم سأعمل ...الى نينتو ... سأعيد مخلوقاتى سأعيد القوم الى مواطنهم، أما المدن ،فحقا سوف يبنون فيها لانفسهم أماكن للشـــرائع الالهيه ، وسأجعل ظلالها فى سلام ،وأما عن بيوتنا فحقــــا سوف يضعون قوالب بناشها فى أماكن طاهرة ، وهو (أى الاله) قد وجه ... الخاص بالحرم ،واكمل الشعائر ،والشرائع الالهيـه المبجلة ،وعلى الأرض ....وقد وضع ... هناك ،وبعد أن خلــق اوتو وانليل وانكى ونتحرساج البشر " ذوى الرؤوس السود " وازدهر الزرع فى الأرض ،وأخرجت الحيوانات ومخلوقات السهول ذوات الأربع الى الوجود بحكمة ... .

(فجوة تقدر بـ ٣٧ سطر) .. وبعد أن أنزلت الملكية السماء ،وبعد ان أنزل " تيارا " المعظم ،عرش الملك مـــن السماء ... أكمل الشعائر والشرائع الالهية المبجلة ، وأسس المدن الخمس فى .... مواضع مقدسة ،وسماها باسمائها وجعلها مراكز للعباده ،وكانت أولى هذه المدن " أريدو " فأعطاها الى " نوديمو" القائد والثانية " بادتبيرا " وأعطاها الى..، وكانت الثالثه " لاراك " وأعطاها الى اندو بيلحورشـــاج، وأعطى الرابعة " سيبار" للبطل " اوتو" وأما الخامســـة و " شورباك " وقد أعطاها الى " سود " وحين سمى هذه المدن

وجعلها مراكز للعبادة ،فانه أحضر ... ثم قرر تطهير الأنهار العميرة .....

(فجوة تقدر ب ٣٧ سطر) ... الطوفان ... هكـــذا

حل ب ... ثم بكت سيتو مثل .... وناحت " آنانا "المقدســة من أجل اناسنها ، ثم قام زيو سدرا ، الملك ، الكاهن،وبنـى ....ضخما ،مطيعا متواضعا فى احترام ... حاضرا كل يــوم دائما .... محضرا كل أنواع الاحترام ... ناطقا اسمى السماء والأرض ... الآلهة حائط ... وكان زيو سدرا واقفا الى جانبه وقد سمع ....قد عند الحائط الى جانبى الأيسر ، وعنــد الحائط سوف ألقى اليك كلمته ... أصغ الى تعليمــاته بقضائنا .... طوفانا سوف يكتسح مراكز العبادة ،ويقضـى على بذرة البشر ،ذلك قرار ، انها كلمة مجلس الآلهة،بناء على الكلمة التى أمر بها " آنو " و " انليل " ... وسوف ينتهى ملكها وحكمها (فجوة تقدر بأربعين سطر ... وهبت جميــع الزوابع بعنف وضراوة كقوة واحدة ، وبعد ذلك ولمدة سبعـة أيام وسبع ليال ، اكتسح الطوفان الأرض فيها ،وتقاذفــت الأعاصير السفينة الضخمة فوق المياه الضخمة وظهر " أوتو" الذى يضىء السماء والأرض ،وفتح زيو سدرا كوة فى الفلــك العظيم ؛ وأنفذ البطل " اوتون اشعته فى الفلك العظيــم، وسجد زيو سدرا الملك أمام " اوتون العظيم ،وفى نفس الوقت

اكتسح الطوفان مراكز العبادة ،وضحى الملك بثور وشاه (فجوة تقدر ب ٣٩ سطر) تنطق آنت " نسمة السماء"و"نسمة الأرض" حقا وتبسط نفسها عنه ٠٠٠٠ ونادى آنو وانليل نسمة السماء ونسمة الأرض ب ٠٠٠ فبسطت نفسها ٠٠٠٠وازدهــر الزرع الذى ينبت من الأرض ،وسجد زيو سدرا أمام آنو وانليل ورضى آنو دانليل عن زيوسدرا ، الملك ، الذى حافظ على اسم الزرع وبذرة البشر ،وفى أرض دلمون ،أرض العبور ، حيث تشرق الشمس أسكناه هناك ٠٠٠٠" ٠ ثم تلى ذلك فجوة تنتهى بنهاية اللوح ٠

يلاحظ من دراسة قصة الطوفان السومرية أنها تتضمن عدة وقائع هامة تتصل بخلق الانسان والنبات والحيــوان وبأصل الملكية السماوى ،والمدن الخمس التى وجدت قبــل الطوفان ،ثم حادثة الطوفان ، التى كانت بلا شك من الأحداث العظيمة التى واجهت الانسان العراقى فى جنوب العراق وذلــك رغم تعدد الفيضانات فى هذا الجزء ،ولكن يبدو أن هــذا الفيضان الذى تحدثت عنه القصة كان من الضخامة والآثــار المدمرة وما صاحبه من عواصف وأمطار بشكل لم يسبق له مثيل ويتجه سير ليونارد وولى Leonard woolley (٨) الى اعتبار هذا الطوفان طوفانا كبيرا لا مثيل له فــى أى عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ويذكر أنه وجد فــى

أسفل طبقة المباني السومرية طبقة طينية ملسية وان مصنوعة من الفخار الملون ،ومختلط بها أدوات مصنوعة من الصبوان والزجاج البركاني ،وكان سمك هذه الطبقة حوالي ١٦ قدمـا أسفل المباني الطينية التي يمكن تاريخها بحوالي ٢٧٠٠ ق ٠م ،وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان ،ولم تجر حفائر في هذه المنطقة على نطاق واسع ،وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى ، ويستنتج دولى ان سبب اختفائه مرة واحدة راجع الى أن الطوفان قد قضى قضاء تاما على سكان هذه البلاد ، وحتى من بقى منهم حيا فقد فقد القدرة على الانتاج ،فجاء شعب جديد هم السومريون الذين أسسوا حضارة جديدة واستعملوا عجلة الفخار والأدوات المعدنيـة (٩) ٠

هذا ويرى وولى أن هذا الطوفان كان مقصورا على الحوض الأسفل لنهرى الدجلة والفرات ،وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكن هناك بين الجبال والصحراء ، وأن المساحة التي شملها الطوفان ربما كانت ٤٠٠ ميل طولا في ١٠٠ ميل عرضـا ٠

ثانيا : قصص الطوفان البابلية :

توجد لدينا قصتان بابليتان للطوفان الأولى ما وردت في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش أما الأخرى فتعرف باسم قصة بيروسوس ،وسنتناول فيما يلي القصة التي وردت في ثنايا ملحمة جلجامش والتي كان بطلها " أوتو - بنشتم " [١٠] إبن "وبار - توتو " .

" ... قال اوتو - بنشتم لجلجامش ،سأكشف لك ياجلجامش مما خفي من الأمر ، سوف أخبرك بسر الآلهة ،شورباك مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، وهي مدينة قديمة قدم الآلهة التي بها ، عندما انتوت الآلهة احداث الطوفان ،كان من بينهم " آنو " أبوهم و " انليل " الشجاع مستشارهم و " نينورتا " ساعدهم و " إينوجي " المشرف على الترع ، وكان حاضرا معهم " نينجيكو - أيا " ، واعاد قولهم الى كوخ القصب (ربما كان سكن اوتو - بنشتم) : ياكوخ القصب ،ياحائط ،يا حائط ، اسمع ياكوخ القصب ، استمع ياحائط ،يارجل شورباك ،يا ابن "بار - توتو " .

اهدم هذا البيت ،وابن فلكا ،دع الأملاك وانقذ حياتك واهجر المتاع ودع الروح حية ، واحمل على ظهر الفلك بذرة كل شيء حي ،والفلك التي ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ،واجعل سقفها كسقف الايسو

(العالم السفلى) . ففهمت وقلت لمولاى " ايان نعم يامولاى، ان ما تأمر به يشرفنى أن أنفذه ، لكن بم أجيب المدينة الناس والشيوخ .

ففتح " إيا" فاه وأجاب قائلا لخادمة ،لى أنا ،قل لهم علمت أن انليل يعادينى ،ومن ثم فلا استطيع أن أقيم فـــى مدينتكم أو أضع قدمى فى أملاك انليل ،ولذا فسوف أنزل الى الأعماق ، واسكن مع مولاى " إيان ،وأما أنتم فسوف ينــــزل عليكم مطرا مدرارا ... خير الطيور وأنذر الاسماك ، وســوف تمتلىء الأرض بمحاصيـل وفيرة ،ومع انبثاق الفجر تجمعــــت الأرض من حوالى ...(توجد فجوه) وحمل الصغار القار وجـاء الراشدون بكل ما احتجنا اليه .

وفى اليوم الخامس أقمت هيكل السفينة ،وكانت أرضيتها فدانا كاملا ،وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعـــا ، وبنيت هيكل جوانبها وربطها الى بعضها ،وجعلت فيه ستــــه أسطح ،قسمتها الى سبعة طوابق ،وقسمت أرضيتها تسعة أجـــزاء ودققت سدادات المياه بها ،وجهزتها بما تحتاج اليه مــــن المؤن ،وصببت فى الفرن ست سار (السار = ٨٠٠ جالـــون) من القار ،كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت ،و كـــذا ثلاثة سار من الزيت نقله حاملوا السلال ،كما خزن المـــلاح سارين من الزيت ،وذبحت ثيرانا للناس ،و نحرت ماشيه كـ ـل

يوم ،واعطيت العمال عصير فواكه ،ونبيذا أحمر وآخر أبيض وكأنه مياه النهر ،ليشربوا وكأنهم في يوم عيد راس السنة وفتحت ....، الدهون ،لوضعها على يدي .

واكتمل الفلك في اليوم السابع ،وكان انزاله الى الماء بالغ المشقة ،حتى أنهم اضطروا لدفع ألواح أرضية من أعلى و من أسفل ،حتى أمكن انزال ثلثي هيكله الى الماء ،وحملتها بكل ماعندي ،حملتها بكل مالدي من الفضة حملتها بكل مالدي من الذهب ،حملتها بكل ما أملك من الكائنات الحية و كل عائلتي وذوى قرباى ،أركبتهم الفلك وكذا حيوان الحقول ووحوش البرية ،و كل الصناع أركبتهم معى .

وقد حدد لي " شمس " وقتا معينا ،عندما ينزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، اصعد الى الفلك وأوصد بابه وجاء اليوم الموعود ،وانزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ،وأخذت أرقب وجه السماء ،وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب فصعدت الى الفلك وأوصدت بابه ،وعهدت الى الشوتى " بوزور ـ آمورى " بقيادة الفلك وبسد جميع منافذه .

ومع انبثاق الفجر ،ظهرت في السماء غمامة سوداء،وأرعد

" أداد " من داخلها ،وتقدمها " شولات " و " هانيش "
كنزيرين فوق التل والسهل ،ونزع " ايرجال " (نرجال اله
العالم السفلي) الاعمدة ،وجاءت " نينورتا " وجعلت السدود
تفيض ،وحمل " الانوناكي " المشاعل وجعلوا الارض تشتعل
نارًا ،ووصل اندهر من " أداد " الى عنان السماء ،فأحال
النور الى ظلمة ،وانصرعت الارض الواسعة ،وكأنها جرة ،
وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتى أخفت
الجبال ،وحلت بالناس وكأنها حرب ،فلا يرى الاخ أخاه
ولم يعد الناس يعرفون من في السماء ،وخشي الالهة
الطوفان فأجفلوا وصعدوا الى سماء " انو " حيث ربضوا
كالكلاب على الاسوار الخارجية ،وصرخت عشتار وكأنها امرأة
في المخاض ،وناحت سيرة الالهة ذات الصوت الشجر بصوت
عال : واحسرتاه ! لقد تحولت الايام الخوالي الى طمي
لأني لعنت الناس في مجمع الالهه ،ولكن : كيف ألعن الناس
في مجمع الالهه ،وأعلن حربا لفناء الناس ،بينما أنا
التي وهبتهم الحياه . انهم يملأون البحر كبيض السمك
وبكى آلهة " الانوناكي " معها و جلس الالهه جميعا يبكون
في ذله ،وقد التصقت شفاههم بعضها ببعض ،واستمرت ريح
الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ،وعاصفة الجنوب تكتسح
الارض .

يوم ،واعطيت العمال عصير فواكه ،ونبيذا أحمر وآخر أبيض وكأنه مياه النهر ،ليشربوا وكأنهم فى يوم عيد راس السنة وفتحت ... الدهون ،لوضعها على يدى .

واكتمل الفلك فى اليوم السابع ،وكان انزاله الى الماء بالغ المشقة ،حتى أنهم اضطروا لدفع ألواح أرضية من أعلى و من أسفل ،حتى أمكن انزال ثلثى هيكله الى الماء ،وحملتها بكل ماعندى ،حملتها بكل مالدى من الفضة حملتها بكل مالدى من الذهب ،حملتها بكل ما أملك من الكائنات الحية و كل عائلتى وذوى قرباى ،أركبتهم الفلك وكذا حيوان الحقول ووحوش البرية ،و كل الصناع أركبتهم معى .

ولقد حدد لى " شمس " وقتا معينا ،عندما ينزل الموكل بالزوابع سيلا مطرا مهلكا ،اصعد الى الفلك وأوصد بابه وجاء اليوم الموعود ،وانزل الموكل بالزوابع سيلا مطرا مهلكا ،وأخذت أرقب وجه السماء ،وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب فصعدت الى الفلك وأوصدت بابه ،وعهدت الى الشوتى " بوزور ـ آمورى " بقيادة الفلك وبسد جميع منافذه .

ومع انبثاق الفجر ،ظهرت فى السماء غمامة سوداء،وأرعد

" أداد " من داخلها ،وتقدمها " شولات " و " هانيش " كنزيرين فوق التل والسهل ،ونزع " ايرجال " (نرجال اله العالم السفلي) الاعمدة ،وجاءت " نينورتا " وجعلت السدود تفيض ،وحمل " الانوناكي " المشاعل وجعلوا الارض تشتعل نارا ،ووصل الذعر من " أداد " الى عنان السماء ،فأحال النور الى ظلمة ،وانصرعت الارض الواسعة ،وكأنها جرة، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتى أخفت الجبال ،وحلت بالناس وكأنها حرب ،فلا يرى الاخ أخاه ولم يعد الناس يعرفون من في السماء ،وخشي الالهة الطوفان فأجفلوا وصعدوا الى سماء " انو " حيث ربضوا كالكلاب على الاسوار الخارجية ،وصرخت عشتار وكأنها امرأة في المخاض ،وناحت سيدة الالهة ذات الصوت الشجي بصوت عال : واحسرتاه ! لقد تحولت الايام الخوالي الى حمى لأني لعنت الناس في مجمع الالهه ،ولكن : كيف ألعن الناس في مجمع الالهه ،وأعلن حربا لفناء الناس ،بينما أنا التي وهبتهم الحياه ، انهم يملؤون البحر كبيض السمك وبكى آلهة " الانوناكي " معها و جلس الالهه جميعا يبكون في ذله ،وقد التصقت شفاههم بعضها ببعض ،واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ،وعاصفة الجنوب تكتسح الارض .

لست أنا الذى افشيت سر الالهه العظام ،بل جعلت حكيم الحكماء اوتو - بنشتم يرى حلما كشف فيه سر الالهه،فأقص فيه ما أنت قاص،وحينئذ صعد انليل على ظهر السفينـــة وأمسك بيدى و اخذنى الى ظهرها و أخذ زوجتى وجعلها تركع بجانبى ووقف بيننا ليباركنا وقال : لم يعد اوتو بنشتم بشرا ،سيكون هو وزوجته أشبه بنا معشر الالهه ،وعلى ذلك اخذونى واسكنونى بعيدا عند مصب الانهار ،ولكن أنــت ياجلجامش من يجمع لك مجمع الالهه ليبهوا لك الحياة التى تريــد ؟ .."

(٣) أدب الحكمـــة

يتضمن أدب الحكمة تآليف متنوعه تهدف الى الحكمـه والموعظة وتتطرق احيانا الى قضايا فكرية وفلسفيـــة تتعلق بالانسان وماتقدر له الالهه من ثواب او عقاب ومـن اسباب نجاح او الفشل نظم على شكل قصيدة ،وربما كــان الهدف منه التشكيك فى القيم الاجتماعية والدينية آنـذاك (حوالى ١٠٠٠ ق.م) كما انها من ناحية أخرى لاتخلو من مغزى فلسفى مضاده أن الخير و الشر مفهومان نسبيان ،فليس هناك خير مطلق أو شر مطلق ،فقد يبدو امرا ماخيرا لاول وهلـه لكنه يحمل فى باطنه كل بذور الشر ،و فيما يلى الى بعض مما جاء فى هذا الحوار حتى نتعرف على الاسلوب الـذى

كتب به والقيم الموجودة فيه والاسلوب الساخر الذى صيغ به :

السيد : اسمعنى ايها العبد
العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك
السيد : هيء عربتي احضرها من اجل أن أذهب الى القصر
العبد : افعل ياسيدى ، افعل . انه سوف .... من أجلك ويعفو منك .
السيد : لا ايها العبد ، انني لن أذهب الى القصر
العبد : لاتفعل ياسيدى ، لاتفعل ، لانك اذا ذهبت الى القصر فانه سيرسلك الى ... ويبعثك فى طريق لاتعرفه . انه سيسبب لك الشقاء والاحزان .

السيد : اسمعنى ايها العبد
العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك
السيد : احضر لى فى الحال ماء لاغسل يدى لانى أريد أن آكل .
العبد : كل ياسيدى ، كل ، فالاكل بانتظام يشرح القلب.. ان الاله شمش يحضر مائدة كل من يأكل بيدين نظيفتين .
السيد : لا ايها العبد ، لن آكل
العبد : لاتأكل ياسيدى ، لاتأكل طالما ان الجوع من بعد الشبع والعطش من بعد الشرب يأتى لكل انسان

السيد : اسمعني ايها العبد

العبد : اجل ياسيدي اني مصغ اليك

السيد : عزمت ان أقوم بعصيان

العبد : افعل ياسيدي ، افعل ،فاذا لم تقم بعصيان
فمن أين تحصل على ثيابك ومن سيملأ لك كرشك ؟

السيد : لا أيها العبد ،لن أقوم بعصيان مهما كان الامر

العبد : لاتفعل ياسيدي ،لاتفعل • ان من يقوم بعصيان
اما ان يقتل او يسلخ جلده اوتسملى عيناه
او يحتجز او يرمى في السجن •

السيد : اسمعني ايها العبد

العبد : اجل ياسيدي ،اني مصغ اليك

السيد : اريد أن أحب امرأة

العبد : افعل ياسيدي ، افعل • فالرجل الذي يحب امرأة
ينسى أحزانه وهمومه

السيد : لا أيها العبد ،لن أحب المرأة

العبد : لاتفعل ياسيدي ،لاتفعل ، المرأة بئر ،انها حفرة
وخندق ، المرأة خنجر من حديد صارم يقطع عنق
الرجل •

السيـد : اسمعنى ايها العبـد

العبـد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليـك

السيـد : عزمت على أن أقرض الناس واساعدهـم

العبـد : افعل ياسيدى ، افعل ان من يقرض النـاس تبقـى حنطته خالصه ويكون ربحه عظيما

السيـد : لاأيها العبد ،لن أقرض النـاس

العبـد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل ، ان من يقرض النـاس كمن يحب امرأة .. فاسترجاعها امر عسير مثـل ولادة طفل ،ثم انهم سيأكلون حنطتك وينزلـون عليك لعناتهم دون هوادة ويحرمونك مـن الفائدة على حنطتـك .

السيـد : اسمعنى ايها العبـد

العبـد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليـك

السيـد : اريد أن اساعد بـلادى

العبـد : افعل ياسيدى ان من يساعد بلاده ... توضع حسناته امام الاله مردوخ .

السيـد : لاايها العبد ،لن أساعد بـلادى

العبـد : لاتفعل ياسيدى ،لاتفعل ، اصعد فوق الاطلال القديمة وتمشى هناك ،وانظر الى جماجم الاسبقين وللاحقين فأيهم الاشرار وايهـم الابـرار

السيد : اسمعني ايها العبد

العبد : اجل ياسيدى ، انى مصغ اليك

السيد : اذا ماهو الخير في هذه الدنيا ؟

العبد : ان يدق عنقى وعنقك ونرمى فى النهر ،ذلك هو الخير فى الدنيا ترى من يستطيع ان يطاول السماء

ومن يستطيع ان يحتوى العالم السفلى ؟

السيد : ايها العبد ، انى سأقتلك ،وادعك أولا ...

العبد : ان سيدى لن يستطيع العيش من بعدى حتى لو كان ذلك لثلاثة أيام (١١)

ومن الموضوعات التى تناولها أدب الحكمه فى العراق القديم موضوع العدالة الالهية ،وهو من الموضوعات التى عنى بها الكتاب والمفكرون السومريون والبابليوم ،ويرجع ذلك الى اعتقاد الانسان فى العراق القديم أن الالهة خلقت البشر ليقوموا بخدمتها ،وفى مقابل ذلك كان الانسان يطمع فى أن تمنحه الالهه مقابل تقواه وسلوكه الحسن العون والحماية والسعادة فى الحياه ،غير أن قاعدة " طاعة الالهه " تساوى " حياة سعيدة " لم تكن مضمونه بهذه الدرجة من السهولة ،فكان للانسان العراقى القديم مثل غيره من بنى البشر نصيبه من الفقر والمرض والحزن وكوارث الطبيعة المختلفة .

ومن النصوص الادبية التى خلقها الانسان العراق القديم ويتصل بموضوع العدل الالهى ،مااصطلح الباحثون على تسميته باسم " قصة أيوب البابلى " أو " التقى المعذب " وعنوان هذه القصة فى الاصل البابلى " لدلل بعل نيميقى " ومعناها " لامجدن رب الحكمة " والمقصود برب الحكمه هو معبود بابل " مردوخ " .

ويرجح ان هذه القصة تدور حول احد الامراء البابليين واسمه " شبسى - مشرى برجال " وذلك حوالى النصف الثانى من الالف الثانى قبل الميلاد و كان شخصا صالحا متعبدا وفى ذلك يقول فى وصفه لتقواه : " لم أعرف فى حياتى سوى العمل الصالح والعبادة وشغلت افكارى بالتضرع الى الالهه والتضحية والتقرب اليها ،وكانت اوقات عبادة الالهه سرورا لقلبى ،والايام التى أسير فيها فى مواكب الالهه مكسبى و نصرى فى الحياه ،ويبعث تمجيد الملك السرالقلبى والموسيقى التى تعزف له مثار غبطتي وسرورى ،وألزمت أهلى وأتباعى مراعاة شعائر الالهه وعبادتها ،وعلمت الجند طاعة القصر ،لان هذه الاعمال تسر الالهة .

الا انه رغم هذا الصلاح حلت به المصائب والنكبات فغضب عليه الملك وتآمرت عليه الحاشيه ،واصبح وحيدا منبوذا وفتكت بجسمه الامراض وتخلت عنه الالهه ويصف حاله هذه بقوله

"..... لقد تمكن مرض " آنو " من جسدى و غطاء كالرداء
أذناى مفتوحتان ،ولكنهما لاتسمعان ،وأصاب جسدى الضعف
والوهن ،واصبح الوسط المسلط على يرعبنى ويعذبنى ،وصار
معذبى يطاردنى في النهار ويسلبنى الراحة فى الليل. لقد
خذلنى الاله ولم يتقدم اله لمساعدتى ،ولم تعطف على
آلهتى فتخلصنى من مصائبى ،حسبنى الجميع ميتا كأن القبر
مفتوح امامى فنهبوا اموالى ،فرح بى حسادى وشمت بى
اعدائى ،ولم يستطع السحرة والمعزوزون مساعدتى "...

ويتناقض حال هذا الرجل الذى وصل اليه رغم تقواه
مع العدل الالهى الذى رسمه الكهنه وان كل انسان يجزى
بعمله . وقد يثير هذا الامر الشكوك حول العهد الالهى،
ولكن ناظم هذه القصة قدم حلين لذلك ، الحل الاول عقلى
ينحصر في تعذر تطبيق مقاييس القيم البشرية على أعمال
الآلهه وتصرفاتها لان الانسان قاصر النظر لايستطيع ان يدرك
حكمه الالهه من وراء اعمالها ،فما قد يبدو امرا محببا
من وجهه نظر الانسان قد لايكون كذلك في أعين الآلهه
اما الحل الآخر فيدور حول ان هذا العذاب لذى يحل بالعبد
الصالح لايظل ملازما له الى الابد ،بل انه اختبار له من
الالهه لامتحان صبره وتعلقه بالآلهه والالتزام بأحكامها
وقبول اقدارها .

وبالفعل فانه نتيجة صبره ،فقد قررت الالهه اعادته الى حالته السابقة من الصحة والثروة والجاه ،وتنتهى هذه القصة بتقديم المدح والثناء للاله مردوخ وزوجته .

ولقد عثر على مجموعات من الحكم والنصائح مكتوبة باللغتين السومرية والبابلية . ومما تجدر الاشارة اليه أنه يصعب فهم الكثير من هذه الامثال رغم انها مفهومة من الناحية اللغوية لمعظمها عبارة عن جمل كثيرة مقتضبة ومركزة المعنى وتعبر عن تجارب و حالات خاصة فى حياة المجتمع ،كما ان الكثير منها نشأ من وقائع او حوادث قيلت فيها تلك الامثال وسنورد فيما يلى بعضا من هذه الامثال :-

" لن يجف مخزن مياهى ،ومن ثم فان ظمأى لن يتجاوز الحد " .

وواضح من هذا المثل انه على الانسان ان يدخر لغد فاننا لن نعرف قيمة المياه الا حينما تجف البئر.

" لقد أرخيت الشباك ولكن القيد شديد "

" لقد حصلت على الرهن ،ولكن الخسارة لم تتوقف "

بمعنى ان الحظ العاثر لايوجد شىء يستطيع ايقافه .

" اذا لم أذهب انا بنفسى ،فمن الذى سيذهب بجوارى"

" يحصل الرجل القوى على طعامه من اجر عمله ،أمـــا الرجل الضعيف ،فانه يحصل على طعامه من عمل اطفالـه ".

" لقد اصبح سعيدا فى كل شئ ،وذلك منذ ان ارتدى حلة نخمة . ويتصل بهذا المثل الاخير كذلـــك :

" الريش الفخم يصنع الطيور الجميلـة "

" الرداء يصنع الانســان "

ومن الامثلة التى تضرب للشخص الذى يكره الحرب وينأى عنها :

" لاتستطيع بوابات المدينة غير المحصنة تحصينـــا قويا دفع الاعداء " .

ومن الامثلة التى تضرب لمن تسول له نفسه الاستيلاء علـــى أملاك الغيـر :

" انك تذهب و تستولى على حقول الاعداء و يجـــئ الاعداء ويستولون على حقولـــك ".

وجاء فى هذا المعنى : صاعا بصاع أو " واحدة بواحدة "

ومن الامثال التى تضرب للانسان المهموم ذو الحـــظ العاثر ،أو ذلك الذى يجلب الحظ السيئ للآخرين من خــلال عينه الشريـــرة :

" اذا وضعت فى النهر ، اصبحت مياهه كريهة الرائحة على الفور ،واذا وضعت فى حديقة الفاكهه ،اصاب الفاكهه الطازجـه العطـــب " .

ومن الامثال التى تعبر عن ان النتائج بمسبباتها :

" اذا لم يكن تيار الماء سليما ،فان السيقان لن تنمو ، او تخلق البذور "

" من البذور الشريرة ،يأتى حصاد طيب ،ولاينتجخط المحراث الموسيقانا ،ومن ثم فهل يمكن ان ينتج بذورا "

ومن الامثال كذلك :

" قد تدوم الصداقة يوما ،والعبودية دهرا "

" حيثما يوجد العبيد يحدث شجار "

" ثور الغريب ياكل الحشيش ،وثور صاحب الحقل هائم من الجوع "

" للمواطن الساذج فى مدينة آخرى يصبح زعيمها "

" المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع "

" ان الحقل مثل المرأة التى لازوج لها فى حاجة للزراعة " .

ويشبه هذين المثلين المرأة بالارض الخصبة ،فكلاهما رمز للانتاج واستمرارية الحياة .

ومن الامثلة التى تعرب عن ان الانسان مهما ضعف لايستطيع تقبل الضيم الى النهاية ،فان لكل شئ رد فعل مهما طال وبعد به الزمن :

" يحصل الرجل القوى على طعامه من اجر عمله ،أمـــا الرجل الضعيف ،فانه يحصل على طعامه من عمل اطفالـه ".

" لقد اصبح سعيدا فى كل شئ ،وذلك منذ ان ارتدى حلة نحـة . ويتصل بهذا المثل الاخير كذلـــك :

" الريش الفخم يصنع الطيور الجميلـة "

" الرداء يصنـع الانســان "

ومن الامثلة التى تضرب للشخص الذى يكره الحرب وينأى عنها:

" لاتستطيع بوابات المدينة غير المحصنة تحصينـــا قويا دفع الاعداء " .

ومن الامثلة التى تضرب لمن تسول له نفسه الاستيلاء علـــى أملاك الغيـر :

" انك تذهب و تستولى على حقول الاعداء و يجـــئ الاعداء ويستولون على حقولـــك ".

وجاء فى هذا المعنى : صاعا بصاع أو " واحدة بواحدة"

ومن الامثال التى تضرب للانسان المهموم ذو الحـــظ العاثر ،أو ذلك الذى يجلب الحظ السيئ للآخرين من خـــلال عينه الشريـــرة :

" اذا وضعت فى النهر ،اصبحت مياهه كريهة الرائحة على الفور ،واذا وضعت فى حديقة الفاكهه ،اصاب الفاكهه الطازجـــة العطــب " .

ومن الامثال التى تعبر عن ان النتائج بمسبباتها :

" اذا لم يكن تيار الماء مليما ،فان السيقان لن تنمو ، او تخلق البذور "

" من البذور الشريرة ،يأتى حصاد طيب ،ولاينتج خط المحراث الموسيقانا ،ومن ثم فهل يمكن ان ينتج بذورا " .

ومن الامثال كذلك :

" قد تدوم الصداقة يوما ،والعبودية دهرا "

" حيثما يوجد العبيد يحدث شجار "

" ثور الغريب ياكل الحشيش ،وثور صاحب الحقل نائم من الجوع "

" للمواطن الساذج فى مدينة آخرى يصبح زعيمها "

" المرأة من غير زوج كالحقل من غير زرع "

" ان الحقل مثل المرأة التى لازوج لها فى حاجة للزراعة " .

ويشبه هذين المثلين المرأة بالارض الخصبة ،فكلاهما رمز للانتاج واستمرارية الحياة .

ومن الامثلة التى تعرب عن ان الانسان مهما ضعف لايستطيع تقبل الضيم الى النهاية ،فان لكل شئ رد فعل مهما طال وبعد به الزمن :

" عندما يضرب النحل ،فانه لن يسكت ،ولكنه يلـــدغ يد الانسان التي تضربـــه " .

ومن الامثلة التي تشير الى ان أمر الزوجة يشمل زوجهـا :

" عندما تقف المرأة الاثمة على بوابه منـــــزل القاضى ،فان امرها يشمل زوجهـــا "

ومن الحكم التي وصلتنا من العراق القديم ،ويرجـع انه تكون قد كتبت قبل عام ٧٠٠ ق٠م٠

" كن حكيما ،فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب ، أغلـــق فمك ،وأحرس كلامـــك ،جعل شفتاك ثمينة مثل ثروة الانسان"

" لاتتحدث أبدا ببذاءة ،لاتعطى ابدا مشورة غيـــر موثوق فيهـــا "

" لاتبحث عن اماكن الشجار

" حيث يجب عليك ان تعطى قرارا

" وستدفع للادلاء بشهادتك فى قضية لاتخصـــك

" فعندما ترى مشاجرة اذهب بعيدا دون ان تشاهدها

" واذا كانت المشاجرة خاصة بك أنت ،فأخمــــــد لهيبها ، اذ يضيع فى المشاجرة الصواب ٠٠٠ "

" السور المحصن من أجل سور العدو غير المحصن "

" افعل العدل مع عدوك

" وبالنسبة لمن ظلمك ...

" دعه يستمتع بظلمك ... فسوف يعود عليه

" لاتدع قلبك يقتنع بعمل الشر

" اعط الطعام للجائع والخمر للعطشان

" كن متعاونا خدوما ،وافعل الخير "

" لاتتزوج من الزانية .....

" فهي لن تتركك لهمومــــك

" اذا تشاجرت معها فسوف تشنع عليك

" التبجيل والخضوع ليس معها

" حقا ،فانها اذا اخذت ملكية المنزل طاطردها منه

" نحو الطريق الغريب تدير عقلها

" والبيت الذى تدخله فانها تدمره "

" وزوجها لايفلح ابدا،

" لاتفترى على أحدث بماتحدث هو طيب ،

" لاتتفوه بسوء ، أخبر بما هو حسن

" لاتفتح فمك على شدقيه ، احرس شفتيك

" لاتتحدث بأسرارك لنفسك ،حتى ولو كنت وحيدا

" فالذى تتحدث الان بعجلة ،سوف تضطر للاعتذار عنه

فيما بعد ..... "

" قدم الولاء لالهك يوميا
" بالقرابين والصلوات وحرق البخور
" نحو الهك يجب ان تشعر بالقلق فى القلب
" فهذا هو الملائم للاله
" الصلاة والابتهال ،والانبطاح على الارض
" عندما تقدم العطايا فى الصباح تصبح قوتك كبيرة
" وبمساعدة الاله ،تصبح غزيرة ،وتصبح موفقا.

" بالنسبة للانسان ،فانه طالما لم يعمل ،فانه لن يجنى شيئا ،ومن ذا الذى سيعطيه شيئا من أجل ...؟
" الشخص الذى ليس له ملك او ملكة ـ فمن هوسيدة ؟ فهو اما ان يكون حيوانا ،او شخصا يستقر أسفل.....
" تناول الطعام ،ولكن ليس الى درجة البدانة ،ومن ثم فلن تكون هناك دماء فى برازك
" لاترتكب ايه جريمة ،وخاف من الهك ،فانك لن تجنى ثمارهـا "
" لاتتحدث بأذى ،ومن ثم فان الكآبة لن تصل الى قلبك"
" لاتفعل الشر ،ومن ثم فانك لن تقاسى من سوء الحظ المستمر "
يلدغ العقرب الانسان ، فماذا جنى من وراء ذلك .

وقد يتسبب النمام في وفاة انسان ،فما هو الشـــيء الطيب الذي قام بـه ؟

" أكلت ثوما في العام الماضي ،وفي هذا العام التهبت بطنـــي "

" مثلما كانت الخياة بالامس ،فانها ستكون كذلك كـل يـــوم "

" اذا كنت ذاهبا للموت ،فانني سوف استخدم كــــل ما أملـــك ...

" اما اذا كنت ذاهبا لاعيش ،فانني سوف أحتفظ بمــا أملـــك "

" الشيء الذي لم يحدث منذ العصور السحيقة ،أن تتجشا المراة صغيرة السن وهي في حضن زوجها "

" الشخص غير المتعلم مثل المركبة ،والجهل يكـــون طريقـــه "

" أيتها العروس ،كما تعاملين حماتك ،سوف تعاملـــك زوجة ابنـــــك "

" اذا كانت عجينة كبيرة فاسدة ،فكيف تكون البيـــرة جيدة المذاق ؟

ومن النصائح العراقية التي وصلتنا كذلك نصائـــــح " شورو بـاك " التي وجهها الى ابنه زيوسدرا ،وهي تعتبـــر

من أقدم القطع الادبية فى العراق القديم ، ومما جاء فيها نقتطف النصائح الاتيــة :

" ... ولدى ،نصيحتى اقدمها لك ،فتقبل نصيحتـــى، وكلمة أقولها لك ،فأعرها سمعك ،لاتهمل وصيتى ،ولاتتعـــد كلمتى ... لاينبغى اقتناء حمار مزعج النهيق ،ولاينبغـــى زراعة حقل على الطريـــق .... "

و من النصائح و الحكم الاكاديـــة :

" لاتتحدث مع ناقل الاشاعـات

لا تتشاور (مع ....) ... الذى يكون كسلانا

لانك بقدراتك الممتازة سوف تكون مثالا لهم

وحينئذ فانك سوف تهمل فى عملك الخاص من اجـــل مسلكـك

وسوف تترك حكمتك ،ويفسد فكـرك

اقمع فمك ،واحرس كلامـــك ،

فهذا فخر الرجـــل

اجعل ماتقوله غاليا جدا

دع الصلف والسباب ،وبغضهما لنفسك

لاتتحدث بأى سوء ،أو أى شىء مجاف للعدالة

ان ناقل الكلام موضع الازدراء ....

" ... أعمل الاشياء الطيبة ،وكن كريما طوال ايامك

لاتعامل الخادمة فى منزلك بحقاوة

فانها لن تستطيع السيطرة على فراشك مثل الزوجة

..... لاتسلم نفسك للخادمات

فان البيت الذي تحكمه خادمة ..،تؤدى الى تمزيقه (١٢)

الحواشـــــــى

(١) طـوبـاقـر • المرجع السابق ، ص ٤٤١ – ٤٤٨

(٢) قـام بـنشر هذه الاسطوانه كل من L.Heuzed , E.,de Sarzec (2)
وذلك فى مؤلـفهما :

Sarzec.E Heuzey Decouvertes en chaldeed paris,
Paris, 1884 , pls. 33-35.

ثم قـــــام G.A Barton بـترجمة أخرى عام ١٩٢٩، انظر
Barton, G.A., The Royal Inscriptions of sumer
and Akkad, New Haven, 1929, PP.2o5 ff.
ولـقد اعتمدت فى هذه الترجمة عـلى صموئيل نوح كريمر انظر:
صموئيل نوح كريمر: المرجع السابق ، ص ٤٢ ومابعدها •

(٣) Jacobsen, T., in Before philosophy, PP.182 ff.

(٤) Speiser, E.A., " Akkadian Myths and Epics", in
ANET, PP 60 ff.

(٥) انظر : Kramer, S. N., " Sumerian Myths and Epic
Tales " in ANET, PP 47 ff. ,
Jacobsen, T., op cit., PP. 223 ff.

(٦) يـكثر طائر الـشقران فى جنوب العـراق ،وهو يخرج فى اثناء
طيرانه فى موسم اللقاح صـوتـا يشبه اللفظة البابليـــة
" كفى " أى جناحى ،ولعل صـوته وشكل طيرانه هو الـــذى
أوحى للبابليـن بهذا الخيال انظر •

طه باقر : المرجع السابق ،ص ٤٦٣ حاشـــية ٢•

(٧) فيما يتصل بقصة الطوفان السومرية ، انظر :
محمد بيومى مهران : دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسه ،مجله كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد الخامس ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م ص ٢٨٥ — ٣٩٤
وكذا :
محمد عبد القادر محمد : قصة الطوفان فى أدب بلاد الرافدين ، ص ١١٠ — ١١٤ .
وكذا :
Poebel, A., in P B S, IV, pt,I.PP. 9 - 70.,
King, L.W., Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrow Tradition, 1914.
Kramer, S.N., Sumerian Mythology, philadelphia, 1944, PP. 97 - 98.

(٨) Woolley, L., Excavations at Ur, London, 1963, PP 34 - 36.

(٩) محمد عبد القادر محمد : المرجع السابق ،ص ٩٦— ٩٧
وكذا
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .

(١٠) وفيما يتصل بترجمة هذه القصة ، انظر :
محمد بيومى مهران : نفس المرجع السابق ،ص ٣٩٨— ٤٠١ وكذا

محمد عبدالقادر محمد : المرجع السابق ص١ ٣٤ – ٣٥٩ وكذا

Heidel, A., The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, 1949.,

Thompson, E.C., The Epic of Gilgamesh, 1930.

(١١) Lambert, W.G., Babylonion wisdom Literature, 1960, PP. 139 .

(١٢) انظر :

Biggs, R.D., " Akkadian Didactic and wisdon Literature , in ANET, 1974, PP. 593 ff.

Gordon, E.I., " Sumerian Proverbs, Glimpses of everyday Life in Ancient Mesopotamia, Philadelphia, 1959.,

Langdon, S., Babylonian wisdom. London, 1921.

الباب الثاني

حضارة ايران

التنظيم السياسى والادارى والعسكرى

حينما اتسعت رقعة الامبراطورية الفارسية نجح ملوكها فى تنظيم ادارتها نجاحا كبيرا وقد وضعوا أسسا ثابتة لتنظيمها اذ أنهم قسموها الى عشرين ولاية تشمل مختلف الاقطار والجهات التى أخضعون وكان لكل ولاية كيانها السياسى الخاص بها.

وكان الملك على راس النظام السياسى والادارى ، واتخذ الملوك العديد من الالقاب التى عبرت عن طبيعتهم وامتداد سلطانهم ،فكان ان اتخذوا لقب " خشاثرا " الذى يفيد معنى المحارب وهو يعبر عن طبيعة ملوك الفرس وطبيعته دولتهم التى اصطبغت بالصبغة العسكرية منذ نشأتها واتخذو كذلك لقبا معبرا أخر وهو " ملك الملوك " وهو يشير الى امتداد سلطانهم الى مناطق شاسعة ضمت تحت لوائهم العديد من الدول و الممالك .

وكان الملك يتمتع بسلطه مطلقة ،فكانت اوامره مطاعه ،وكلامه واجب التنفيذ ،وكان فى بعض الاحيان يمنح أمه او كبيرة زوجاته حق القتل القائم على النزعات والاهواء ،وقلما كان أحد يجرؤ على انتقاء الملك أولومه كما كان الرأى العام ضعيفا عاجزا مجزا مصدره الحيطه والحذر ،فكان كل مايفعله الذى يرى الملك يقتل ابنه

البرىء امام عينيه رميابالسهام أن يثنى على مهـــارة الملك العظيمه فى الرمايه ،وكان المذنبون الذين تلهب السياط أجسامهم بأمر الملك يشكرون له تفضلـه بأنه لـم يغفل عن ذكرهم . و كان من حق الملك أن يختار خلفه مـن بين أبنائه ،ولكن وراثة العرش كانت تقرر فى العـادة بالاغتيال والثـوره .

مع ذلك فلقد كانت سلطته فى الواقع مقيدة بعـادات[٣] وتقاليد كثيرة ،فالاوامر التى كانت تعطى لتنظيم منـاطـق الامبراطورية كانت تعتمد من " مجلس الملك " الذى يتكـون من أفراد الطبقة الموسرة و كان لهم فى اقطاعاتهـم سلطان يكاد مطلقا ،فكانوا يسنون القوانين ،وينفـذون أحكام القضاء ،ويجبون الضرائب ،ويحتفظون بقواتهـم المسلحة فى مقابل ان يمدوا الملك بالمال والعتاد فـى وقت القتال .

واتسمت الحكومة بسمة التسامح ،وكان الملوك يراعون بدقة عادات وأديات الشعوب العديدة الخاضعة لهم بل ويعملون على انعاشها فى البلاد التى تسود فيها ،ومع أن الفـرس كانوا قساة فى بعض الاحيان الا انهم كانوا متسامحين بوجـه عام مع أعدائهم الخاضعين لهم ،فلم يتصفوا بالوحشيـة المطلقة ولم يجدوا لذة فى استخدام القسوة والعنف وعمليا[٣]

القتل على نطاق واسع كما فعل الاشوريون ،ولكنهم كانوا دائما لايرحمون الخونة .

ومما يشير الى ذلك النقوش الموجودة على مقبرة الملك داريوش والتى ترجمت أيام غزو الاسكندر الاكبر لبلاد فارس وذلك فيما يذكر سترابون ،وقد جاء فى هذه النقوش " لقد كنت صديقا لاصدقائى ،وقد تفوقت على غيرى فى ركوب الخيل والرمى بالمنشاب ،كما أجدت الصيد ، واستطعت أن أعمل كل شئ " فالمعروف من داريوش أنه على الرغم من أنه قهر ملوكا كثيرين فانه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الاصدقاء ،ولم يكن مجاملته ضعيفا فقد اطاعه جميع من فى امبراطوريته و كانت ارادته هى العليا .

وقد عثر على لوح فى سوسه يشتمل على مضمون النقوش التى أمر دارايوش بنقشها على قبرة عند نقش رستم ،وقد جاء فيه :

(١) " ان أهور مزوا اله عظيم خلق هذه الارض،و خلق من فوقها السماء ،وخلق السماء و خلق له السعاده وجعل داريوش ملكا ،ملكا واحدا للكثيرين ،وسيدا واحدا للكثيرين .

(٢) " أنا داريوش الملك العظيم ،ملك الملوك ،ملك الممالك التي تشمل على كل أصناف البشر ملك هذه الارض الطويلة العريضة ،وابن هشتاسب ، اكمينى ، فارس ، ابن فارس آرى ،من سلالة آرية .

(٣) " يقول داريوش الملك : هذه،هي البلاد التي ملكتها خارج فارس ،وحكمتها ،وقد حمل أهلها الى الجزية ونفذوا كل ماقلت لهم ،وعملوا بقانوني الذي منحهم الاستقرار (يلى ذلك تعداد الممالك) .

(٤) " يقول دايوش الملك : لقد أصلحت كثيرا من الشرور لقد كانت الاقاليم مضطربة ،وكان الرجل يطعن أخاه وقد استطعت ان انفذ مايلى بفضل أهورا مزدا : ألا يطعن المرء انسانا آخر ،وأن يبقى كل فى مكانه ،وقد خاف الناس قوانينى ،فلم يعد القوى يطعن الضعيف أو يقضى عليه .

(٥) " يقول داريوش الملك : بفضل أهورا مزدا أعدت كثيرا من المصنوعات التي نقلت من مواضعها الى أماكنها الاصلية ،وقد سقط حائط مدينة ... لقدمه ،ولم يصلح من قبل ،فشيدت لها حائطا سوف يحيمها الان وفي المستقبل .

(٦) " يقول داريوش الملك : فيحفظني أهرو مزوا والالهه وليحفظوا بيتي الملكي ،وكل مانقش بأمري .

(٧) " يقول داريوش الملك : فليساعدني أهورا مزواوآلهه البيت الملكي ،وليحفظ اهورا مزوا هذه البلاد من جيوش الاعداء ومن الجوع ومن الكذب ،لاأصاب اللـه هذه البلاد بجيش ولابجوع ولا بالكذب ،واني لالتمس هذا نعمة من أهور مزوا ونعمه من آلهه البيت الملكي،فلعل أهورا مزوا والالهه ينعمون،على بها ".

ولقد انعكست هذه الروح القومية الفياضة للملك داريوش على أفراد شعبه ،وفي ذلك يذكر هيرودت ، انه لم يوجد فارس يلتمس الخير من الله لنفسه ،وانما هو يلتمسه للملك وللشعب الفارسي كله ،وهو بالضرورة فرد من هذا الشعب .

وكان اقليم فارس هو مقر الحكومة المركزية حيث يوجد الملك كرئيس للجهاز الاداري ،وتعددت المدن التي باشرها الملوك سلطاتهم ،ومن أشهر هذه المدن " بازار جاده " التي تعرف في الفارسية باسم " تخت مادر سليمان" ومدينة " برسيوليس " والتي تعرف في الفارسية باسم " تخت جمشيد " و منها كذلك مدن اكباتانا وسوسه .

وبلغت الامبراطورية الفارسية أقصى اتساع لها فى عهد الملك داريوش الاول ،وقد ساعد تقسيم الدولة الى ولايات على تسهيل ادارتها ،وجعل داريوش هذا النظام أساسا لحكم الامبراطورية ،وأحكم النظام الحكم فى هذه الولايات التى بلغ عددها زهاء العشرين ولاية ولقد ذكر اليونان أن أقسام ممالك ايران كانت ستة وعشرين قسما ولكن عدد الولايات التى ذكرها داريوش فى نقش رستم بلغت بالاضافة الى فارس عشرين ولاية تضم مصر ،وفلسطين وسوريا ،وفينيقيه ،وليديا ،وفريجية ،وايونيا ،وقبادوش ، وقليقيه ،وأرمينية ، وآشور ،وقفقاسيه ،وبابل ،ومديا ، والبلاد المعروفة حاليا باسم افغانستان ،وبلوخستان والقسم الممتد من الهند غرب نهر السند ،وسيمديانا وبكتريا (بلخ) ،وأقاليم المسجينة و غيرهم من قبائل آسيا الوسطى .

وكان على راس كل ولاية واليا كان يطلق عليه " خشتريوان " بمعنى حارس أو حامى المملكة أى الولاية وأطلق عليه اليونان " ساتراب " ولقد اصبحت كلمة Satrap (والى) كلمه مألوفة فى اللغة الانجليزية وكان الولاة عادة من النبلاء أو الامراء ،وكانوا غالبا مايعينون مدى الحياة ،وكانوا يشبهون الملوك تماما فى

الولايات لهم فيها سلطة مطلقة كما كانوا يقومون فيها ببعض الاتصالات السياسية مع الدول المجاورة .

ومع هذه السلطات التى تمتع بها الوالى فانه كان دائما معرضا لتجسس عيون من أتباعه أو من غيرهم ،ومن هؤلاء وجود مراقب يراقب أعمال الوالى ويقوم بحلقة الوصل بينه وبين الحكومة المركزية ،ولم تقف رقابة الملك عند هذا الحد ،بل كان هناك مفتشون يعرفون بآذان الملك او عيونه ،وكان لهم سلطة مستقلة ،كما كانت تتبعهم قوات مسلحة ،وكان هؤلاء الاذان او العيون ينتقلون فى انحاء الامبراطورية ويزورون الولاه زيارات مفاجئة ويطلعون على ادارتهم للولايات كما كانوا يراقبون الاوضاع المالية للولايات ومن ناحية أخرى فقد كان الاشراف يمنحون الاراضى فى الولايات ويتولون المناصب الهامة فيها ولهم حق الاتصال المباشر بالملك ،وكانت الطوائف المحلية مثل كهنوت اليهود فى بيت المقدس ،تشجع على تأسيس هيئات مستقلة لها ،وهكذا ظهرت سياسة " فرق تسد" بوضوح وطبقا لاول مرة فى التاريخ .

وبجانب الوالى ،فقد عين فى كل ولاية اثنين من الموظفين من الادارة المركزية كمساعدين للوالى فى

ادارة ولايته وحتى لاتتركز السلطة فى يد فرد واحد ،ولقد تولى أحد هذين الموظفين قيادة الجيش المحلى الذى يحرس الولاية ،ويتولى الثانى ادارة امور الولاية كرئيس للديوان ،وكان الهدف من تأسيس هذا المنصب أن يقف الملك على أحوال الولاية ويطمئن على تنفيذ الاوامر التى يصدرها وعلى هذا فلقد كان رئيس الديوان على اتصال مباشر بالسلطة المركزية ،وفى بعض الامور كانت الاوامر تصدر اليه مباشرة من الادارة المركزية .

ومما ساعد على نجاح الامبراطورية فى ادارة ممتلكاتها أن الاباطرة انشأوا بها كثيرا من الطرق ونظموا البريد لتيسير الاتصال بين مختلف انحاء امبراطوريتهم وكان اهتمام ملوك فارس بهذه الطرق عظيما بوصفها احدى الضرورات الادارية ،وقد ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة وزيادة تداول البضائع بين انحاء الامبراطورية .

ومن هذه الطرق ،الطريق الذى كان يربط سوسة بافسوس فى آسيا الصغرى و كان من الطرق الرئيسية ويبلغ طوله ١٦٧٧ ميلا و كان مقسما الى مائة واحدى عشرة محطة بريدية بكل منها خيول تتولى نقل اتباع الملك على طول الطريق . وكان هناك طريق يصل مصر ببابل ثم ايران

فافغانستان ثم غرب الهند ،والى جانب الطرق الرئيسية كانت هناك طرق فرعية ،وكان بعض هذه الطرق مرصوفا ولاتزال بعض بقايا الرصف بالحجارة موجودة حتى الوقت الحاضر .

وعلى طول هذه الطرق جهزت منازل وفنادق جيدة على طول هذه الطرق ،كما أنشأوا مراكز للبريد وزودوها بقدر كاف من الخيول السريعة ،وكانت تلك الطرق تخترن الجبال فى بعض الاماكن فعينوا من الحاميات مايكفى لحمايتها ،وكان حملة البريد يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة الى أقرب مركز بريد فيتسلمها حملة بريد غيرهم ويوصلونها الى مركز البريد التالى ،وهكذا كان حملة البريد فى حركة دائمة ليل نهار ،وكانت اوامر الدولة تصل بسرعه الى الاماكن الموجودة اليها .

وكان جمع الضرائب ،نقدا او عينا ،من بين مهام الوالى ،وكانت هذه الضرائب تفرض على جمع الولايات ولايعفى منها الا ولاية فارس مسقط راس أسرة الاكمينيين و كانت هذه الضرائب تجمع بدقة فى الامبراطورية كلها ، ولقد تميز عهد داريوش بمقدرة فائقة فى هذا المجال اذ لم يكن هناك نظام معين لحماية الاموال قبل عهده ،فقد

كان الولاه :يجبون كل مايريدون ،فلما جاء داريوش نظم جباية الضرائب ،ويذكر هيرووت أن داريوش فرض على كل ولاية من الولايات مبلغا محددا يجبى كل سنة ،و كانت الضرائب نقديه وعينيه .

ويذكر بلوتارخ أن داريوش بعد أن حدد الجباية النقدية والعينية للمالك أخذ يعيد النظر ليتبين اذا كانت تثقل كاهل الناس ،وبعد أن تبين أنهم يستطيعون دفع مافرض عليهم خفض المطلوب الى النصف ،وقال ان الولاة سيجبون ضرائب اضافية من الناس للوفاء بمصاريفهم لهذا يجب تخفيف مايجبى منهم حتى لايقع عليهم عبء متطلبات الولاة .

وقد تمتعت الولايات التابعة للامبراطورية بشيء من الحرية اذ سمح لها باستعمال لغتها الخاصة وعاداتها وتقاليدها وديانتها وعملتها ،بل وبقاء أسرتها الحاكمه أحيانا ،مما جعل بعض الولايات تحس بأنها أحسن حالا فى تبعيتها لفارس من خضوعها لقادتها أنفسهم .

وكان اتساع رقعة الامبراطورية وانضواء كثير من الولايات الغنية المختلفة الموارد تحت لوائها سببا فى جعلها قادرة على الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية

اذ لم تعوزها الموارد التى تحتاج اليها . فالاخشاب الجيدة التى تستخدم فى البناء وصنع السفن والعربات والاسلحة والمعدات الحربية وغيرها كانت موجودة على الساحل الفينيقى وآسيا الصغرى وكريت وقبرص ،والفضة والنحاس والحديد كانت تأتى من قبرص كذلك ،ومن آسيا الصغرى يأتى النحاس والفضة ،ومن اقليم كرمان كان يأتى الذهب والفضة ،والى جانب هذه المعادن كانت أحجار البناء الجيدة تجلب من عيلام تجلب الاحجار الكريمة وشبه الكريمة من جهات آخرى مختلفة ،ومما زاد الاحوال الاقتصادية انتعاشا أن موارد الثروة السمكية فى دجلة والفرات والخليج العربى كانت من الوفرة بحيث كان من المملكة تصدير الفائض منها بعد آن تملح وتقدر .

واهتم معظم الملوك بتحسين انتاج الاراضى الزراعية فلجأوا الى حفر القنوات فى باطن الارض و كان لهذه القنوات قيمة حيوية للعصبة الايرانية ،كما تم حفر قنوات فى البقاع التى تخلو من الماء مثل صحراء سوريا ،وبعض أقاليم آسيا الوسطى ،كما يبدو محققا آن الفرس قاموا بتخفيف المستنقعات كما تحسنت الزراعة نتيجة لتلك الحروب التى قامت ومن ايران وغيرها من الدول فتتم تبادل

المسافات بين الاقاليم ،وكان داريوش يهتم بهذا الامـــــر وقد وصلنا خطاب كتبه الى أحد عماله يشكره فيه كل نقـــل أشجار الفاكهه من غرب الفرات وآسيا الصغرى وزراعتهـــا فى ايران ،ولم يكن المقصود بهذا نفع ايران وحدهـــــا ولكن نفع الشعوب الاخرى فى الدولة ،فقد زرع الملـــــوك الاكمينيون نوع من الكروم التى يحبونها فى دمشق ،كمـــا ادخلوا الفستق الى حلب والسمسم الى مصر والارز الــــــى العـــراق .

وازدهرت الصناعات فى المدن ،وكان من أروج الصناعات صناعة الملابس وصناعه الاحذية والاثاث ،واواش الذهـــب والفضة والبرونــز ،وكذلك الاوانى الفخارية .

وقد عمدت الدولة الى تيسير التعامل فاستخدمـــت النقود المسكوكة ابتداء من عهد داريوش وكان ظهور العملة الفضية الصغيرة فى القرن السابع عشر قبل الميلاد ،ولكـن لم يوجد نظام نقدى يقوم على معادن متعددة من الذهـــب والفضة الا فى عهد كروسس ملك ليديا ،وقد انتشر هـــذا النظام من ليديا الى بقية أنحاء آسيا الصغرى ثم اقتبســه داريوش . وراحت هذه العملة فى جميع انحاء الامبراطوريـــة الفارسية ،وكانوا يسمونها " دريك " اى الذهب ،ويتضــح من تلك العملة ان عيارها الذهب كان عاليا جدا ،ذلـــك

أن داريوش كان ذا ولع شديد بأن تكون عملة من الذهب الخالص .

و مثر على الواح فى برسيولس يشتمل بعضها على قوائم بأجور العمال الذين كانوا يعملون فى انشاء القصر الملكى هناك ،وتعطى هذه القوائم صوره حية لفترة الانتقال التى اعقبت ادخال العملة فى ايران فقد كانت الاجور تدفع من قبل بالبضائع من لحم وشعير وقمح ونبيذ و غير ذلك ،وفى عهد كسركسيس الاول خليفة داريوش كانت الاجور تدفع ثلثاها بالبضائع والثلث بالنقد ، ولكن فى أواخر عهد هذا الملك أصبح ثلث الاجور فقط يدفع بالبضائع ،وبهذا يكون استخدام النقد بدلا من البضائع فى المعاملات قد استغرق اتمامه نحو نصف قرن وكانت هناك بعض معاملات نقدية عرفت منذ بدء ادخال نظام النقد مثل مبدأ الائتمان او اوراق الاعتماد والسندات .

وكان الجيش العماد الحقيقى لسلطان الملك والحكومة الامبراطورية ،وتدل أقدم النقوش على أن المحاربين كانوا ينقسمون الى شاة فرسان يركبون الجياد وفرسان يستخدمون العربات الى يمر كل منها زوج من الخيل ويتميز الخياله بما يلبسونه من أحذية تنحنى فى مقدمتها

الى أعلى ،وقد عثر فى بعض المقابر على أسلحة مختلفة منها السيوف والخناجر والدروع ورؤوس السهام ،وقد صنعت جميعها من البرونز او الحديد ،كما عثر على أعنة للخيول وقد حليت رؤوسها وصدورها .

وكانت الخدمة العسكرية اجبارية فى وقت الحرب لكل ذكر سليم بين سن الخامسة عشرة والخمسين ،وتشير الشواهد انه لم يكن يعفى منها أحد ، اذ حدث مرة أن طلب والد ثلاثة ابناء ان يعف واحد منهم من الخدمة العسكرية فما كان من الملك الا أن آمر تقتلهم الثلاثة ،وارسل والد آخر أربعة من ابنائه الى ميدان القتال ،ثم رجا الملك ان يسمح ببقاء أخيهم الخامس ليش[illegible] ربه الاسرة فما كان من الملك الا أن أمر بقطع جسم هذا الابن نصفين ووضع كل نصف على أحد جانبى الطريق الذى سيمر منه الجيش .

ويبدو أن الجنديه كانت محبوبه ،ومصدر فخر للاهلية ، اذ كان الجند يخرجون الى القتال وسط دوى الموسيقى العسكرية وهناك الجماهير التى تجاوزت سن التجنيد .

وكانت اهم فرق الجيش ،فرقة الحرس الملكى ، التى تضم عددا من النبلاء والاشراف وكانت تتألف فى معظم الاحايين من ألفين من الفرسان وآلفين من المشاه وتركزت

مهمتها فى حراسة الملك والمحافظة على حياته .

وتكون الجيش العامل كله بلا استثناء من الفرس والميديين ،وكان يؤخذ من هذه القوات الدائمة معظم الحاميات القائمة فى النقط العسكرية الهامة فى الامبراطورية ،أما القوات الحربية الكاملة فكانت تتكون من فرق تجند من جميع الامم الخاضعة لسلطان الفرس ،وكانت كل فرقة تتكلم بلغتها ،وتقاتل بأسلحتها وتتبع أساليبها الحربية الخاصة . و كانت هذه نقطة الضعف الشديدة فى تكوين الجيش الفارسى ،فمن أول بادرة من بوادر الهزيمة كانت تتحول الى جموع من الغوغاء عديمة النظام ،وكانت تهزم أعداءها بقوة عددها لاعبر،وبمقدرتها على استيعاب قتلاها ،فاذا مالاقاها جيش حسن التنظيم يتكلم افراده لغة واحدة ويخضعون لنظام واحد حاقت بهم الهزيمة .

وفيما يتصل بالاسطول ،فلا شك أن تجربة الفرس فى ركوب البحر كانت فى بداية الامر أقل منها لدى غيرهم ولذا كانوا يستعينون بالفينيقيين ،ومع هذا لم يدخر الفرس وسعا فى انشاء اسطول قوى كان يضم سفنا فينيقية ويونانية ،واستخدموا فيه المصريين والقبارصة والسوريين

وغيرهم الى جانب الفينيقيين ويونان آسيا الصغـــــرى، واستطاعوا أن يسيطروا على البحر المتوسط والمحيـــــط الاطلنطى ،وكانت سفنهم التى صنعها لهم الفينقيون علـــى ثلاثة أنواع النوع الاول سفن الهجوم والثانى ناقـــلات الجنود والخيول والثالث ناقلات الامتعة والذخائر وكـــان النوع الاخير صغير الحجم نسبيـــا .

وقد استتب النظام فى انحاء المملكه فى أوقـــات نهضتها بفضل سيادة القانون وعدم التهاون فى تطبيقـــه وكانت المراسيم لاتنقض بحال من الاحوال ،فقد اعتقد القـوم أن الوعد أو المرسوم الملكى او الاحكام الملكية انمـــا يوحيها الاله أهورا ـ مزورا نفســه .

وعلى هذا الاساس ـ كما يذكر ول ديورانت ـ كـــان قانون المملكه مستمدا من الارادة الالهية ،وكان كـــل خروج على هذا القانون يعد خروجا على ارادة الاله ،فكـــان الملك صاحب السلطة القضائية العليا ،ولكنه كان فـــى العادة يعهد بهذا العمل الى أحد اتباعه ،ويأتى من بعـــد المحكمه العليا التى تتألف من سبعة قضاة محاكم يحلـــه تنتشر فى انحاء المملكـــة .

وكان الكهنه هم الذين يضعون القوانين ،وظلـــوا

زمنا طويلا يتولون القضاء ،وبعد ذلك تولى هذا المنصب رجال بل ونساء من غير رجال الدين ونسائه ،وكانت الكفالة تقبل من المهتم فى جمع القضايا الا ماكان منها خطير الشأن ،وكانت المحاكم وهى تنظر فى الجرائم تقدر ما للمتهم من حسنات وما أداه من خدمات ،ولكى يحولوا بين اطالة الاجراءات القضائية حددوا زمنا معينا تنتهى فيه كل قضية تعرض امام المحاكم ،وفى بعض الاحيان كان يعرض على الخصوم ان يختاروا لهم حكما يحاول فض مابينهم من نزاع بالطرق السليمة.

ونظرا لكثرة السوابق القانونية و تعقيد القوانين فقد نشأت طائفة أطلق عليها " المتحدثون فى القانون كانوا يعرضون على المتخاصمين ان يفسروا لهم القانون ويساعدوهم على السير فى قضاياهم.

ومن المرجح ان القضاة كانوا يبقون فى مراكزهم مدى الحياة مالم ينسب اليهم مايدعو الى فصلهم بسبب بعدهم عن العدالة ،ومما عمله قمبيز لضمان نزاهة القضاء ان أمر بأن يسلخ جلد القاضى الظالم حيا وأن يستخدم هذا الجلد لتنجيد مقاعد القضاة ،ثم يعين ابن القاضى القتيل بدلا منه .

وفيما يتعل ببعض العقوبات ،فلقد كانت الجرائم العفرى يعاقب عليها بالجلد من خمس جلدات الى مائتى جلد و ذلك بسوط من سياط الخيل ،وكان عقاب من يسمم كلب راع مائتى جلده ،ومن يقتل آخر خطأ يعاقب بالجلد تسعين جلده ،وفى بعض الاحيان كان يستبدل الجلد بالغرامه وذلك على اساس احتساب كل جلده واحدة بست روبيات .

أما الجرائم التى هى أشد من هذه فكان يعاقب عليها بالكى بالنار او بتشويه الاعضاء او بتر بعض الاطراف ،أو سمك العين او السجن او الاعدام ،وكان نص القانون يحرم على أى انسان حتى الملك نفسه ان يحكم على انسان بالقتل عقابا على جريمة صغرى ،ولكنه يحمل القتل عقابا على خيانة الوطن او هتك العرض أو اللواط ،أو القتل او حرق الموتى او دفنهم سرا ،او الاعتداء على حرمة القصر الملكى ،او الاتصال باحدى سراوية ،او الجلوس مصادفة على عرشه او الاساءة الى احد أفراد البيت المالك .

وكان يتم اعدام المذنب بعدة طرق منها ارغامه على تجرع السمم ،او خزقه او صلبه ، أو شنقه ،أو رجمه بالحجارة او دفن الجسم الى مادون الراس ،أو تهشيم راسه بين حجرين كبيرين ،أو خنقه فى رماد ساخن ،اوبقتله

بواسطة مايعرف باسم عقاب الزورقين ،وفيه كان يؤخذ قاربان متماثلان تماما ثم يوضع المعذب على ظهره في أحدهما ويغطى بالقارب الثاني بحيث يترك راسه ويداه وقدماه في خارج القاربين ، اما سائر جسمه فيكون بينهما ثم يقدم له الطعام ،فاذا رفض أرغموه على ذلك بوخز عينيه ،وبعد تناوله يسقونه مزيجا من اللبن والعسل يصبونه في فمه و على وجهه بأكمله ،ويظل وجهه في هذه الاثناء موجهسا نحو الشمس ،فلا يلبث أن تغطيه أسرابا الذباب ،ونظرا لتبرزه وتبوله في مكانه فكانت تكثر الحشرات و الديدان في البراز الاقذار وتتسرب الى جسده ،ويترك هكذا الى أن يموت ويتحلل جسده ،ولايرفعون القارب الذي فوق جسده الا وقد تآكل جسده وتكاثرت الدايدان فيه .

المراجـــــع

- عبد المنعم محمد حسنين : الايرانيون القدماء ، القاهرة ١٩٧٤.

- محمد ابو المحاسن عصفور ،معالم حضارات الشرق الادنى القديم ،بيروت ، ١٩٧٩،ص ٢٧٢،٢٧٧.

- محمد عبد السلام كفافى : فى أدب الغرب وحضارتهم،وبيروت ١٩٧١ ،ص ١٣٤ — ١٤٢

ول ديورانت ،قصة الحضارة ،المجلد الاول ،الجزء الثانى

- Gray, G.B., " The Reign of Darius" , In C.A.H., Vol. IV, PP. 184 ff.

- Huart, C., Ancient Persian and Iranian Civilization, PP. 25 ff.

- Plutarch, Life of Artaxerxes

- Rawlinson, Five Great Monarchies of the Aneient Eastern world, III, PP. 171 - 172, 241,245.

الفكر الدينى

لايوجد لدينا فكرة واضحة من طبيعة الفكر الدينـــى القديم فى ايران قبل ظهور زردشت والمعلومات التى بيـــن أيدينا مستمدة من كتاب زردشت الدينى ومما ورد فى كتابات المؤرخين اليونان .

ويستدل مما ورد فى الأوستا أن القوم قد عبــــدوا الاجرام الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم ، كما أنهم قدسوا عناصر الطبيعه من ماء ونار وتراب ،وروى المؤرخ هيردروت أن الفرس كانوا يعبدون الشمس والقمر والارض والنار والماء والنجوم منذ أقدم الازمنه ،وبقى فى دين زردشت بقايا مـن الفكر الدينى السابق له تمثل فى تقديس الاجرام الطبيعيـــة وتقديس عناصر الطبيعه ، كما أن به دعوة حاره الى نبـــذ السحر وعبادة الشياطين .

زردشـــــت :

يعتبر زردشت المؤسس الحقيقى للدين الفارسى القديم لشخصيته وتعاليمه قد صبغت هذا الدين بصبغة قوية ميزتـــه عن غيره من الأديان الاريـــة . ويختلف الباحثون حـــــول زمان مولده ومكانه ،وفيما يتصل بزمان مولده ،فقد اتجـه المؤرخون اليونان الى القول بانه قد ظهر قبل الميـــلاد بحوالى ستة آلاف عام أو أكثر ،بينما ترى الكتب اليهوديـــة

أنه ظهر قبل حملة الاسكندر بثلاثمائة عام ، أما الروايات الزردشتيه فتذكر أن زردشت قد ولد في حدود سنه ٦٦٠ق٠م٠

ويتجه العلماء المحدثين الى تحديد تاريخ مولده فيما بين القرن الرابع عشر والقرن السادس قبل الميلاد، وان كان معظم العلماء يتجهون الى الاخذ بالرأى الذى نادى به وليامز جاكسون A.VW . Jaclspm وهو أن زردشت قد ولد فى النصف الثانى من القرن السابع ق ٠ م وتوفى فى النصف من القرن السادس ق ٠ م ٠

أما عن المكان الذى نشأ فيه . فكان الرأى الذى أنه فى بلخ ، ولكن الرأى الغالب أنه ولد فى منطقة أذربيجان وفى شيز على وجه التحديد ،وهذا الرأى الاخير يطابق ما ورد فى الأوستا والكتب البهلوية،ويذكر بعض المؤرخين الاسلاميين كالبلاذرى وابن الفقيه والمسعودى وأبى الفداء أن زردشت من أذربيجان ،وأنه ولد فى (أرمينه) وعلى ذلك فانه طبقا للروايات الزراشتيه والاسلامية وأقوال غالبية المستشرقين يكون موطن زردشتا فى غربى ايران ، ومن هناك هاجر شرقا الى بلخ حيث قام بنشر دعوته ٠

وفيما يتصل بحياة زردشتا ،فقد ورد فى الأوستا فصل كامل عن حياته ،ولكن هذا المفصل فقد ،وقد حفظت

أجزاء منه فى الكتابات الدينية البهلوية ،ويشوب الكثير مما ورد عن حياته وبخاصة مولده الكثير من العجائب والخرافات ، ومنها : أن أمه قد حملت به حملا الهيا مقدسا ذلك أن الملاك الذى كان يرعاه تسرب الى نبات الهوما ، وانتقل مع عصارته الى جسم كاهن حين كان يقرب القرابين المقدسة ،وفى ذلك الوقت نفسه دخل شعاع من أشعة العظمه السماويه الى صدر فتاة راسخة النسب ،وتزوج الكاهن بالفتاة وامتزج الحبيبان الملاك والشعاع ،فولد زرادشتا من هذا المزيج ، وتروى الأساطير -أنه حين ولادته لم يبك مثل سائر الاطفال ،ولكنه ضحك ففرت من حوله الأرواح الخبيثة ، وفرحت الطبيعة بمقدمة فاهتزت الاشجار واسابت الأشجار .

ولما بلغ سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل ،وبدأ دعوته فى عمر الثلاثين ،وتروى القصص أنه لم يستطع أن يقنع أحد بدينة لمدة عشر سنوات حينما نجح فى اجتذاب تاج واحد ،ولكنه وبعد أن نجح فى اقناع أحد ملوك ايران بدعوته أخذ فكره فى الانتشار فى ايران ثم فى بعض أجزاء من الهند وآسيا الصغرى .

وكان الكتاب المقدس للدين الجديد هو مجموعة الكتب التى جمع فيها اصحاب زردشت واتباعه أقواله وأدعيته ،

وسمى أتباعه المتأخرون هذه الكتب باسم " الاوستان (الابستان) وتجمع الروايات على أن ما وصلنا من صحف زردشت نزر يسير مما كانت له عليه ،ويتجه بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ما يعادل ربعها فقط، وطبقا لما ورد في كتاب " دنيكرت " (أحد الكتب البهلوية المشهورة) فان الاوستا التى كانت موجوده فى العصر الهجا منش قد احترقت عندما اشغل الاسكندر المقدونى النيران فى قصر الحكم ،وحصل اليونانيون على نسخة أخرى لها وترجموا اقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم الى اللغة اليونانية وألقوها بعد ذلك فى النار، وفى العصر الساسانى تم جمع ماحذف من الأوستا من علوم الطب والفلسفة والنجوم والجغرافيا من اليونان والهند وأضيف اليها ،وتم الاعتراف بهذه الاوستا رسميا فى عهد سابور الكبير (٣١٠ – ٣٧٩ م) واعتبرت قانونا للدولة .

وتتكون الأوستا أو الابستان حاليا من خمسة أجزاء هى :

(١) يسنا yasng : وهى أهم الاجزاء ،ومعناها العبادة والتسبيح والصلاه والعبد ، وتتكون من ٧٢ نصلا كل فصل منها يسمى " ها " أو " هات " ويعتقد أن الفصول الاولى من اليسنا اكثرها قداسة لأن الزردشتيون يعتقدون أنها من نظم زردشت نفسه .

(٢) ويسبرد : ومعناها (كل السراه) وهو ليس كتابا مستقلا بذاته بل يمكن القول بأنه من ملحقات اليسنا، ويسمى كل فصل من فصوله (كرده) وتتراوح عدد فصوله ما بين ٢٧ و ٢٣ فصلا .

(٣) ونديداد: ومعناه (قانون ضد الشياطين) وهويتكون من ٢٢ فصلا ،وتتصل فصوله بخلق الارض والاقاليم والصحة والمرض والقوانين المذهبية والاحكام الدينية .

(٤) يشتها : جمع كله " يشت " ومعناها العباده والتسبيح فهي تسابيح للخالق وملائكته ، وفيها العديد من الفقرات التي تشير الى بعض الاحداث التاريخية التي صيغت في قالب أسطوري والموجود الآن منها واحد وعشرون يشتا تتراوح فيما بين الطويل والقصير.

(٥) خرده أوستا : أي الابستان الصغير أو مختصر الابستان، وهو كتاب للصلاة والادعية الخاصة بكل وقت من اليوم والايام المباركة من الشهر ،والاعياد الدينية في العام ،والمراسم الاخرى وأوقات الصحة والمرض ،وفصول هذا الكتاب وأدعيته مستخرجه من الابستاق الكبير مع ادخال تعديل في أول وآخر كل منها يلائم الصلاة والدعاء في كل مناسبه ،وقد زيد عدد هذه الأدعية فيما بعد.

وبمرور الزمن أصبحت فنون الأوستا من الغموض بحيث احتاجت الى شرح وتوضيح ولم يكن فى وسع كل زردشتى أن يفهمها ،فوضعت العديد من الشروح والتفاسير المختلفة والتى منهـا :

(١) الزند : هو الشرح الأول للأوستا ، وقد بدىء فى كتابته فى القرن الاول الميلادى وهو ترجمة حرفية للاوستا مختلطة بالمتن ،وكثيرا مايخلط القدامى بينهما.

(٢) البازند : تفسير الزند و كتب بالبهلويه وقد ظهرت لغة البازند بعد الفتح العربى .

(٣) ايارده أوهى شرح شروح الاوستا فهى شرح للزند وسائر الشروح الاخرى ،وهى أوضح التفاسير للاوستا.

ومن أهم خصائص دين زروشت ، التثنية ، أى الاعتقاد بوجود قوتين تسيطران على هذا العالم هما قوة الخير وقوة الشر ، او اله الخير الذى يمثله أهورا مزدا يقابله الشر الممثل فى الشيطان أهريمن ،وعالم الدنيا من خلق الله ،ولكن الشيطان يفسد هذا الخلق ويتلفه ولولا هذا لكان عالمنا الدينوى عالما خيرا ،لانه من خلق اله الخير ان هذا العالم الدينوى هو نقطة الاحتكاك بين الخير والشر ومسرح الحرب بينهما ،ومحور هذا العالم هو الانسان

الا انه يؤمن أن الشيطان فى النهاية سينهزم ،ويختص الى الابد وبذلك تسود مملكه النورى وهنا تقوم القيامه ويبعث الناس ،ويكافأ الخير ،ويعاقب المذنب .

وتؤمن الرزوشيته بالبعث ،وكذلك بالحساب ،ويكون حساب الانسان يوم البعث منوطا بما قدمه فى الدنيا من خير أو شر .

وكان أهور مزوا اله الايرانيين القدماء ،ومعنى اسمه " الاله الحكيم " وأهم صفاته العلم والحكمه ،وهو حارس يقظ ،يحمى و يقى ،يكافئ ويعاقب ،وهو أب لكل شئ حسن وهو خالقه ،وعرشه فى السماء فى عالم النور والخلود ،ويوجد حوله عدد من الملائكه يتلقون أوامره وينفذونها .

ويقف امام عرش أهور مزدا عدد من الملائكة الكبار يتلقون أوامره وينفذونها ،وهؤلاء الملائكة الكبار شبيهون بالوزراء ،والاسم الايرانى الذى أطلق عليهم يفيد معنى الكائنات المقدسة الخالدة ،وعدد هؤلاء الملائكة ستة وتتكون منهم مع أهور مزدا قيادة مملكة النور وهم ليسوا كائنات حية ،وانما هم اسماء تعبر عن مثل او تصور فضائل مجردة مطلقة ،وهذه الفضائل هى : (١) الفكر الخير ،(٢) الصواب

(٣) الكون اولئك المرتجى ،(٤) التقوى الخيره ،(٥) الصحة المبخية ،(٦) الخلـــود .

وحسب الفكر الدينى الزردشتى ،فلقد كان أهور مزدا هو خالقها وقد أوجدها لتعاونه فى عمله ،وكل مالها من قوة خالقة او منظمه يلائم وضعها بوصفها عمالا عند أهـور مزدا الذى يمضى ارادته ومشيئته عن طريقها ،وهو يكلفها بكثير من الاعمال الدنيا ،فالفكر الخير موكل برعاية الحيوانات النافعه ،والصواب الاعظم موكل برعاية النار والملك المرتجى موكل برعاية المعادن ،والتقوى الخيرة الالهه الارض ،والصحة المنجية موكله برعاية الماء ،و أما الخلود فموكل برعاية النباتات .

ويخص لكل من هذه الملائكة شهر لتعظيمه ،كما أن لكل منها يوما مقدسا ،كما أن لكل من هذه الملائكه نوعا من الزهور يناسبه ويقدم اليه كهدايا ،فالياسمين يهدى لملك الفكر الخير . ويلاحظ انه حسب الفكر الزروشتى كان لكل من هذه الملائكة شيطان يعارضه ولكن كل ملك سوف ينتصر على شيطانه ،وذلك حينما تقوم القيامه ومنع الحساب .

ويلى طبقة الملائكة الكبار ،طبقة أخرى من الملائكة

تعرف باسم " اليزاتات" Yazalas ومعناها الكائن المعبود ،ومهتمهم أن ينقلوا أوامر الله الى الناس و أن ينفذوا ارادته ،وعددهم يقدر بالالاف ،وهى ليست متساوية فى أهميتها ،وتنقسم الى فريقين ،فريق سماوى وفريق أرضى ،ويأتى على راس الفريق السماوى اهور مزوا ،وعلى راس الفريق الارضى زرادشت .

ويعتقد الزرادشتيين بوجود عدد كبير من الارواح الخيره ،وهى تمثل عنصرا روحيا فى تكوين الانسان و كان يطلق عليها " فرافاشا " وهى تعنى الملك الحارس أوالراعى وكان يوجد فى السماء قبل ان يولد الانسان ،وعند موت الانسان تتحد الروح بنفسه ،ولهذا فان نفوس الموتى تعد أرواحا من هذا النوع . واعتقد أن هذه الارواح تعاون البشر فى محاربة الشر وتحرس كل ماهو نافع ومفيد فى الدنيا .

ولم تقتصر مملكه السماء على الملائكه بل ضمت كذلك كائنات خرافية خيره كانت تعاون كذلك فى حسن ادارة العالم وجلب الخير للانسان .

وبجانب قوة الخير فى العالم والتى يمثلها

الملائكة ،توجد قوة الشر والتى يأتى على رأسها الشيطان الاكبر المعروف باسم " اهريمات " وهو بطبيعته شرير منذ البداية ،وصور فى الاوستا على أنه شرير وانه يتعقب اهور مزوا ليتلف فى اصرار مايخلقه وهو يحاول أن يضعف سلطة الخير ،وان كان لايستطيع القضاء عليها . فما خلق أهور مزوا خيرا الا خلق أهريمان شرا يقابله ،ولهذا سميت أعماله بالافعال المضادة ،فينسب اليه خلق الموت وانه صانع الشر وأنه يمنع المياه من أن تجرى فى مجاريها الطبيعية ،كما أنه يخلق الجراثيم والاوبئة والامراض ليؤدى الناس ويؤلمهم .

وكان يلى اهريمان مجموعه من الشياطين تولت من الفكر الشرير ،ومن الشيطان الاكبر ،ومن العقل الخاطىء وقد خلقها اهريمان لتحارب الخير وتؤدى الناس ،وكان منها مايظهر فى صورة البشر ،وهى فى غالب الامر تشخيص للآثام والاحزان والامراض .

ولقد راعت العقيدة الزرادشتيه الاحتفاظ بطهارة عناصر الطبيعة من ماء ونار وهواء وتراب ،فلقد كانت النار عندهم مصدر النور ،والنور رمز لاله الخير،ويتضح تقديسهم للارض فى طريقه دفنهم لموتاهم ،فاذا مات انسان

حملوه الى جبل ،ووصفوه فى الهواء فى وعاء اسطوانـــى حيث يترك تحت حرارة الشمس لتفترسه الطيور الجارحـــة المتوحشة ،وكانت طهارة الماء واجب دينى يلتزمون بـــه وكان يمنع القاء الحيوانات المنافعة فى مجارى الميـــاه

ودعا زراوشت الى العديد من المبادىء الخلقيـــة ومنها ان كل انسان مسئول عن عمله ،وأن الاعمال الطيبة تسجل له ،كما تسجل الاعمال السيئه عليه ،وسوف توزن هذه الاعمال يوم البعث ويحاسب عليها الانسان •

ومن هذه المبادىء الخلقية الوفاء بالوعـــد وعدم خداع الناس ،والكذب ،ولقد كان الكذب من اكبـــر الرذائل ،ويليه الوقوع فى الدين ،كما أنه يدعو الـــى الاعتزاز بالقومية وطاعه الحكام المدينية ورجال الديـــن والتنامه والشجاعه ومحبة العلم والحكمه •

وجاء فى الاوستا أن على الانسان واجبات ثلاثـــة ان يجعل العدو صديقا ،وأن يجعل الخبيث طيبا ،وأن يجعل الجاهل عالما ،وأعظم الفضائل عند زرادشت التقوى ويأتـى بعدها مباشرة الشرق والامانة عملا وقولا ،وحرم أخـــذ الربا من الفرس ،وجعل الوفاء بالدين واجبا يكاد يكـــون مقدسا • وراس الخطايا كلها هى الكفـر •

ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الاطلاق فان أول مايجب على الانسان أن يفعله هو أن يعبد الله بالطهر والتضحية والصلاه ،ولم يسمح باقامه الهياكل او التماثيل ،بل كانوا ينشئون المذابح المقدسه على قمم الجبال و فى القصور او فى قلب المدن وكانوا يوقدون النار فوقها تكريما لاهور مزدا او لغيره من صغار الالهه ،و كانت كل أسرة تجتمع حول موقدها تعمل على أن تظل نار بيتها متقده لاتنطفىء أبدا.

المراجع

رشيد الناضورى : المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ،الكتاب الثالث ،المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى ،بيروت ،١٩٦٩ ص١٥٥.

محمدعبدالسلام كفافى : فى أدب الفرس وحضارتهم ،بيروت ،١٩٧١ ص ١٩١ - ٢٢٠ .

يحيى الخشاب : " فصل فى اسلام فارس " فى مؤلف ثمرات فارس ،القاهرة ،١٩٥٩، ص ٤

دل ديورانت: قصة الحضارة ،المجلد الاول الجزء الثانى ص ٤٢٤ - ٤٣٧.

Brown, E.G., Aliterary History of persia, vol
I, Cambridge, =1964, pp. 99 - 102

Frye, R.N; the Heritage of Persia, London, 1962
p. 51 ff.

Gray, G.B. " Tje reign of Darus" in C.A.H.,
vol IV , p. 207.

Jackson, A.V.W., Zoroaster, the prophet of
Ancient Iran, N.y., 1919.

Meyer, E., in Encyclopaedia Britannica,
11 th Ed., xxl, 205 b.

دراسة لبعض مظاهر العمارة الايرانية
فى العصر الهخامنشى

امتدت الامبراطورية الفارسية فى العهد الهخامنشى (الاكمينى / الكيانى) لتشمل ايران والعراق ومصر وسوريا ومملكة ليديا بآسيا الصغرى المدن اليونانية الموجودة بها وبعض جزر البحر المتوسط وبعض مناطق من الهند وترجع بداية تأسيس الامبراطورية الفارسية الى عهد الملك قورش (٥٥٩ - ٥٣٠ ق.م) الذى يطلق عليه غالبا قورش الكبير . فبعد أن وطد حكمه فى ايران واصبحت مملكته .

، تعرف باسم مملكة الميديين والفرس ، اتجه الى تكوين امبراطوريته ،فتمكن عام ٥٤٧ ق٠م من الاستيلاء على ليديا ومعظم آسيا الصغرى ٠ وقام فى الفترة من ٥٤٥ - ٥٣٩ ق ٠ م بتوسيع حدود دولته ناحية الشرق حيث وصل الى الهند التى ضم مناطق منها الى دولته و عام ٥٣٩ ق٠م تمكن من الاستيلاء على بابل وسوريا وفينيقيا ٠ وتوفى قورش عام ٥٣٠ ق٠م أثناء حملة قام بها للقضاء على الاضطرابات عند حدوده الشرقية ،وكان قد كلف ابنه قمبيز بتجهيز جيش لفتح مصر ،وتمكن الملك قمبيز (٥٣٠ - ٥٢٢ ق٠م) بعد أن خلف والده فى الحكم من الاستيلاء على مصر عام ٥٢٥ ق٠م ٠

وبعد موته خلفه دارا الاول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق ٠ م) واستمرت الاسرة الهخامنشية حتى دخول الاسكندر الاكبر ايران عام ٣٣٠ ق٠م ٠

ولقد كان لفن العمارة الفارسى طبيعته الاصلية التى تأثرت بفنون عمارة الدول التى انطوت تحت لواء الامبراطورية الفارسية ،ونتج عن ذلك فن مركب هو الفن الاكمينى ظهر ذلك فى احجام المبانى شديدة الضخامة وفى زينتها وزخارفها شديدة الثراء ٠ ويلاحظ

أن كل ماتبقى من مظاهر العمارة الايرانية يتصل بالملوك وسنقوم فيما يلى بدراسة نماذج من العمارة الايرانيـــة فى العصر الاكمينى و فيما يتصل بالقصور والمقابــــر الملكية واخيرا المعابد ،وسنوضح التأثيرات الاجنبيـــة فيها وبخاصة التأثيرات المصرية والعراقيــة والايونيــة

القصــور الملكيـــة

بذلت محاولات كبيرة لدراسة بقايا القصور الملكية فى المدن الفارسية الكبرى : باسارجادا وسوسه وبرسبوليس وفى الوقت ذاته اتجهت الجهود لمحاولة ترميم طرزهـــا المعمارية . فلقد كان المقر الملكى فى الواقع هـــو المركز السياسي للامبراطورية ،و نقذ المعمارى فـــى المبانى الملكية ماكان يتصوره فى خياله . بينمـــا اتبعت المبانى الجنزية طرازا واحد فقط يتشابه فـــى جميع الاحوال . فلقد اجتهد المعماريون الذين كانـــوا يشيدون القصور الملكية في تغيير تصميماتهم المعمارية من قصر الى آخر ،حيث رغب كل ملك فى تشييد قصـــر مستقل له ،ولم تكن لدى أى ملك الرغبة فى أن يستخـــدم الاشياء التى استخدمها اسلافـــه .

" ويذكر استرأبون ان احد المؤرخين المعاصريـــن للاسكندر وهو بوليكليوثوس (Polycleitos) قـــد

لاحظ ذلك فذكر " أنه على قمة الهضبة شيد كل ملك لنفسه قصرا مستقلا ،بأثاثه ونفائسه وأدواته ،والتي كان الهدف منها ان تكون جزية او اتاوة يفرضها في عهده ثم تبقى اثرا يذكر بادارته "

وبعد أن اتحدت الملكية الفارسية نقل قمبيز الاول عاصمته الى باسارجادا (يفيد اسمها معنى "معسكر الفرس ") وهي تقع في منطقة غنية وتتركز وسط قبائل الفرس التي تنتشر في ايران من الناحية الجنوبية الغربية والى الجنوب من الصحراء الكبرى الوسطى في اتجاه كرمان .

ومن الميزات التي تمتاز بها منطقة باسارجادا وجود قلعة محصنة تحصينا قويا ،وهي تغطي مساحة كبيرة ،اذ يبلغ طولها حوالى ٢٠٠ م بينما يصل عرضها الى حوالى ١٣٠م ،ويقع الى الشمال من القلعة مباشرة وأد مغلق يحيط به سور من الطوب اللبن ،ويوجد أعلى السور أبراج مربعة أبراج مربعة على مسافات متساوية .

وفي عهد قورش الكبير اصبحت باسارجادا عاصمة الامبراطورية ،ولقد شيد فيها قصره ،الذى ظلت بقاياه قائمة حتى مجيء الاسكندر الاكبر الى هذه المنطقة ،وتوجد

بقايا هذه القصور حاليا فى الخرائب الموجودة شمال شرق مقبرة قورش بحوالى نصف ميـــل •

ويتكون قصر قورش الكبير فى بـاسارجادا من ثلاثـة مباني رئيسية (شكل ٣) يقع المبنى الاول فى أقصـــى الجنوب الشرقى ،ويوجد مدخله الرئيس فى الركن الجنوبى حيث تبرز من السور المحيط بالبناء كله بوابه ضخمــة أطلالها مربعة • وبعد المدخل توجد صالة كبيرة رفــع سقفها على صفين من الاعمدة ،يتكون كل صف منها من أربعة عمد غير مقناة ،وقد قدت من الحجر الجيرى الابيـــض ونصبت الاعمدة فوق اسطوانات من الحجر الجيرى واساسات من الكتل الحجرية البيضاء • وفى كل جانب من الجانبيـن القصيريـن للصالة يوجد ممر ،وضع عند مدخل كل منهمـــا تمثالان كبيران مصنوعان من الحجر الجيرى الرمـــادى المائل للسواد ،واتخذت التماثيل شكل ثور ذى أجنحـــة واقيمت التماثيل فوق كتل حجرية سوداء• ويلاحـــظ أن الثورين الموجودين عند المدخل المواجه للقصر الملكـى لهما رؤوس آدميـــة •

وكانت توجد فى الشمال الشرقى من الصالة حجـــرة صغيرة ،نقش عند مدخلها شكل انسانى يبلغ ارتفاعـــه

تدمين ،وقد رفع يديه فى وضع تعبد وهو متأثر بالاشكال الاشورية العراقية ،ولهذا الشكل الانسانى أربعة أجنحة ويوجد فوق راسه تاج (شكل ١٠) ويظهر التأثير المصرى واضحا فى هذا النقش ،ويتضح ذلك من وجود الاجنحة التى تمثل الاله حور . وتأثر التاج بالتيجان المصرية القديمة ،وقد زين التاج بقرنين منبسطين كانا يرمزان فى مصر للاله امدن ،ولقد سجل فوق هذا النقش نص مكتوب بثلاث لغات هى الفارسية والعيلامية والاكدية جاء فيه " أنا قورش الملك ، الاكمينى " .

والى الشمال الغربى من المبنى الاول وعلى مبعدة مايقرب من ٨٠ م يقع المبنى الثانى والذى يطلق عليه قصر الاجتماعات (شكل ١١) وذلك على قناة صغيرة . ولقد شيدت جدرانه من الطوب اللبن ويبلغ سمك الجدران حوالى عشرة اقدام ،واقيمت الجدران فوق اساسات من كتل الحجر الجيرى الابيض ،ويلاحظ ان اعتاب الابواب واكتافها والنوافذ قد شيدت من كتل الحجر الجيرى.

وتقع واجهة " قصر الاجتماعات فى الناحية الجنوبية " الغربية ويبلغ طولها حوالى ١٨٧ قدما خصص منها حوالى ١٠٠ قدم للشرقة الرئيسة ولم يتبق منها سوى حجرتين صغيرتين ،واحدة فى كل ركن من أركان الشرفة وزينت

جوانب القصر الاخرى برفات مماثلة ،ولكن يلاحظ ان الشرفه الواقعة خلف القصر كانت من أطول هذه الشرفات نظرا لعدم وجود حجرات جانبية فيها • ولقد زينت اكتاف الابواب سواء في واجهة القصر او جوانبه بنقوش متماثلة وهى صور ثلاثة كهنة حفاة الاقدام يرتدون ثيابا تصل حتى أقدامهم ،وتشبه هيئتهم هيئة الكهنه الاشوريين •

ويتكون قصر الاجتماعات من صالة كبيرة ذات شكل مستطيل وقد رفع سقفها فوق صفين من الاعمدة يبلغ عددها أربعة في كل صف • وتتميز الاعمدة بطولها وقلة سمكها ،فبينما يصل ارتفاعها الى حوالى أربعين قدما فان قطر محيطها يصل الى ثلاثة أقدام ونصف قدم و كانت قواعد هذه الاعمدة عبارة عن كتل حجرية سوداء ذات شكل مربع ،وشكلت تيجان الاعمدة من حجر أسود ،وقد نحت على هيئة الجزء الامامى لبعض الحيوانات التى امكن معرفة الثيران والاسود والخيول وأحيانا كانت تأخذ اشكالا مركبة تشبه تيجان الاعمدة العراقية •

والى الشمال من قصر الاجتماعات بحوال ٣٦٥ م يقع المقر الملكى (شكل١٢) ويبلغ حجمه ٧٦ × ٤٢ م • وتوجد في واجهة القصر شرفه مقامه فوق صفين من الاعمدة الخشبية

ويبلغ ارتفاع هذه الاعمدة ستة أمتار . ويلاحظ ان المقر الملكى يشبه فى تصميمه العام ونقوشه قصر الاجتماعات .

ويتضح من دراسة نماذج الاعمدة التى استخدمت فى مبانى قورش فى باسارجادا ،أنها متناثرة بالاعمدة الايونية فى آسيا الصغرى . وذلك من حيث شكلها العام وفى استخدام الحجر الجيرى الابيض والاسود (شكل١٣)

وبعد أن تولى دارا الاول العرش (٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م)
وامتدت امبراطوريته من مصر غربا الى الهند شرقا اصبحت العاصمة باسارجادا صغيرة بالنسبة لهذه الامبراطورية فاختار مدينة سوسة لتصبح عاصمة سياسية وادارية ويشير دارا فى أحد نصوصه الى ماقام به من أعمال ترميم للمبانى العيلامية التى كانت موجودة فى سوسة واقامته لمبانى اخرى جديدة بدلا من تلك التى دمرت وجاء فى هذا النص: " لقد قمت بترميم العديد من الحصون التى لحقها التدمير ،وأجدت بناء القلعة ،كما قمت ببناء حصون جورناما (Gurnama) واللانوش (Allanush) ،ولقد شيد فى هذه العاصمة العديد من المبانى ،منها القلعة التى أقامتها فوق انقاض القلعة العيلامية ،وشيد القصور الملكية الى الشرق من القلعة ،أما مبانى العاصمة فتقع الى الجنوب من القصور

وأحاط هذه الاقسام الثلاثة بسور كبير حفر أمامه أخدودا هو النهر الصغير شاهور لحماية المدينة .

ولقد سجل الملك دارا الاول في أحد نصوصه عمليــة تشييده لقصره في سوسه والشعوب المتعددة التي شاركته فيها ،ومما جاء في هذا النـص :

" هذا هو القصر الذي شيدته في سوسه ،وأحضـرت زيناته وزخارفه من اماكن بعيدة ،ولقد حفرت أساساتــه حتى وصلت الى القاعدة الصخرية . ووصل عمق الاساســات في بعض المناطق الى ٦٠ قدما بينما كانت في مناطـــق أخرى ثلاثين قدما ،وأخذ البابليون الرديم والحصـــى المستخرج وصنعوا منه الطوب المحروق ،وقد أحضرت كتـــل اخشاب الارز من جبل يسمى لبنان ،ولقد قام الاشوريـــون باحضاره الى بابل ،حيث قام الكاريون والايونيون بتوصيله الى سوسه ،وجلبت اخشاب الساج من جاندارا
وكارمانيا . وأحضر الذهب الذي استخدم في القصـــر من ساردیس وباكتيريا ،وجلب اللازورد والعقيق مــــن سوجديانا ،والفيروز من شورا سمي ،والفضة والابنوس مــن مصر ،والزخارف التي زينت بها الجدران من ايونيــا والعاج من أثيوبيا والهند واراشوذى ،والاحجار الخاصة

بالاعمدة من منطقة ابيرادوش فى علام ،وأما النحـــــات الذين قاموا بنحت الحجارة فقد كانوا من ايونيـــــا وسارديس ،وجاء الصياغ الذين قاموا بتصنيع الذهـــب من ميريا ومصر • أما الاثاثات الخشبية فقام بصناعتها عمال ساردين ومصر ،وقام العمال البابليون بصناعـــة الطوب المحروق ،بينما قام الميديون والمصريـــــون بزخرفة الحوائـــط ••• "

وشيد القصر على النمط البابلى ،فبنى منهم صناعية كما اتبع فى تصميمه نمط القصور البابليـة والاشوريـــة (شكل ١٤) ويلاحظ أن تخطيط مبنى الاجتماعات يشبه نظيـــره فى باسارجادا بما فى ذلك وجود صالة وسطى يحيط بهـــا ثلاثة أروقة ،وتوجد عند زواياها الشمالية حجرتـــان مربعتـان ،ورفع سقف الصالة الوسطى فوق ستة صفوف مـــن الاعمدة ،فى كل صفة ستة أعمدة ،وبذلك يصبح عدد أعمدتهـا ستة وثلاثين عمـــودا•

ولقد قدت هذه الاعمدة بمهارة ودقة واتقان ،وكـــان جسم العمود مضلعا ،وقاعدته مربعة ،وزينت تيجانــــه بمقدمتى ثورين (شكل١٥) ويبلغ ارتفاع كل عمود عشريـــن مترا ،وكان بكل رواق من الاروقة الثلاثة صفين مكونيـــن من ستة عمد كانت قواعدها على هيئة الناقـــوس •

وتوجد حجرة العرش فى الشمال الغربى من مجموعة مبانى القصر ،وهي مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٥٩ مترا وقد صنعت بوابتها من الخشب المغطى بصفائح البرونز ويلاحظ أن الاعمدة الموجودة فيها كانت مقناة ،وشكلت قواعدها على هيئة الناقوس ،أما تيجانها فقد زخرفت بمقدمتى ثورين ،ويوجد فى تيجان الاعمدة بقايا طلاء أحمر مما يستدل منه على أن أعين الثيران كان يتم تلوينها .

ولم يمض وقت طويل على الانتهاء من العمل فى قصر سوسة حتى يقرر دارا بناء عاصمة أخرى فى برسيبوليس فى موطنه الاصلى فارس وتقع برسيبوليس جنوب ساراجادا ويرجع أهمية موقعها الى طبيعتها الدينية ،حيث دفن الملوك الاكمينيون بالقرب منها فى موقف نقش رستم و حيث كان يتم الاحتفال سنويا عند بداية الربيع بعيد النيروز ،وهو العيد الكبير للديانة المزدية . وهويمثل راس السنة .

وبدا العمل فى المدينة الجديدة باقامة شرفة تستند الى الجبل وذلك على امتداد البروز الشانى من جبل كوهى رهمات (Kuh - I- Rahmat) بطول يقرب

من ٤٥٠ م. ولقد بدا دارا ببناء مدينة برسيوليس عام ٥٢٠ ق.م . واستمر العمل فى بنائها مايقرب من ستين عاما ،حيث استكملت مبانيها فى عهد خلفائه كسركس وارتا كسركس .

وسنحاول فيما يلى تتبع المعالم الرئيسة لمبان برسيوليس (شكل ١٦).

ففى أقصى الشمال الغربى من المدينة يوجد السلم الكبير وقد شيد على شكل منصة ،صنعت درجة من الاحجار الجيرية الجيدة التى تم صقلها حتى أصبحت تشبه الرخام ويتكون السلم من مجموعتين من الدرج أحداهما ناحية الشمال والاخرى ناحية الجنوب . وكان الدرج الموجود ناحية الجنوب مخصصا لصعود كبار رجال الدولة من الفرس والميديين ،أما السلم الموجود ناحية الشمال فكان مخصصا لصعود رؤساء البعثات المشاركين فى الاحتفالات .

ويوجد فى مواجهة السلم بوابة الملك كسركس ويطلق عليها " باب كل الاقطار " ومنها يبدا الطريق الذى يتخذه الموكب فى الاحتفالات .

والى الجنوب من بوابة كسركس توجد صالة الاجتماعات

وقد أضيف اليها أروقة فى جهاتها الشمالية والشرقية والغربية ،وفى الناحية الجنوبية بنيت حجرات التخزين وتوجد عند الاركان الاربعة لصالة الاجتماعات أبراج يوجد فيها درج يؤدى الى سطح الصالة . ولقد نحت عند مدخل كل برج أشكال كلاب كبيرة وحيوانات أخرى مفترسة ،كان الغرض منها الرمز بأنها تقوم بحراسة مداخل الابراج.

ويوجد لصالة الاجتماعات سلمان يؤديان اليها أحدهما فى الناحية الشمالية (٤) والاخر فى الناحية الشرقية (٦) ،وغطيت واجهات السلالم بنقوش ،ويلاحظ أن هذه النقوش كانت متماثلة فى كل من السلمين . وقد نقش موكب مكون من ثلاث وعشرين دولة وقبيلة خاضعة للامبراطورية ورجال البلاط من الفرس والميديين ،وفى ركابهم خيولهم وعربات الملك ومعهم حراس من أهل سوسة .

وفى الجنوب الشرقى من صالة الاجتماعات يوجد بناء يطلق عليه " المبنى الرئيس " أو " صالة المداولة " (٧) وهو عبارة عن بناء صغير له ثلاثة أبواب تذكارية وكان هذا المبنى يصل مابين المنطقة الشمالية ذات الافنية المفتوحة والمبانى العامة الفسيحة ،والقسم

الذى شغلته القصور التى اقام فيها الملوك ،وكان يقابل هذا المبنى فى الناحية الغربية القصر الذى شيـــــده دارا لتقام فيه الولائم الرسمية (٨) ،ولقد أقام الملك كسركس قصرا آخر الى الجنوب لتقام فيه ولائمه الرسميـــة (٩)٠

و الى الشرق من صالة الاجتماعات كانت توجـــــد صالة الاعمدة او صالة العرش (١٠) ويوجد فيها مائة عمود وقد صور فيها رؤساء البعثات السياسية وقد أحيطــــوا برجال من حاشيتهم ،وهم يتوجهون الى صالة العرش حيـــث يدخل كل رئيس بعثة ليضع تحت العرش هداياه ،واذا مـــا انتهت البعثات من مهمتها تعود من حيث جاءت من طريـــق المواكـــب ٠

ويوجد الى الشمال من صالة الاعمدة بوابة ضخمـــة غير كاملة (١١) ،والى الشرق من صالة الاعمدة اماكـــن اقامة الجنود (١٢ ،١٣ ،١٤) أما فى الجنوب فكانت توجد صالة مخصصة لحفظ جزء من الكنوز الملكية (١٥) ،ويقـــع الى الجنوب منها الصالة المعروفة ب " صالة التسعـــة وتسعين عمودا " وهى صالة العرش التى اقامها الملـــك دارا (١٦) ،وكان يوجد الى الجنوب منها الخزائن الملكية (١٧) وفى جنوب المدينة كانت توجد المساكن الملكية (١٨)٠

ومن الاشياء الجديرة بالملاحظة فى مبانى برسيوليس استخدام الاعمدة في كل المبانى بشكل كثيف ،وشكلت قواعد الاعمدة على هيئة الناقوس وزينت جوانبها بنقوش علـــى هيئة أوراق الشجر او زهور ،ويوجد فوق القاعدة حلقـــة غير مزينـــة .

ويمكن تمييز أربعة أنواع من التيجان فى برسيوليس (١) التيجان التى على هيئة مقدمتى ثورين ،(٢) التيجان التى على هيئة رؤوس اسود وقد زودت بقرون ،(٣) التيجان التى على هيئة مقدمة مزدوجة للعقاب ،(٤) التيجـــا التى على هيئة رؤوس آدمية (شكل١٧ ، ١٨) .

وتنوعت نماذج الاعمدة تنوعا كبيرا ،وعكس هـــذا التنوع الطرز المعمارية المتعددة التى تأثر بهـــا صانعوا هذه الاعمدة ،فقد ظهر تأثرهم بالاعمدةاليونانيـــة والفينيقية والمصريـــة .

ويلاحظ فى هذا المجال ان درجة تأثير العمـــارة الفارسية بالعمارة المصرية كان كبيرا ،فبالاضافة الـــى الاعمدة ،فقد أخذ الفرس عن مصر زينة الكورنيش المصـــرى التى زينت بها واجهات المبانى ،وقد ظهرت هذه الزينـــة فى واجهة قصر الملك دارا .

ويرجع ذلك الى مجيء الفرس الى مصر واقامتهم فيها فترة من الزمن ،فتأثروا بما شاهدوه فيها ،وبخاصة معابدها الكبرى بما تحويه من أفنية ومايوجد فيهما من أعمدة ونقوش وزخارف ،كما شاهدوا قاعات الاستقبال في القصور الملكية ،فحاولوا نقل بعض هذه المظاهر المعمارية الى بلادهم ،وساعدهم على ذلك الفنيون المصريون الذين أحضرهم الملك دارا للعمل في المباني الملكية في سوسة وبرسيوليس ،وذلك حسبما ورد في نص الملك دارا الذى سبقت الاشارة اليه .

(٢) المقابر :

شيد ملوك فارس في العصر الهخامنشي لانفسهم مقابر ضخمة ،ويمكن تمييز طرازين معماريين مختلفين لهذه المقابر ،كان الطراز الاول منهما عبارة عن مباني مربعة مستقلة ،وظهر هذا الطراز في باسارجادا ونقش رستم ،وشيد هذه المقابرالملوك الاول في الاسرةالهخامنشية وهم قورش وقمبيز . و منذ عهد الملك دارا الاول تأثرت عمارة المقابر بتأثير خارجي قادم من مصر ،وذلك بعد الغزو الفارسي لمصر ،فأخذ ملوك الفروس ينحتون مقابرهم فيالصخر ،وأول من شق مقبرته في الصخر كان الملك دارا الاول ،ثم تابعه في ذلك خلفاؤه من بعده .

وسنقوم فيما يلى بدراسة نموذج من كل طـــــــراز وستتناول من الطرا الاول مقبرة الملك قورش ،ومـــــــن الطراز الثانى مقبرة الملك دارا الاول ٠

ولقد شيدت الملك قورش مقبرته فى منطقة مشهـــــد مرغب ،وذلك على مسافة قريبة من باسارجادا (شكـــل ١٩) وهى عبارة عن بناء مستطيل يشبه التابوت ،وله سقـــــف جمالونى مكون من كتل حجرية ملساء وله باب فى أحد جانبيه يؤدى الى داخل التابـــوت وترتفع هذه الحجرة فـــوق قاعدة هرمية مدرجة مكونة من سبعة مداميك مبنيـــــة من الحجر ويبلغ ارتفـــاع المقبرة مع قاعدتهـــــــا حوالى احد عشر متـــــــرا وكان يحيط بالمقبرة فـــى العصور القديمة رواق لـــم يبق منه الا بعض أساساتـــه التى يمكن رؤيتها حاليـــا وكانت توجد حديقة تحيط بالمقبرة ورواقها ،وكانت الحديقة تروى بواسطة قنوات تصل اليهـــــــا ٠

ويروى استرابون ان الاسكندر الاكبر عندما جـــاء الى باسارجادا زار مقبرة قورش ويشير انها عبارة عـــن برج بحجم معتدل فى وسط ميدان متسع ،ويوجد اسفلهـــا منطقة صخرية صلدة ،ويتوجها سقف حجرة ذات مدخل ضيـــق جدا •

ومنذ عهد الملك دارا الاول أخذ الملوك يشقـــون مقابرهم فى صخور الجبل الواقع خلف العاصمة برسيوليـس من ناحية الغرب ،وتبعه خلفاؤه من بعده فشقوا مقابرهـم بجوار مقبرته فى المنطقة التى يطلق عليها ،نقش رستم•

ويلاحظ أن هذه المقابر جميعا قد شيدت بطريقـــة واحدة ،وفيما يتصل بمقبرة الملك دارا (شكل ٢٠) فـــان سطحها الخارجى يصل ارتفاعه الى مايقرب من ٢٤٫٤٠ متـرا وهو مرتب فى ثلاثة أجزاء بعضها فوق بعض ،الجزء السفلـى منها عبارة عن بناء مستطيل لاتوجد فيه أية زينـــات ويوجد فوق هذا البناء المستطيل رواق من أربعة أعمـدة شكلت تيجانها على هيئة رؤوس الثيران ،وله باب مزيـــن بزينة الكورنيش المصرى ،ويمثل الجزءان العلويان معـــا مقدمة القصـــر •

وزينت المقبرة فى أعلاها بصور نحتت فى بروز منخفضة ،وتمثل هذه الصور الملك وهو واقف فوق منصة تتكون من ثلاث درجات ،ويمد يده اليمنى فى هيئة المتعبد نحو مذبح اشتعلت فيه النار ،ويظهر قرص الشمس فى أعلى المنظر بين الملك والمذبح ويوجد أسفل المنصة ثمانية وعشرون شكلا لرجل مرتبة فى صفين بعضهما فوق بعض ،ويبدو مرجحا ان هذه الاشكال تمثل المناطق المتعددة التى تتكون منها الامبراطورية الفارسية .

وفيما يتصل بتصميم المقابر من الداخل ،فهى عبارة عن دهليز يؤدى الى حجرة منخفضة يوجد فى أرضيتها اناء واختلف عدد الاوانى التى عثر عليها فى المقابر مابين اناء واحد وتسع أوانى ،وكانت الجدران الداخلية خالية تماما من أية نقوش أو زينة .

ويلاحظ أن فكرة شق المقابر فى الجبال ترجع الى الملك دارا الذى قام بنقل هذا الطراز المعمارى من مصر اثناء تواجده فيها حيث تأثر بالطراز المعمارية للمقابر المصرية الموجودة فى منطقة بنى حسن ،وهى المقابر التى شيدها حكام الاقاليم فى هذه المنطقة فى عصر الدولة الوسطى .

(٣) المعابـــد :

لم يتخلف من فارس القديمة شيء يماثل المعابـــد المصرية او العراقية او اليونانية ،ولايعنى ذلك انه لـم يكن للفرس دور للعبادة ،حيث عثر فى ناحية نقش رستم علـى مركز دينى وجدت فيه بقايا نقوش عيلامية منحوتة فى الصخر كما يوجد تجاه مقبرة دارا معبد على هيئة برج مربع الشكل يسمى حاليا، ،لعبة زراذشت •

وشيد الفرس العديد من مذابح النار ،وتوجد فـى ايران حاليا فى العديد من المناطق آثار مغبرة يطلـق عليها السكان " مكان النار " ولكن المشكلة التـى تواجهنا هى تحديد الحقبة الزمنية التى ترجع اليها•

ويوجد فى منطقة نقش رستم مذبحان منحوتان فـى الصخر (شكل ٢١) وهما غير متساويين فى حجميهما ويلاحـظ انهما متسعان عند القاعدة اكثر من القمة ،ويوجـد فى واجهة كل منهما قبو على هيئة نصف دائرة مصمـت وهو يرتكز على اعمدة مربعة تدخل فى الاركان ،ويوجـد فى اعلاها مائدة مربعة بها تجويف يوضع فيه النار، ويبدو محتملا ان هذين المذبحين كانا أقدم من مبانى برسيوليـس وهما يرجعان الى تلك المدينة الفارسية القديمة وذلك قبـل

أن تنمو وتصبح عاصمة الدولـــة ٠

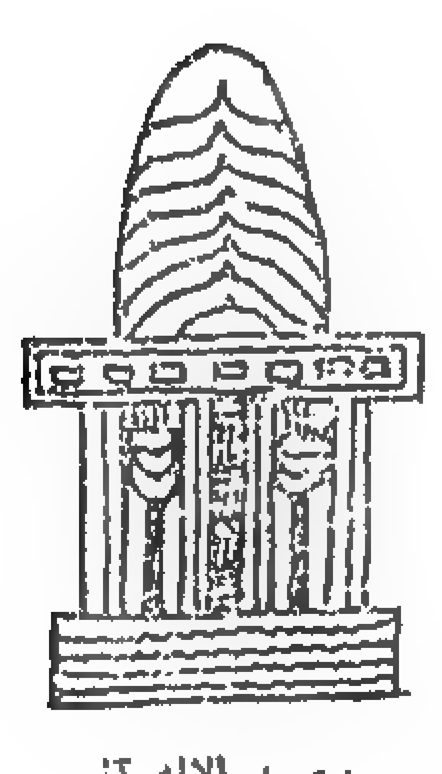
وعثر في باسارجادا بالقرب من مقبرة قورش علـــى ركيزتين يبدو أنهما قد استخدمتا كقاعدتين لمدبجـــى النار ،يطلق عليهما حاليا ،منصة الطاووس " ،وهمـــا يتكونان من كتلة حجرية واحدة تأخذ شكل المكعب ،وهـــى مجوفة من الجانب ،ويؤدى الى احدى هاتين الكتلتين سلم من سبع درجات ٠ أما الكتلة الاخرى فقد اختفى سلمهـــا وبجانب هذه المذابح التى عثر عليها مزدوجة ،فلقـــد كانت هناك مذابح منفردة ،ومنها تلك التى توجد فـــى فيـــروز أبـــاد ٠

شكـل (١)

المراحل التطورية التي مرت بها العلامة المسمارية الخاصة بالاله آنو

الشكل الصوري ٢٢٠٠ ق.م	الفترة السومرية ٢٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م	العهد البابلي القديم ٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م	البابلي الحديث ٦٥٠-٥٢٩ ق.م	شمال، ش شرقية، ش غ، غرب، شرقية، ج شرقية، ج غ، جنوبية

شـــكل (٢)



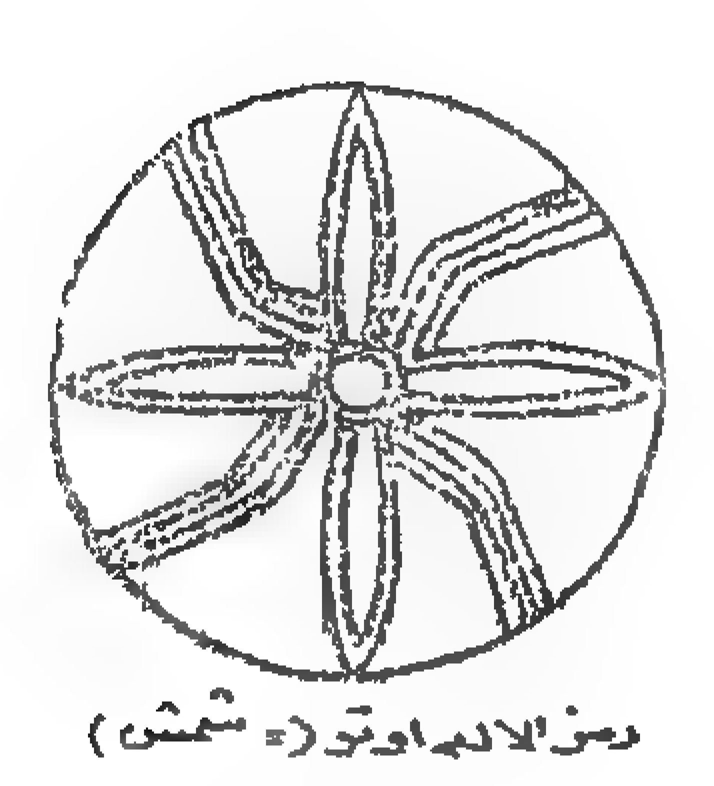
رمــز الاله آنو

شـــكل (٣)



رمز الاله انكي

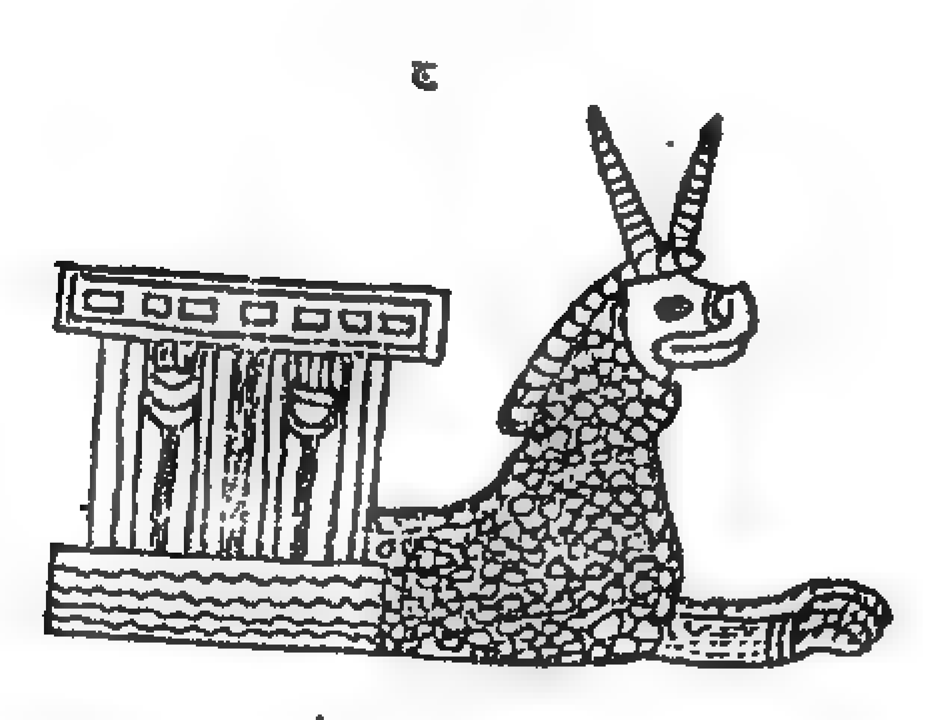
شـــكل (٤)



رمز الاله اوتو (= شمش)

شـــكل (٥)

ج



رمز الاله مردوخ

شـــكل (٦)



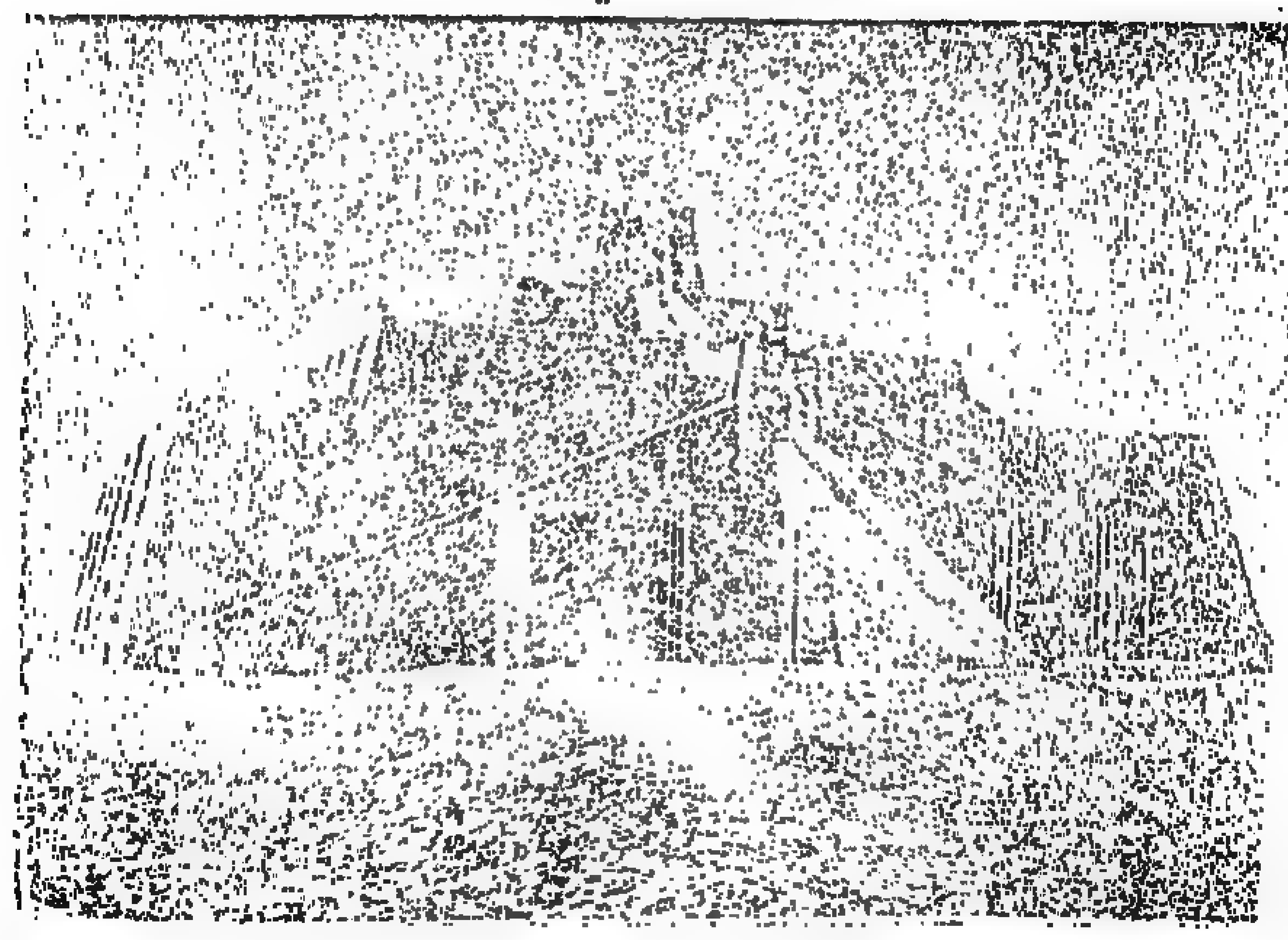
رمز الاله اشور

شكل (٧)

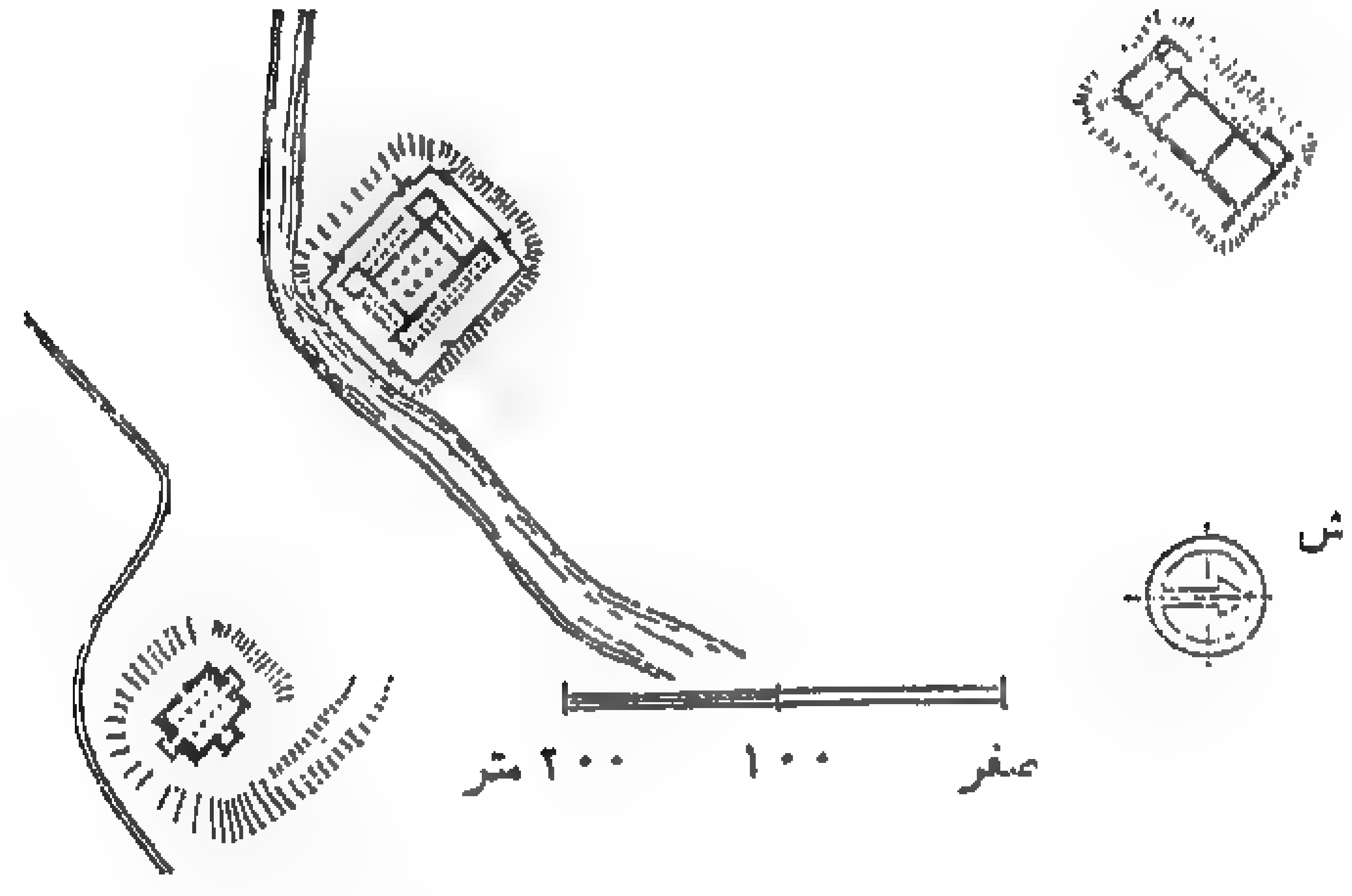


بالاجو (متحف اللوفر)

شـــكل (٨)

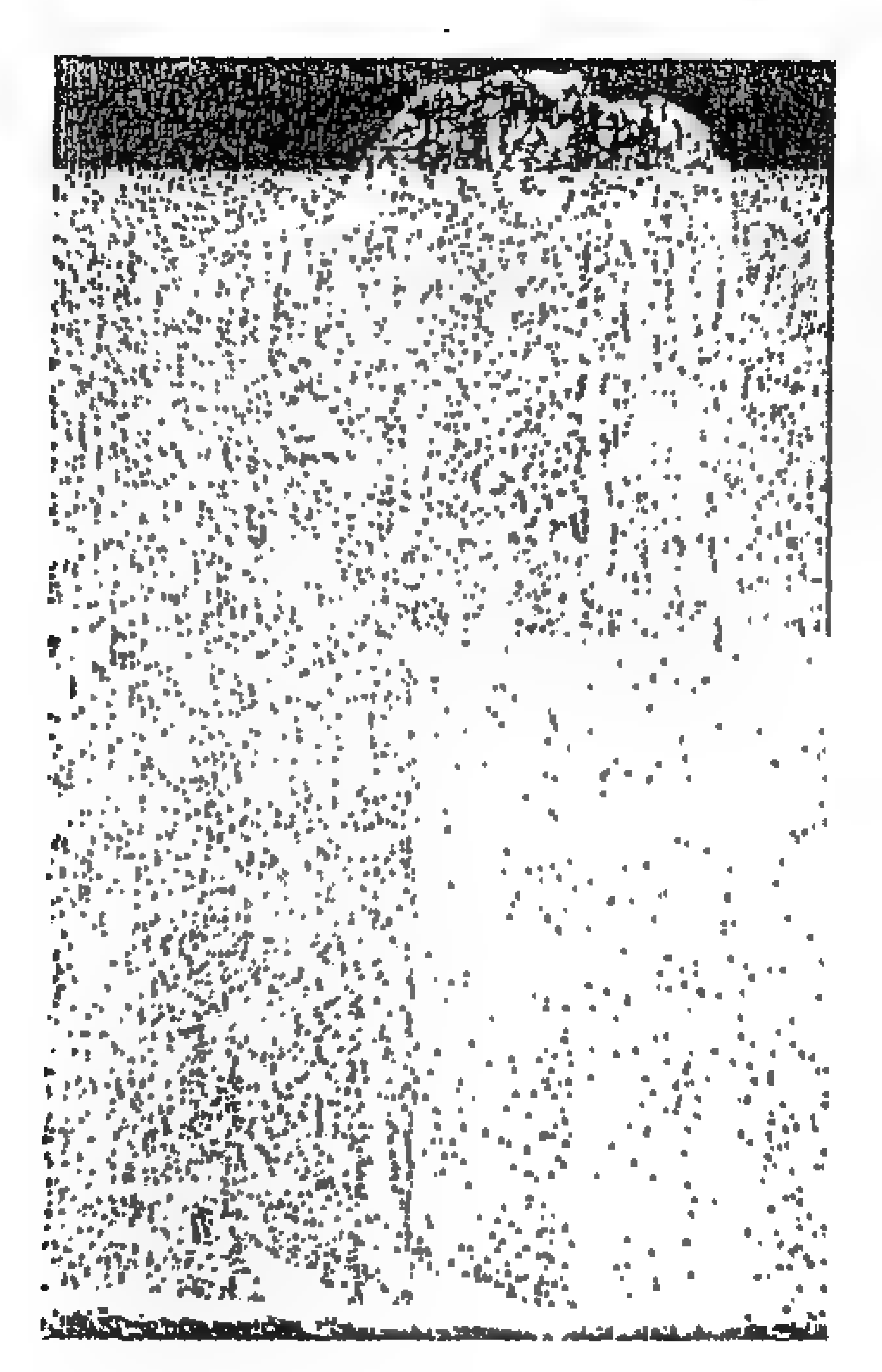


نموذج تخيلي لزقورة مدينة اور اثناء اواخر الالف الثالث قبل الميلاد



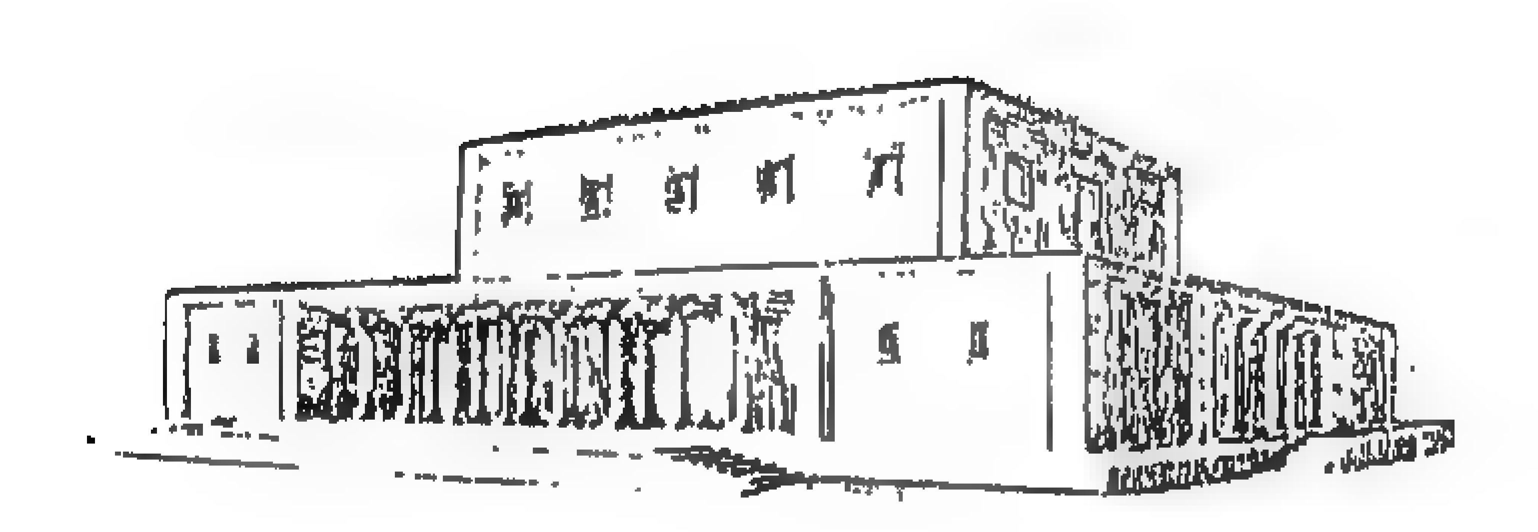
شكل ٩٠

رسم تخطيطي لمجموعة مباني قصر قورش في بلسارجادا

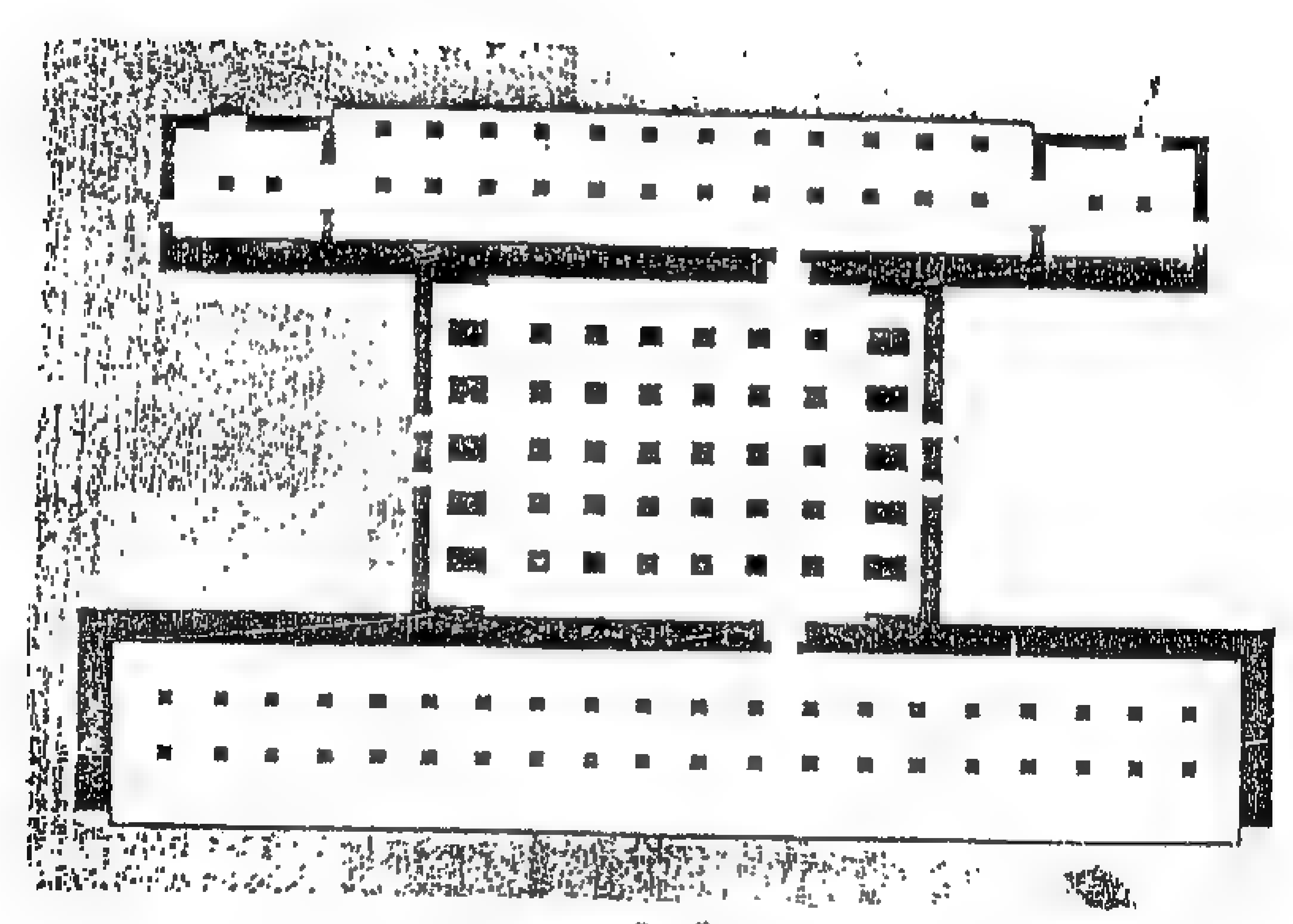


الشكل ١٠٠

نقش لحارس بوابة قصر كورش في باسارجادا

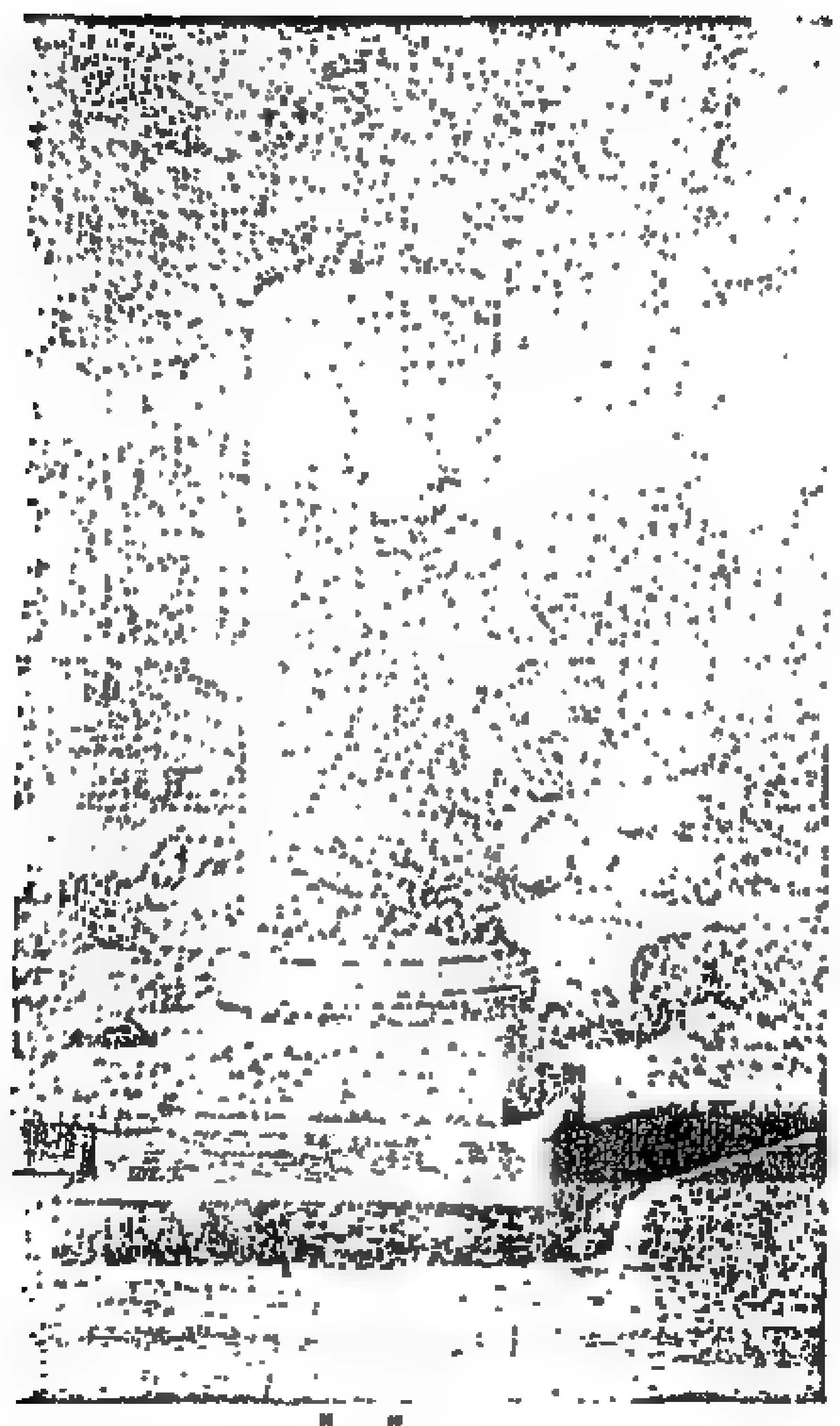


شكل ٠١-
تصميم معماري لقصر اجتماعات الملك قورش في باسارجادا



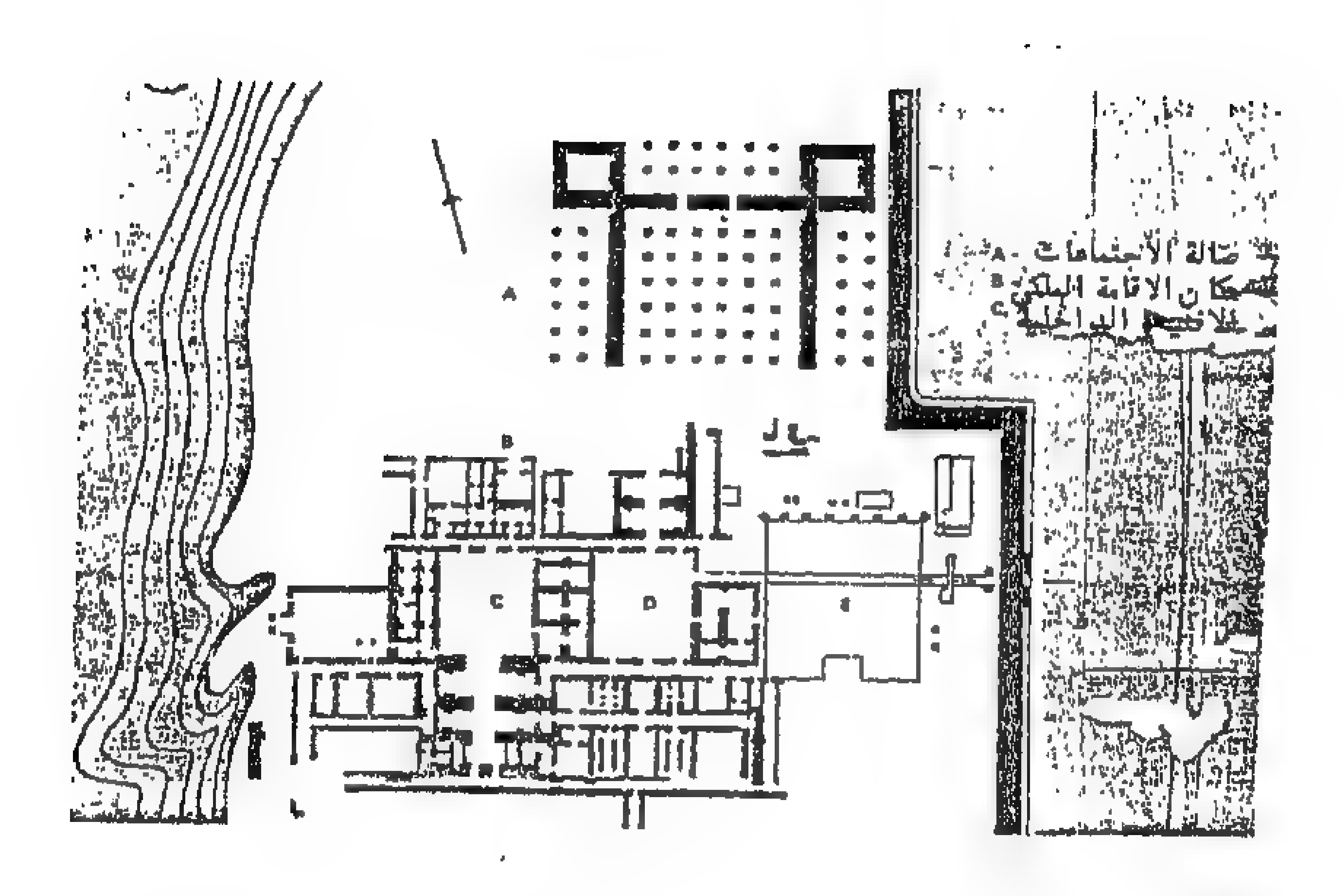
شكل: "١٢"

رسم تخطيطي للمقر الملكي في باسارجادا



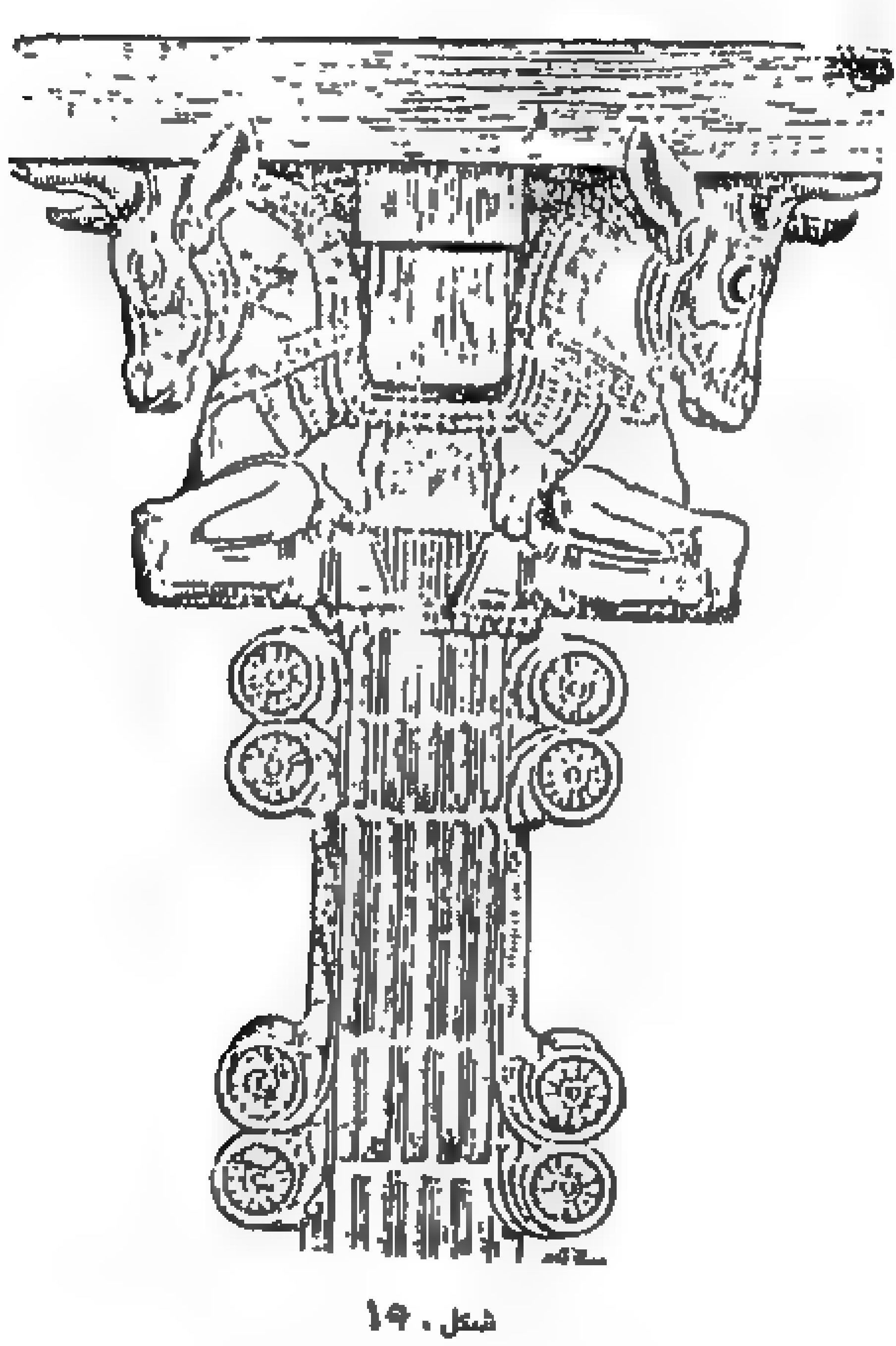
شكل "١٣"

بقايا بعض الأعمدة من قصر قورش في باسارجادا



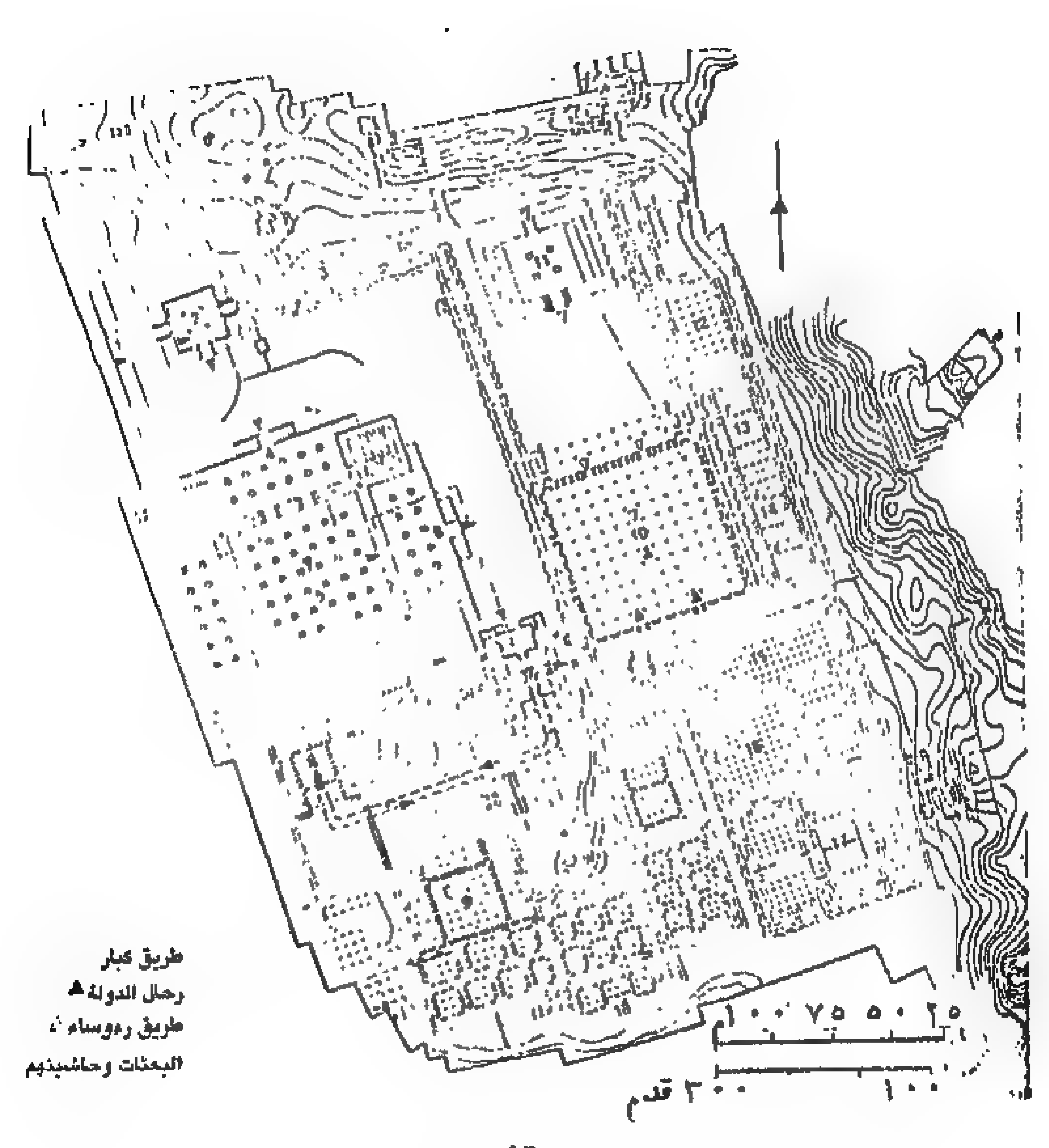
شكل "١٩"

رسم تخطيطي للقصر الملكي في سوسة وصالة الاجتماعات



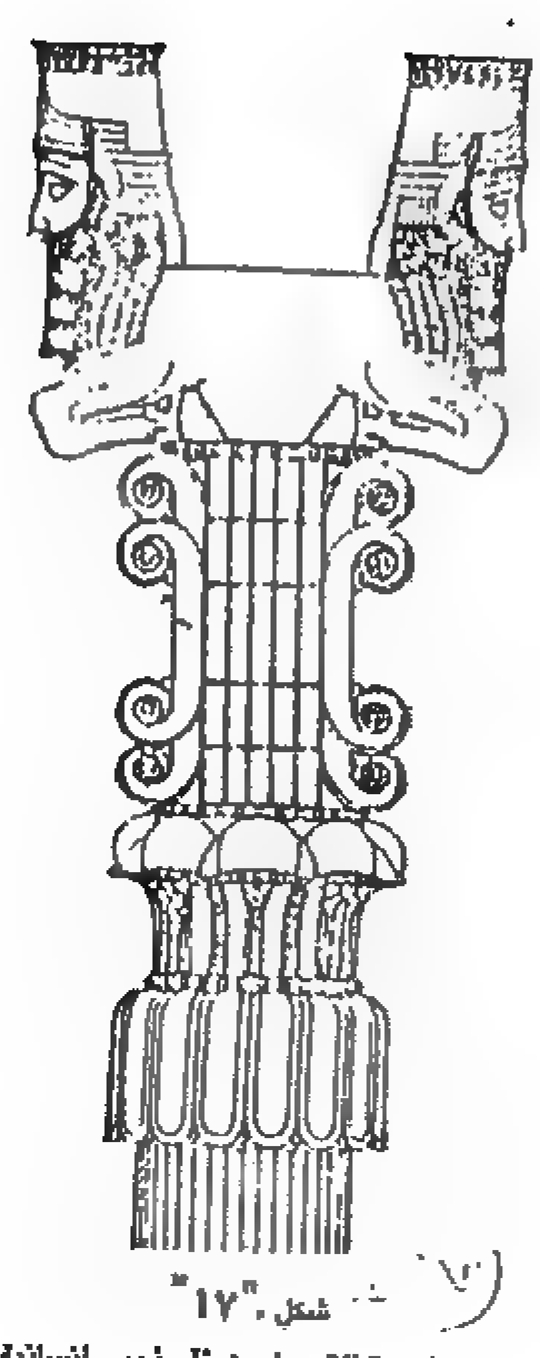
شكل ١٩

تاج عمود من سوسة



شكل ـ ١٦ •

رسم تخطيطي لمدينة برسبوليس

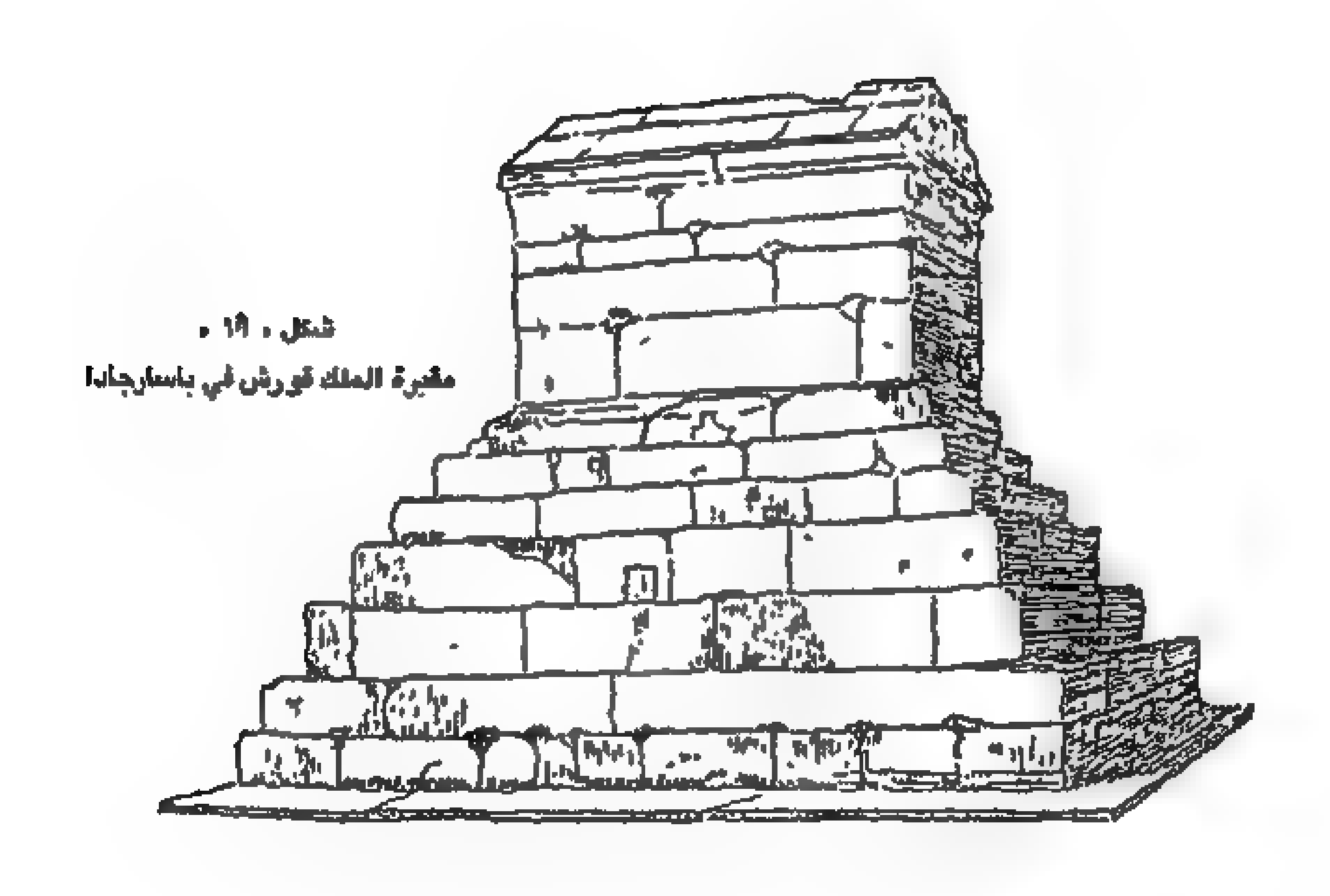


شكل "١٧"
تيجان الأعمدة التي على هيئة رؤوس إنسانية

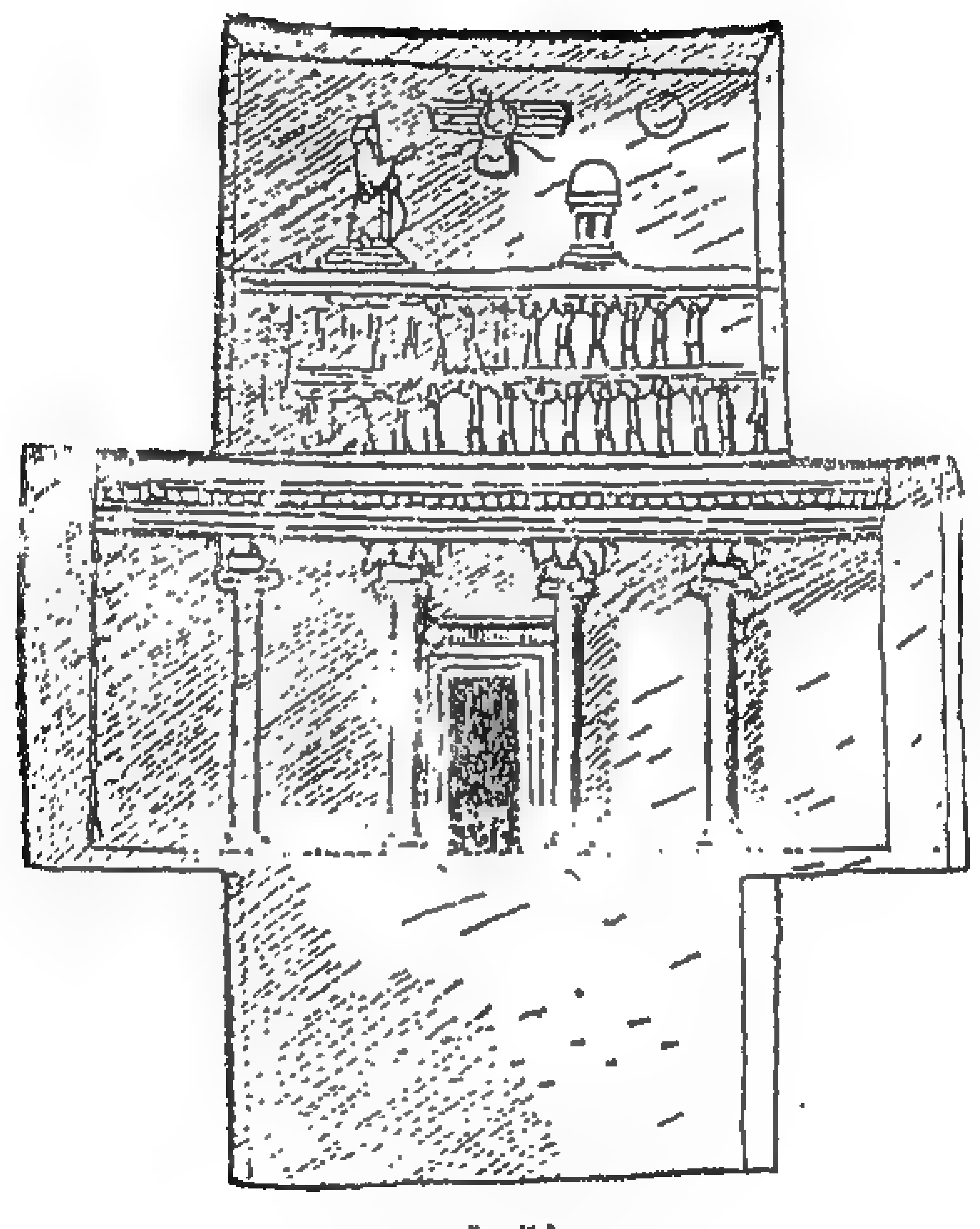


شكل : ١٨٠

تيجان الأعمدة التي على هيئة رؤوس حيوانية

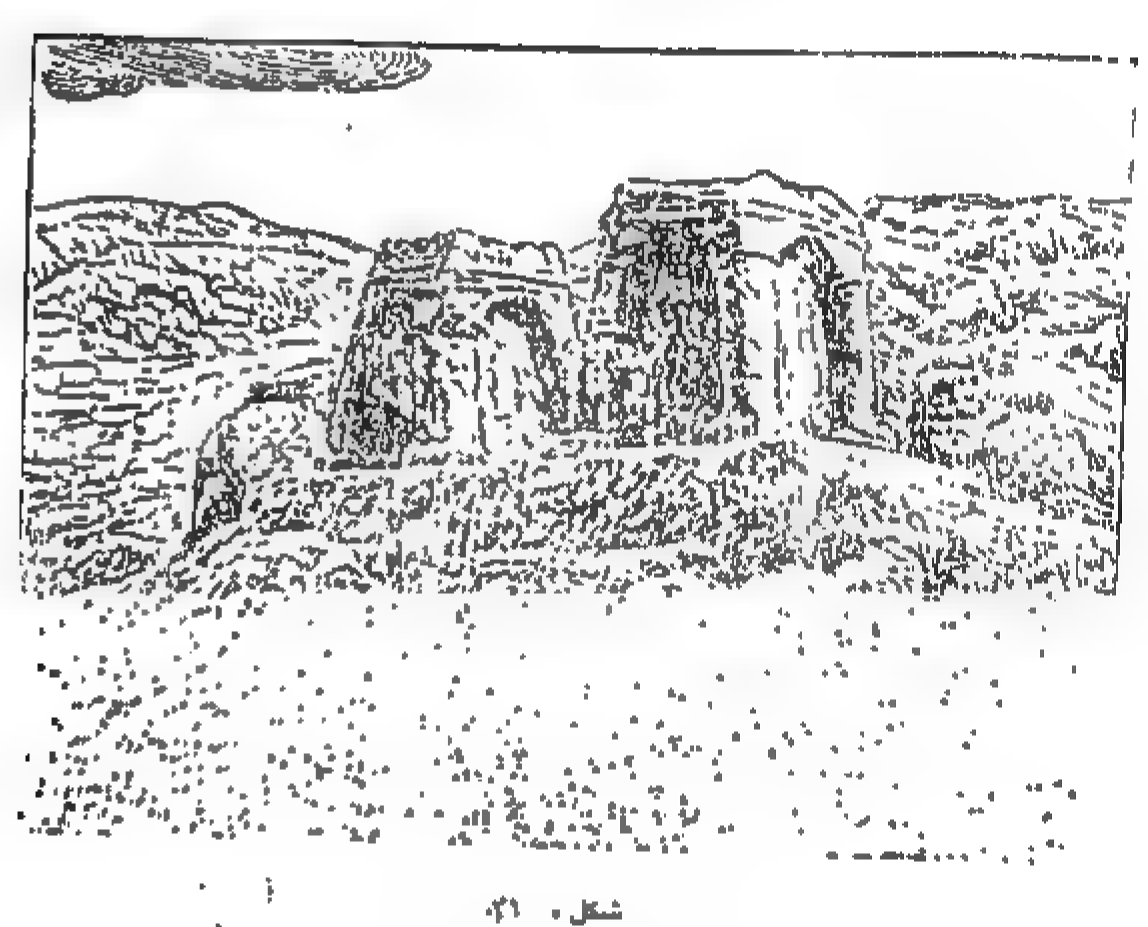


شكل « ١٩ »
مقبرة الملك قورش في باسارجادا



شكل ٢٠٠

مقبرة الملك دارا في نقش رستم



شكل ٠ ٢١

مذبحان للنار في منطقة نقش رستم

فهرس الاشكال

فهـرس الموضوعـات

البـــاب الاول

البـــاب الثانى